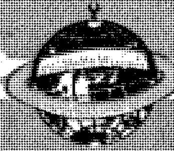


المبشرون بالجنة في الماضي والحاضر

الباحث الشيخ
يوسف أبو شنب

سلسة شمس للإعلام الإسلامي
للباحث الشيخ يوسف أبو شنب
الدوحة ت: ٤٤٧٤٨٦

المبشرون بالجنة في الماضي والحاضر

للباحث الشيخ
يوسف أبو شنب

المبشرون بالجنة في الماضي والحاضر
الكاتب الشيخ: يوسف أبو شنب
الطبعة الأولى: أكتوبر ١٩٩٧

التنفيذ
دار الشجرة للخدمات الطباعية
دمشق - مقابل مؤسسة صامد - ☎ ٦٣٢٠٧٧٥

التصميم والإخراج الفني: منال وليد غنيم

تصميم الغلاف: معتصم محمود موعد

قال رسول الله ﷺ : «كل أمتي يدخلون الجنة يوم القيامة إلا من أبى. قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى». (رواه البخاري)

وعن أم كريز الكعبية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ذهبت النبوة وبقيت المبشّرات» (مختصر مسلم جـ٢٥ ص١٩٩)

إهداء ودعاء

إلى هؤلاء الذين شاركوني عناء الكتابة

وتحملوا معي ضنك العزلة رغم وجودي بينهم

إلى

أولادي وأمهم

أهدي ثمرة صبرهم

تقبل الله أعمالنا وجعلني وإياهم

في موكب الذين رضي الله عنهم وأرضاهم

الشيخ
يوسف ابو شنب

بشائر الرسول عليه الصلاة والسلام بمستقبل الإسلام الزاهر

أخي المسلم أقدم لك هذه البشائر الصادقة الصادرة بلسان نبيِّنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وكلها أحاديث صحيحة تبشر بالمستقبل الزاهر والفتح المبين للإسلام دين الحياة المثمرة بالخير والتقدم والعلم والعزة والكرامة لكل من يعيش تحت راية الإسلام وفي ظله عربياً كان أم أعجمياً مسلماً كان أم نصرانياً أو يهودياً . وقد ثبت هذا بالدليل القاطع في عهود الدولة الإسلامية المبشرة . وإن كنا قد فرض علينا حاضر يسوده التيئيس والقنوط نتيجة بعدنا عن أسباب عزتنا وكرامتنا التي عزَّ بها أوائلنا وأصبحنا لا نقرأ وإذا قرأنا لا نستوعب وإذا استوعبنا لا نطبق فساد غيرنا وتأخرنا وعز عدونا وذللنا فإن هذه الحالة لن تدوم طويلاً إن شاء الله وسيعود للمسلمين عزهم وللعرب ريادتهم وإمامتهم تحت راية عدل الإسلام المنتصر .

وهذه أحاديث رسولنا عليه الصلاة والسلام تبعث البشرى في نفوسنا كما بعثتها في نفوس صحابة رسول الله رضوان الله عليهم يوم كانوا في حدود المدينة المنورة محاطين بقوى الكفر والطغيان من كل الجهات .

الأول : قال عليه الصلاة والسلام : (إن الله زوى ـ أي جمع وضم ـ لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها) (رواه مسلم وأبو داود والترمزي)

الثاني : (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين . بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزاً يغز الله به الإسلام وذلاً يذل به الكفر) . (رواه بن حيان في صحيحه)

الثالث : روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل : أي المدينتين تفتح أولاً أقسطنطينية أم رومية؟ فقال رسول ﷺ : «مدينة هرقل تفتح أولاً» يعني قسطنطينية .

(رواه أحمد والدارمي وصححه الحاكم)

الرابع : «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً» .

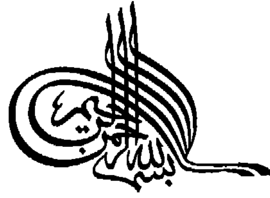
(رواه مسلم وأحمد والحاكم)

الخامس : تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عاضباً فيكون ما شاء الله أن تكون . ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت» .

(رواه أحمد «٢٧٣/٤»)

وردت هذه الأحاديث في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (ص ٧-٨) .

أخي المؤمن تدبّر واستبشر فالله أرحم الراحمين . .



إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾

(فصلت ٣)

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾

(يونس ٦٢-٦٣-٦٤)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾

(الأحزاب ٤٥-٤٧)

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾

(آل عمران ١٩٥)

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ﴾

(البقرة ٢٥)

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

(التوبة ١٠٠)

«تـمـهـيــد»

جاءت البشارة في القرآن الكريم والحديث الشريف مباشرة لأصناف من المؤمنين اكتملت فيهم شروط البشارة بالجنة صدقوا الله بنياتهم وأقوالهم وأفعالهم وصدقهم الله وعده فذكرهم فيمن عنده وعاهدهم بأنهم في الجنة .

﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾

﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۞ الذين آمنوا واتقوا وكانوا يتقون ۞ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾

وقال عليه الصلاة والسلام : «كل أمتي يدخلون الجنة يوم القيامة إلا من أبى قالوا ومن يأبى يا رسول الله؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»

ووردت البشارة مباشرة على لسان الرسول ﷺ لجماعة من أصحابه ذكروا بالاسم بعد أن امتازوا بصفات وأعمال بلغت حداً من الكمال الإيماني لا شك فيه ولا ريب فاستحقوا الجنة وبشروا بالجنة في الدنيا وهم أحياء يرزقون كأمثلة تحتذى من سلك مسلكهم من المؤمنين كانت الجنة مثواه وحشر مع الذين أنعم الله عليهم وكانت قبورهم روضة من رياض الجنة .

ويوم ذكرهم الرسول عليه الصلاة والسلام بأسمائهم فتح الباب لكل المؤمنين ـ مادامت الحياة ـ أن يبشروا بالجنة في الدنيا كهؤلاء المبشرين إن احتذوا حذوهم وسلكوا في الحياة مسلكهم وفعلوا فعلهم وأقبلوا على الله بقلب سليم لأن البشارة في الإسلام جزء لا يتجزأ من الدعوة للإسلام والتبشير به بالقدوة الحسنة قال عليه الصلاة والسلام : «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا» .

وجدير بنا نحن المسلمين أن تطلق علينا صفة (المبشّرين) لا علـى سوانا مـن القسـس والرهبـان إن أحسـنا القـول وصدقـه العمـل لأن الإسـلام ديـن البشـارة والإيمـان تجـارة رابحـة تؤتـى ربحهـا ضعفـين وأضعافاً مضاعفـة إلـى سبعمائة ضعف . ويوم نتخلى عن البشارة في الإسلام ونتحول مـن مبشـرين إلى منذرين فقط يملأ غيرنا الفراغ ونصبح (إرهابيين) ودعـاة الأديـان الأخـرى (مبشرين) يستبشر الناس بهم وبصليبهم وينفر الناس منا ومن إسلامنا الـذي هو بشارة وسلام ، سـلام فـي اسـمه وسـلام فـي تحيتـه وسـلام فـي عقيدتـه وصلاح لأمور الحياة يخرجهم مـن الظلمـات إلـى النـور يعمـر القلـوب لتعمـر الحياة ويضيء العقول فيهتدي الناس عن قناعة وإيمان ويشرح الصدور بـالحب والأخوة الإنسانية فتصفو النفوس وتنهض الحياة ويعم الخـير وتلتقـي القلـوب وتمتزج الأرواح بحلاوة الإيمان مسـتظلين برايـة الإسـلام لا فـرق لعربـي علـى أعجمي ولا لأبيض على أسود ولأحمر على أصفـر ولا لغنـي علـى فقـير إلا بالتقوى . كلكم لآدم وآدم من تراب . هذه رسـالة الإسـلام وعالميتـه ودلائـل صلاحيته لكل زمان ومكـان . . شـعارنا فـي الحيـاة : (ادع إلـى سـبيل ربـك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن . . .)

والأمر بالمعروف من أبرز صفات المبشرين بالجنة ومن يأمر بالمعروف يصبر ويتحمل ويكون قدوة حسنة يبشر ولا ينفر فتنفتح القلوب أمام دعوتـه وتحـترم العقول رأيه فيدخل الناس في دين الله أفواجاً .

وهل أصدق في أن الإسلام دين البشارة من قوله تعـالى مخاطبـاً رسـولنا خاتم الأنبياء وإمامهم بقوله : «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشـراً ونذيـراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . وبشر المؤمنـين بـأن لهـم مـن الله فضـلاً كبيراً» .

وقوله تعالى : ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به﴾

والمبشر دائماً متفائل يحمل البسمة ويمسح بها آلام القـانطين مـن رحمـة

الله ويجلو همومهم ويغرس الأمل في نفوسهم بقدوته ا لحسنة واستبشاره بالحياة يستقطب مرضى القلوب بكلماته النافذة ويسترضي الأرواح بنصائحه المؤثرة ويقنع المعاندين بأفعاله الصادقة يستأنس به الناس كباراً وصغاراً بقلوب مفتوحة وعقول راضية وعيون مستبشرة فيحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة كما وجهنا القرآن إليها ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ وطمأنينة القلوب هي علاج ناجع لكل أمراض الحياة ، فيها السعادة والهناء والصحة النفسية والصفاء الروحي وخصوصاً إذا جربوا حياة الفراغ والضلالة والضياع التي هي سبيل الشقاء كما قال تعالى «ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً» وفي موضوعنا أمثلة كثيرة للبشارة بالجنة من القرآن الكريم والحديث الشريف طرحتها دليلاً للأمان النفسي وغرساً للطمأنينة الروحية وتطبيباً للقلوب وتبشيراً للمؤمنين بأن الجنة إن شاء الله مصيرهم والدنيا مزرعة الآخرة ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره**﴾ .

﴿**ومن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى**﴾

وعلى جميع علمائنا ودعاتنا أن يحملوا في قلوبهم روح البشرى ويكونوا مبشرين بكل معناها . ونحن أهل البشرى وإسلامنا دين الحياة . لأن رسالتنا أن نكون كما كان رسولنا «مبشرين» لا دعاة عابسين ويوم عبس الرسول عليه السلام في وجه الأعمى نزلت سورة «عبس وتولى» .

وكتابنا «**المبشرون بالجنة في الماضي والحاضر**» هو في هذا التوجه يحمل البشرى لكل المؤمنين إذا سلكوا مسلك المبشرين بالجنة من الصحابة ، كل في مجاله . فاستبشروا خيراً أيها الأخوة لأن رحمة ربنا وسعت كل شيء وأحسنوا غرس الدنيا تجنوا طيباً في الآخرة التي هي أقرب إلى كل منا من حبل الوريد وآخرة كل منا موته وأحسنوا الظن بالله وادعوه وأنتم واثقون بالإجابة واصبروا فإن الله مع الصابرين . . ومفاتيح الجنة بين أيديكم وتحت أعينكم وأبصاركم وعمروا بنوك آخرتكم كما تعمرون بنوك دنياكم وفي ذلك

فليتنافس المتنافسون وهذه بشارة الله الرحمن الرحيم لكل عباده المؤمنين :

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾

وأقبلوا على الله بقلوب سليمة ونفوس مطمئنة

وارتاحوا من أعباء النهار بالصلوات كما كان رسول الله ﷺ يقول : «أرحنا بها يا بلال» وكما كان أبو بكر يقول «قوموا إلى نيرانكم فاطفئوها بالصلاة» تكونوا إن شاء الله في صفوف المبشّرين بالجنة وينطبق عليكم قوله تعالى : **﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾** وحين سئل الرسول الكريم عن النفس المطمئنة قال : «هي التي يقول صاحبها : اللهم إني أسألك نفساً مطمئنة بك تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك» .

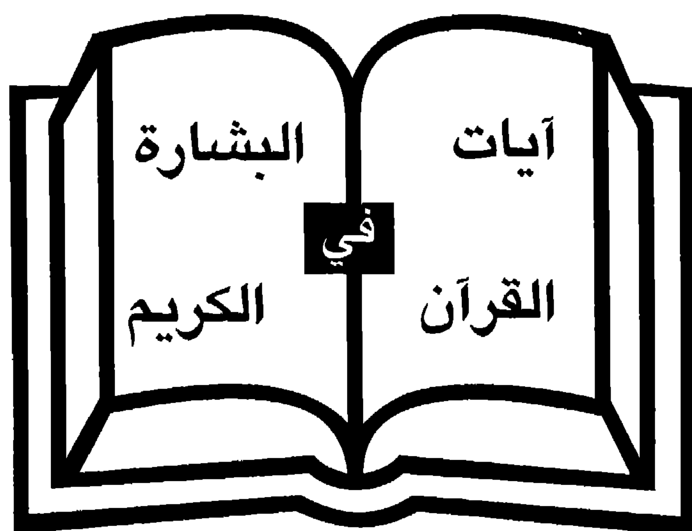
وأرجو أن يكون اسم الكتاب «المبشرون بالجنة في الماضي والحاضر» بشارة لأخي القارئ . فالمبشرون بالجنة في الماضي على لسان رسول البشرى خاتم الأنبياء ونبي الشفاعة يوم لا شفاعة إلا لله ولرسوله محمد ﷺ كانوا أمثلة تحتذى في صدق الإيمان الذي وقر في القلب وصدقه العمل من صبر وجهاد وإنفاق وحب لله ولرسوله وليس لسواهما وإيثار للآخرة على الدنيا وسبق بالإسلام والتضحية في سبيل ذلك المبدأ الخالص والعقيدة التي انعقدت على قلوبهم وعلى أبصارهم فلا يحبون إلا من خلالها ولا يبصرون إلا من خلالها ولا يسمعون إلا من خلالها . وكانت بشارة الرسول عليه السلام لهم إخباراً بالغيب حيث أخبر أنهم يموتون شهداء . . وهكذا كان .

وقد أخبر رسولنا وبشر أحبابه الذين هم في أصلاب الرجال حين ذكر لأصحابه مباهياً بمسلمين يأتون في عصور لاحقة حين قال :

﴿طوبى لمن رآني وآمن بي (مرة واحدة) . وطوبى لمن آمن بي ولم يرني

(سبع مرات) ﷺ .

وقال في حديث آخر : «أقوام في أصلاب الرجال يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني ، ويصدقون بي ولم يروني ، يجدون الورق المعلق فيعملون بما فيه فهؤلاء أفضل أهل الأرض إيماناً» وفي أحاديث أخرى كان يباهي بنا أصحابه عندما يسألونه : ألسنا أحبابك؟ يجيب أنتم أصحابي أو أخواني وهم أحبابي ، في ما معنى الحديث .


آيات
البشارة
في
القرآن
الكريم

آيات البشارة
في القرآن الكريم

هذا عرض لأغلب الآيات المذكورة في القرآن الكريم التي تحمل البشرى للمؤمنين بحسن ثواب الآخرة والجنة التي أعدت للمتقين وسنعرض من خلالها صفات المؤمنين الذين بشروا فيها بالجنة لعلنا نقرب فهم القرآن لكثير من إخواننا المؤمنين فتثبت نفوسهم وتطمئن قلوبهم بما عرفوه من صفات أهل الجنة ليقتدوا بهم ويصلحوا أعمالهم وليحيوا في عيشة راضية ويوثقوا صلتهم بالله العلي العظيم بأعمال البر والخير المتنوعة والتي هي من سبل الجنة وأسباب التوفيق في الحياة والرزق والرضا والصحة والسلامة في الدنيا والآخرة .

﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ .

ويعيشون بها آمنين مطمئنين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون إن جاعوا صبروا وإن شبعوا حمدوا وإن اغتنوا شكروا وإن أسيء إليهم غفروا ، حببهم الله إلى الخير وحبب الخير إليهم تحلو الدنيا في أعينهم ما داموا يعمرونها بالصالحات وهذه هي الآيات :

﴿ ١ ﴾

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾

(يس١١)

فإتباع الذكر : يعني إتباع القرآن بأوامره ونواهيه وقراءته والاعتبار منه .

وخشي الرحمن بالغيب : وهو الذي يراعي الله في شؤون الحياة كلها فيخلص له في عمله ويقينه لأن ضميره حي ليقينه بأن الله يراقبه . وبهذا يبقى ضميره حياً بشكل دائم .

وهذا هو الفرق بين المؤمن الذي ذاق حلاوة الإيمان وغيره من المرائين أو المنافقين الذين يتقنون العمل ما دام المسؤول أمامهم فإن غاب غاب ضميرهم . ولذلك تجدهم دائماً في قلق وريبة وخوف وصَغَار وذلة ومهانة لأنهم يخشون عبداً متقلباً وفي نفاق متواصل ، ومن خاف الله خافه كل شيء ومن خاف الناس خاف من كل شيء .

﴿٢﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

(فصلت ٣٠ ـ ٣٢)

وتعني **هذه الآية في ظاهرها : أن** الإيمان باللسان وتصديقه يكون بالعمل فهي تشير إلى صدق العزيمة في القول والعمل باستقامة «تامة وبإخلاص متميز» وهذا هو الفرق بين المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ويقولون ما لا يفعلون **﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾** والعهود كلمة والوعود كلمة والعقود كلمة فمن التزم بكلمته فحفظ عهده وأنجز وعده ووفى عقده مع الله ومع عباد الله تنزل عليهم الملائكة بالبشرى ألا

تخافوا من أي شيء لأن الله معكم يدفع عنكم ويدافع .

ولا تحزنوا في دنياكم لأن الله رب العرش العظيم كافيكم و في الآخرة : لا تخافوا من عذاب النار ولا تحزنوا على ما فرطتم أو فاتكم في الدنيا كما هو حال المقصرين النادمين .

﴿وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ .

والبشرى هنا قيل : «تكون في الدنيا عند موت المؤمن تتنزل الملائكة تقول لروح المؤمن : اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه ، أخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان» كما ورد في حديث البراء رضي الله عنه - (مختصر ابن كثير جـ٣/٢٦٣)

وقيل أن الملائكة تتنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم مبشرة إياهم بالنجاة من يوم الموقف العظيم .

وقال زيد بن أسلم : «يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث» .

وفي هذا نجاة له من شدة النزع ومن عذاب القبر ومن يوم الحشر العظيم الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ .

تواصل الملائكة قولها للمؤمنين المستقيمين عند حضور الموت : نحن كنا أولياءكم أي قرناءكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله . وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس وحشتكم في القبور وعند النفخة في الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور .

﴿ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم﴾ أي جميع ما تختارونه من نعم تشتهيها الأنفس وتقربها العيون وهذا منتهى الإكرام .

﴿ولكم فيها ما تدعون﴾ أي كل ما تطلبون لأنكم في ضيافة أكرم

الأكرمين يأتيكم بين أيديكم .

﴿نزلاً من غفور رحيم﴾ أي ضيافة وإكراماً وعطاءاً من «غفور» لذنوبكم «رحيم» بكم حيث الستر والغفران واللطف والرحمة .

وعندما قال رسول الله ﷺ : «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» .

قال الصحابة : يا رسول الله كلنا نكره الموت .

فقال عليه الصلاة والسلام : «ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن إذا حُضِر يعني جاءت ساعة احتضاره جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر إليه» .

فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله تعالى فأحب الله لقاءه .

(أخرجه الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه [1])

﴿٣﴾

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «لمّا أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير جـ٣/ ص٢٦٣

ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم فأنزل هذه الآيات[١]

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذه الآية جمعت المؤمنين كلهم سواء الشهداء وغيرهم وقلما ذكر الله فضلاً ذكر به الأنبياء وثواباً أعطاهم الله إياه إلا ذكر الله ما أعطى المؤمنين من بعدهم .

﴿٤﴾

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾

(التوبة ٢١ ـ ٢٢)

وفي هذه الآية صنف من المؤمنين آثروا دينهم على الوطن فهاجروا تاركين بيوتهم وأملاكهم وملذاتهم إلى بلد الهجرة ليحفظوا عليهم دينهم ويعودوا أعزة أقوياء مرة أخرى ، وقد تحملوا عناء الهجرة ومشاق السفر ونار الغربة ووحشة الأهل وشهرة الأصل وعزة النسب في بلد الهجرة .

وجاهدوا في سبيل الله وإعلاء كلمة الحق بأموالهم وأنفسهم لا شك أن هؤلاء أعظم درجة من القاعدين والذين جاهدوا بأموالهم فقط . وحينما لا يذكر المفضل عليه يكون هناك نوع من التفضيل الذي لا يعلوه شيء .

فهم أعظم درجة عند الله . أي هم المقربون . وهم الفائزون في الدنيا بالنصر المبين ولو بعد حين . وفي الآخرة بالفوز في الجنة ورضوان الله وجنات

---

(١) المختصر جـ١/ ص٣٣٦

متعددة لهم فيها نعيم قائم ثابت دائم خالدين فيها أبداً .

وفي الآيتين دعوة مباشرة إلى الفوز بالجنة لمن هاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أو بأموالهم فقط أو بأنفسهم فقط كل حسب طاقته .



﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٩٧﴾

(البقرة ٩٧)

نزلت هذه الآية جواباً لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك فمنهم من قال إنما كان سبب قولهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله ﷺ في أمر نبوته . عن ابن عباس قال : أقبلت يهود على رسول الله ﷺ فقالوا : يا أبا القاسم أخبرنا عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك . فأخذ عليهم النبي عليه السلام ما أخذ يعقوب على بنيه إذ قال : «والله على ما نقول وكيل»

قال : هاتوا : قالوا : فأخبرنا عن علامة النبي؟

قال : «تنام عيناه ولا ينام قلبه» .

قالوا : أخبرنا كيف تؤنِّث المرأة وكيف تُذَكِّر؟ يعني متى تؤتى مولوداً أنثى أو ذكراً؟ قال : «يلتقي الماءان فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت ، وإذا علا ماء الأنثى ماء الرجل أنثت» . قالوا : أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه؟ قال : «كان يشتكي عرق النساء فلم يجد شيئاً يلائمه إلا ألبان الإبل فحرم لحومها» . قالوا : صدقت .

قالوا : أخبرنا ما هذا الرعد؟ قال النبي عليه السلام : «ملك من ملائكة

الله عز وجل موكل بالسحاب بيدية مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمره الله تعالى» .

قالوا : فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال : «صوته» قالوا صدقت .

ثم قالوا : إنما بقيت واحدة وهي التي نتابعك إن أخبرتنا بها . . إنه ليس من نبي إلا وله ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من صاحبك؟ قال : «جبريل عليه السلام» قالوا : جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب ، إنه عدونا . لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والقطر والنبات لكان . فأنزل الله تعالى : ﴿قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله﴾ إلى آخر الآية .

وقال بعضهم : بل كان بسبب مناظرة جرت بينهم وبين عمر بن الخطاب في أمر النبي ﷺ . قال عمر : «كنت أشهد اليهود يوم مدراسهم فأعجب من التوراة كيف تصدق القرآن وأعجب من القرآن كيف يصدق التوراة ، فبينما أنا عندهم ذات يوم قالوا : يا ابن الخطاب ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك . قلت : ولمَ ذلك؟ قالوا : لأنك تغشانا وتأتينا . فقلت إني آتيكم فأعجب من القرآن كيف يصدق التوراة ومن التوراة كيف تصدق القرآن .

قالوا : ومر رسول الله ﷺ فقالوا : يا ابن الخطاب ذاك صاحبك فالحق به . قال . فقلت لهم عند ذلك : نشدتكم بالله الذي لا إله إلا هو وما استرعاكم من حقه وما استودعكم من كتابه هل تعلمون أنه رسول الله؟؟

قال : فسكتوا . فقال لهم عالمهم وكبيرهم : إنه قد غلظ عليكم فأجيبوه قالوا : فأنت عالمنا وكبيرنا فأجبه أنت

قال : أما إذا نشدتنا فإنا نعلم أنه رسول الله .

قلت : ويحكم إذاً هلكتم . قالوا : إنا لم نهلك

قلت : كيف ذلك وأنتم تعلمون أنه رسول الله ولا تتبعونه ولا تصدقونه؟

قالوا : إن لنا عدواً من الملائكة وسِلْماً من الملائكة . وإنه قرن بنبوته عدونا من الملائكة .

قلت : ومن عدوكم؟ ومن سلمكم؟

قالوا : عدونا جبريل ، وسلمنا ميكائيل ، وقالوا : إن جبريل ملك الفظاظة والغلظة والإعسار والتشدد والعذاب ونحو هذا . وإن ميكائيل ملك الرحمة والرأفة والتخفيف ونحو هذا قال : قلت : وما منزلتهما من ربهما عزّ وجل؟ قالوا : أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره .

قال : فقلت : فو الذي لا إله إلا هو إنهما والذي بينهما لعدو لمن عاداهما وسلم لمن سالمهما . وما ينبغي لجبريل أن يسالم عدو ميكائيل وما ينبغي لميكائيل أن يسالم عدو جبريل . قال عمر : ثم قمت فاتبعت النبي عليه السلام فلحقته وهو خارج من خوجة لبني فلان . فقال : يا بن الخطاب ألا أقرأتك آيات نزلن قبل؟ فقرأ عليّ «من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله» حتى قرأ الآيات .

قال : قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد جئت أنا أريد أن أخبرك . وأنا أسمع اللطيف الخبير قد سبقني إليك بالخبر؟

وهذا يدل على إلهام عمر بن الخطاب حيث صدقه القرآن في مواقف متعددة كثيرة . رضي الله عنه فقد كان يهرب منه الشيطان كما قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك» (مختصر صحيح مسلم ١٦٣٣)

وقد روى البخاري في صحيحه عن أبى هريرة قال : «قال رسول الله ﷺ من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب» ولهذا غضب الله على اليهود الذين عادوا جبريل في قوله تعالى «من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله» ، أي نزل القرآن على قلبك «وهدى وبشرى للمؤمنين»

أي هدى لقلوبهم وبشرى لهم بالجنة وليس ذلك إلا للمؤمنين كما قال تعالى «قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء» . وقوله تعالى «ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين» .

﴿٦﴾

وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾

(آل عمران ١٢٦)

وهذه بشارة من نوع آخر حيث بشر الله المؤمنين في معركة بدر بالنصر المبين حين أنزل الله إليهم الملائكة المسوّمين في الآية السابقة حيث قال تعالى :

بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾

(آل عمران ١٢٥)

لمّا صبر المؤمنون في بدر مع قلة عددهم وضعف عتادهم أمام هجمة المشركين أمدهم الله بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف . مسوّمين أي معلمين بالصوف الأبيض وكان سيماهم أيضاً في نواصي خيولهم .

فبيّن الله للمؤمنين في هذه الآية أنه أنزل إليهم الملائكة بشارة لهم وتطييباً لقلوبهم وزيادة في طمأنينتهم وتأكيداً لهم بأن النصر من عند الله للمؤمنين الصادقين .

وهذا ما يدل عليه قوله تعالى ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾

وهذا شرط الله على المؤمنين إن يصبروا وينتصروا له وبه فقط حتى يشملهم بنصره لأنه من عز بغير الله ذل .

﴿٧﴾

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾

يونس (٦٢-٦٢)

قال عليه الصلاة والسلام موضحاً معنى أولياء الله :

إن من عباد الله عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء قيل : من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم؟ قال : هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ، ثم قرأ قوله تعالى ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ .

﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ فسرها الرسول كما رواها أبو الدرداء في مسند الإمام أحمد : «الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له» .

وقال الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت : إنه سأل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى «لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة» فقال : «لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من أمتي ـ تلك : الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرى له» .

وفي الآخرة : الجنة . أو هي بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة .

وعن أم كريز الكعبية : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ذهبت النبوة وبقيت المبشرات»[1]

﴿٨﴾

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾

(الحديد ١٢)

في هذه الآية يخبر الله تعالى عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم بحسب أعمالهم يمرون به من فوق الصراط المستقيم وقد روى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : «أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود وأول من يؤذن له برفع رأسه فانظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم . فقال له رجل : يا نبي الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم؟ فقال : أعرفهم بسيماهم في وجوههم وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم» .

وقوله «وبأيمانهم» يعني بأيمانهم كتبهم كما قال تعالى «بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار» أي يقال لهم : بشراكم اليوم جنات ، أي لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم .

وأما الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئاً من هذا النور . قال ابن عباس : «بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نوراً فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور دليلاً من الله على الجنة فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فأظلم الله على المنافقين ـ فقالوا حينئذ : (انظرونا نقتبس من نوركم) فإنا كنا معكم في الدنيا ، فيقول المؤمنون لهم : ارجعوا وراءكم من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور .

ويدعو المؤمنون ربهم قائلين : (ربنا أتمم علينا نورنا) فيضرب الله بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، وهو حائط بين الجنة والنار وهو سور يحجز بين المؤمنين والمنافقين ، حيث يبقى المنافقون من ورائه في الظلمة والحيرة والعذاب كما كان حالهم في الدنيا .

﴿٩﴾

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾

(الأحزاب ٤١-٤٤)

هذه بشارة للذاكرين الله المسبحين بكرة وأصيلاً .

روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : (قال رسول الله ﷺ : ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والوَرق (الفضة) وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا : وما هو يا رسول الله؟ قال : ذكر الله عز وجل)

(أخرجه أحمد والترمزي وابن ماجة)

وعن عبد الله بن بشر قال : (جاء أعرابيان إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما : يا رسول الله أي الناس خير؟ قال ﷺ : من طال عمره وحسن عمله) .

وقال الآخر : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا فمرني بأمر

أتشبث به . قال ﷺ : (لا يزال لسانك رطباً بذكر الله تعالى) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (قال رسول الله ﷺ : لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحبُّ اليَّ مما طلعت الشمس) .

(مسلم ٨/٧٠)

والذكر يكون في الليل وفي النهار ، في البر وفي البحر وفي الجو ، في السفر وفي الحضر ، في الغنى وفي الفقر ، في السقم وفي الصحة ، في السر والعلانية ، بكرة وأصيلاً .

(هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الصلاة من الله تعالى معناها الرحمة . وقيل : ثناؤه على العبد الذاكر عند الملائكة .

وأما صلاة الملائكة فمعناها : الدعاء والاستغفار للعبد الذاكر كقوله تعالى ﴿**الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم**﴾ .

﴿**ليخرجكم من الظلمات إلى النور**﴾ أي بسبب رحمته بكم وثنائه عليكم ودعاء ملائكته لكم يخرجكم من ظلمات الضلالة وضنك الحياة إلى نور الهداية والحياة الراضية . ﴿**وكان بالمؤمنين رحيماً**﴾ في الدنيا والآخرة .

روى البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى امرأة من السبي قد أخذت صبياً لها فألصقته إلى صدرها وأرضعته . فقال رسول الله ﷺ : (أترون هذه تلقي ولدها في النار وهي تقدر على ذلك؟

قالوا : لا . قال ﷺ : فوالله لله أرحم بعباده من هذه بولدها .

(تحيتهم يوم يلقونه سلام) أي أن التحية التي يحييهم الله بها (قوله لهم : سلام) في الجنة التي أعدّها لهم .

﴿١٠﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾

(الأحزاب ٤٥-٤٧)

قال ابن عباس رضي الله عنهما لمّا نزلت هذه الآيات ، وقد كان أمر علياً بن أبي طالب ومعاذاً رضي الله عنهما أن يسيرا إلى اليمن فقال لهما رسول الله ﷺ : انطلقا فبشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا ، إنه قد أنزل عليّ : ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ .

﴿شاهداً﴾ أي لله بالوحدانية وإنه لا إله غيره . وشاهداً على الناس بأعمالهم يوم القيامة .

﴿ومبشراً ونذيراً﴾ أي بشيراً للمؤمنين بجزيل الثواب والعزة في الدنيا والآخرة بعدما رأوا من ذلة ومهانة وبالجنة والطريق إليها كما رسمه الله تعالى .

﴿ونذيراً﴾ للكافرين من وبيل العقاب واليم العذاب . وداعياً إلى الله بإذنه : وهي جوهر رسالته أن يدعو الناس إلى عبادة الله والتسليم بقوته وقدرته رب العرش العظيم وأنت ودعوتك الخلق كالسراج المنير الواضح المبين لا يجحدها إلا معاند .

﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾ .

والبشارة هنا في الدنيا : بالتأييد لهم وإعزازهم مهما كانوا قلة وبنصرهم على أعدائهم مهما كثروا وحملوا من عتاد وسلاح وقد أثبت الله لهم ذلك

في معاركهم مع المشركين .

وفي الآخرة : البشارة هي الجنة التي وعد الله المؤمنين .

﴿١١﴾

وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

(البقرة ١٥٥-١٥٧)

في هذه الآيات ذكر الله تعالى البشرى لصنف من المؤمنين صابرين على امتحان الله لهم وابتلائه وما يصادف المؤمن من نكبات ومصائب ومحن تصيبه ليعلم الله مقدار تغلغل الإيمان في قلبه وتمكنه منه والتوكل على الله واللجوء إليه بالدعاء الواثق بالإجابة والتسليم بالقضاء والقدر خيره وشره حتى لا يكون من الذين يعبدون الله على حرف فإن أصابهم خير بطروا وإن أصابتهم مصيبة جزعوا وكفروا كما قال تعالى **﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾** .

وتأكيد جواب القسم باللام والنون وعزتي وجلالي لنبلونكم أي لنختبرنكم ولنمتحنّنكم - دليل على أن الابتلاء والاختبار للمؤمن وغيره سنة الله في خلقه ومعبر إلى الإيمان الصادق أو النفاق الكامل والصبر على المصائب ونوائب الدهر وكثرة النعم والزيادة في الغنى سمة من سمات الإيمان القوي وباب من أبواب الدرجة العالية في صفوف المؤمنين يصل به المؤمن إلى أن يكون من أولي العزم ومن وصل هذه الدرجة كان الله معه لأن الله يقول :

﴿فاصبر لحكم ربك فأنك بأعيننا﴾ .

ويقول : ﴿إن الله مع الصابرين﴾ .

فمن صبر كلأته عين الله ورعته عنايته وحفظه من كل ما يدبر له وكتب الله له النجاة والسلامة في الدنيا وحقق له البشرى بالجنة والنعيم في الآخرة وكان مع الشهداء والصدّيقيين والذين أنعم الله عليهم . والصبر قوة في الإرادة وقوة في العزيمة وقوة في الإيمان وسبيل أداء العبادات بإخلاص .

وقوله تعالى : ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات﴾ .

فيه بعض أمثلة للمحن التي قد تصيب المؤمن مثل الخوف بأصنافه من العباد أو نقص في الزاد .

أو الجوع إذا لم يتنازل عن كرامته ومبادئه وتعاليم دينه وتطبيق قواعده السليمة والتمسك بالقيم الفاضلة كما يحدث كثيراً في المساومة على لقمة العيش أو المنصب أو الفوز بمناقصة أو انتهاز فرصة نادرة أو بعثة خارجية فيها منفعة . .الخ .

وهنا يفعل الصبر الأعاجيب فمن صبر وخاف الله خافه كل شيء ومن جزع ولم يصبر وخاف الناس خاف من كل شيء .

والخوف من نقص الأموال إذا التزم بأخلاق التاجر المؤمن ، الذي يكتفي بالقليل من الربح أو آثر الكسب الحلال على الكسب الحرام بربا أو تجارة حرام أو التستر من موظف على خيانة كبير مدير أو وزير أو خيانة البلاد والعباد والتعاون مع ظالم أو معتدٍ أثيم أو أذى يصيب النفس إن قال الحق وأظهر الحقيقة أو بموت حبيب .

أو بإصابة الثمرات سواء في حقولها وبساتينها بالهلاك أو بآفة أو محل أو قحط أو عدو ، أو هلاك الزرع والضرع ، فمن صبر ظفر وتبدل الحال وانتصر .

وحقت له البشارة ، وبشر الصابرين بأنواعهم الذين يستعينون بالله عند المحنة ويلجأون إليه بالصلاة فيتجدد إيمانهم ويجتازوا الابتلاء بنجاح قائلين : إنا لله وإنا إليه راجعون **﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾** .

وفي هذا القول غاية الإخلاص في النية والثقة بالله والاعتماد عليه وهوان الدنيا في عيونهم حيث يكبر الإيمان في بصائرهم واليقين بالنعيم المقيم في الآخرة كما وعد رب العالمين . ومن ذكر الآخرة وهولها والجنة ونعيمها أحب الله فزاد قرباً له وإخلاصاً في عبادته فأحب الله لقاءه لأنه أيقن أن الدنيا لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء . فلماذا يأسى ويأسف ويتحسر على زائل فان؟؟ وهذه هي حلاوة الإيمان . لا يذوقها إلا الصابرون .

﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ .

التعبير باسم الإشارة (أولئك) يدل على بعد المنزلة والمكانة التي ارتفعوا إليها بصبرهم عن بقية العباد ورجوعهم إلى الله مستسلمين لقضاء الله وقدره بنفوس مطمئنة راضية مرضية وهي التي تقول : **﴿اللهم إني أسألك نفساً مطمئنة بك تؤمن بلقائك وتقنع بعطائك وترضى بقضائك﴾** وهؤلاء هم المعنيون بقوله تعالى إن شاء الله : **﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾** . كما ورد في الحديث الشريف .

وصلوات الله عليهم تعني ثناء الله عليهم أمام ملائكته واستحقاقهم أن يكونوا في أعين الله ورحمته وكنفه وحراسته وعباده المخلصين ، والصلوات من الله هي رحمته الواسعة لعبده الصابر . وأولئك هم المهتدون : الذي عرفوا طريق الصواب وسلكوا الصراط المستقيم في الحياة الدنيا وصاروا المهتدين الذين هم قادة وأئمة يستهدى بهم . كما قال تعالى (فبهداهم اقتده) .

هذا إضافة إلى أن الصابرين يبارك لهم ربهم في رزقهم وحياتهم خيراً مما رزقوا به .

عن أم سلمة قالت : أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسـول اللـه ﷺ فقـال : لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولاً سررت بـه ، قـال : لا يصيـب أحـداً مـن المسلمين مصيبة فيسـترجع[1] عنـد مصيبتـه ثـم يقـول : اللهـم أجرنـي فـي مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا فعل ذلك .

قالت أم سلمة : فحفظت ذلـك منـه فلمـا توفـى أبـو سـلمة اسـترجعت وقلت : اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لـي خـيراً منهـا . ثـم رجعـت إلـى نفسي فقلت : من أين لي خير من أبي سلمة؟

فلما انقضت عدتي استأذن عليّ رسـول اللـه ﷺ : وأنـا أدبـغ إهابـاً لـي . فغسلت يدي وأذنت له . فوضعت له وسادة أدم حشـوها ليـف . فقعـد عليهـا فخطبني إلى نفسي فلما فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله ما بـي إلا يكـون بك الرغبة ولكني امرأة فيّ غيرة شديدة فأخاف أن ترى منـي شـيئاً يعذبنـي الله به ، وأنا امرأة قد دخلت في السن ، وأنا ذات عيال ، فقال رسول الله ﷺ : أمـا ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عز وجل عنك ، وأما ما ذكـرت مـن السـن فقد أصابني مثل الذي أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي .

قالت : فقد سلمت لرسول الله ﷺ فتزوجها رسول اللـه فقـالت أم سـلمة بعد : أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه رسول الله ﷺ .

﴿١٢﴾

وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ

(الزمر ١٧-١٨)

---

(١) يسترجع: يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

■ وفي هاتين الآيتين ذَكَــر الله البشرى لصنف من المؤمنين تميزوا بـالعزة التي تليق بالمؤمن لأنها من عزة الله وأن العـزة للـه ولرسـوله وللمؤمنـين فمـن ذاق حلاوة الإيمان لا تنحني هامته إلا لله الواحد الأحد في ركوع وسجود في الصلاة خاشعاً بين يدي رب العرش العظيم مالك الملك ، مالك يـوم الديـن ، رب العالمين مقبلاً عليه بجوارحه التي سكنت في الصلاة بسكون قلبه قـائلاً في افتتاح الصلاة : الله أكبر على صلة برب العالمين بقلبه ولسانه وروحه تالياً فاتحة الكتاب وما سميت الصلاة صلاة إلا أنهـا صلـة بـين العبـد وربـه كمـا يقول الله عز وجل في الحديث القدسي (قسمت الصلاة بينـي وبـين عبـدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قـال اللـه : حمدني عبدي . وإذا قال الرحمن الرحيم ، قال الله : أثنى عليّ عبـدي ، وإذا قال : مالك يوم الدين ، قال مجّدني عبدي أو فوض اليّ عبـدي ، فـإذا قـال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي مـا سـأل . فـإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل) .

(رواه مسلم)

وهكذا يدخل المؤمن في صلاته لا يعبأ بكبير أو عظيم أو ظالم لأنه بـين يدي رب العالمين الكبير المتعال ويستغرق فيها خاشعاً في ملكوت الله لا يعبأ بالدنيا وهمومها . ويخرج منها غانماً بخطاب رب العالمين ورضاه قانعاً في أموره بالاستعانة بالله وعبادته بإخلاص تملأه العزة والكرامة والطمأنينة بجـوار اللـه العزيز الحكيم واقفاً بين إخوانه المؤمنين في صفوف متراصة لا فرق بينهم من فروق أهل الدنيا والدنايا عزيزاً بالله العزيز قوياً بالله القوي كريمـاً باللـه الكريـم مصلياً على هاديه ورسوله الكريم محمـد عليـه الصـلاة والسـلام ، ومـن كـان هكذا مؤدياً صلاته بحقها لن يركع لطاغوت أو يسجد لجبار أو يعبد غـير اللـه لأنه يحس ساعتها بحقارة الإنسان وعبوديته وذلته وسخرته لهؤلاء الطواغيت الذين سـخروه لهـم فعبدهـم عبـادة حقيقيـة مـن دون اللـه أو عبـادة معنويـة باعتماده عليهم واعتبارهم أربابا عليا .

فالطواغيت من الطاغوت كانت أيام نزول الآيات هي الأصنام أو أرباب الأصنام من طواغيت الإنس والجن . . ومن أخطأ يوماً عن جهالة أو ضعف فأناب إلى الله ورجع تائباً إلى الطريق المستقيم أولئك لهم البشرى بالقبول في الدنيا والبشارة في الآخرة بالجنة والفوز برضوان الله في صفوف عباد الله يدخلون الجنة من أبوابها قائلين : الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ، ووصف الله المؤمنين هنا باجتناب عبادة الطاغوت بعبادتهم للرحمن الرحيم . التائبين بعد خطأ والعائدين بعد ضلال . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويفعلون ما يسمعونه من خير ، يحفظون ألسنتهم عن الفاحشة ولا يقولون إلا خيراً أو يصمتون ملتزمين بجوهر الخلال الحميدة والأفعال النافعة والأعمال الصالحة .

هؤلاء وصفهم الله بقوله : (أولئك الذين هداهم الله) . أي هداهم إلى سواء السبيل فعمروا دنياهم ليجنوا في آخرتهم (وأولئك هم أولو الألباب) أي ذو العقول الراجحة والأفئدة الواعية والنفوس الطيبة بالإحسان قولاً وسمعاً وعملاً .

﴿١٣﴾

لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

(الزمر ٢٠)

■ هذا صنف من المؤمنين المبشرين بالجنة العالية قطوفها دانية وصفهم بالتقوى بالإيمان الكامل والأعمال الصالحة من كل مغريات الدنيا ، وتقوى الله تعني خشية الوقوع في غضب الله الذي يجلب التعاسة في الدارين والعذاب الأليم في نار الجحيم . والرسول عليه السلام يقول في هذا المعنى : (اتقوا النار ولو بشق تمرة) .

والذين اتقوا ربهم : باجتنابهم الهوى والوقوع في شراك الشيطان الذي يأمر بالفاحشة وينهى عن المعروف سواء من شياطين الإنس أو الجن ويتقون عذاب الله وسخطه في الدنيا بطاعة الله والتمسك بشريعته وأركان الإسلام هؤلاء لهم في الجنة الدرجة العالية في غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار. ففي الصحيح : (إن في الجنة لغرفاً يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها) .

فقال أعرابي : لمن هي يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ : (لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام) .

(أخرجه الترمزي)

وروى الإمام أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في أفق السماء) .

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (قلنا يا رسول الله إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة فإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد . قال ﷺ : لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم ، ولو لم تذنبوا لجاء الله عز وجل بقوم يذنبون كي يغفر لهم .

قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال ﷺ : لبنة ذهب ولبنة فضة وبلاطها المسك الأذفر وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه) .

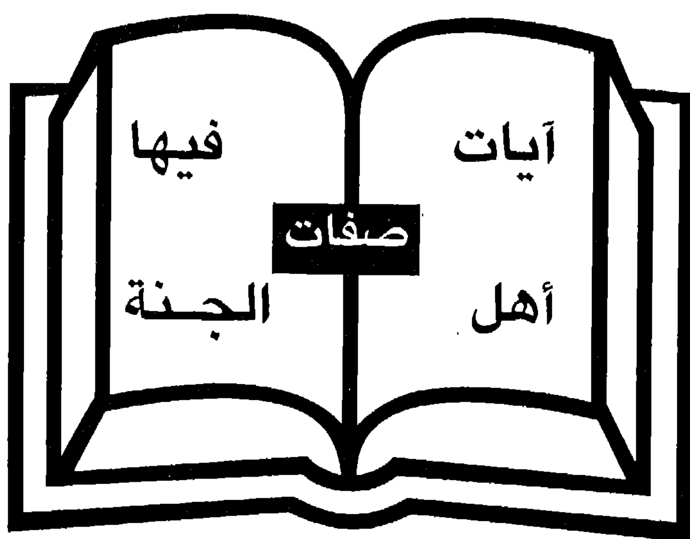
وقوله : (تجري من تحتها الأنهار) أي تسلك الأنهار من خلال ذلك كما شاءوا وأين أرادوا . .

وهذا وعد الله لعباده المؤمنين إن الله لا يخلف الميعاد .

هذه يا أخي المؤمن بعض آيات البشارة بالجنة لكل المؤمنين إذا التزموا بهذه الصفات التي وردت في وصف المبشرين وأصنافهم وما تحلوا به من صفاء القلوب وسلامة الصدور والإيمان الذي صدقه العمل الصالح .

وكن يا أخي المؤمن من المبشرين بالجنة في الحاضر باتباعك آيات البشارة في القرآن الكريم والتحلي بصفات أهلها أحباب الرسول عليه السلام الذين تباهى بهم عند أصحابه .

وصدق رسولنا المبشر حين قال : «ذهبت النبوة وبقيت المبشرات» .


آيات
فيها
صفات
أهل
الجـنة

آيات فيها صفات أهل الجنة

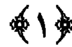
بعد أن استعرضنا آيات البشارة في القرآن الكريم التي ذكرت فيها صفات المبشرين بالجنة وقد اخترنا منها بعضها ولم نذكر كل آيات البشارة مكتفين بما ذكر تاركين المجال المتخصصين الباحثين ليستعرضوا كل آيات البشارة وما احتوت عليه من صفات للمبشرين بالجنة من أمة محمد عليه الصلاة والسلام خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

وكانت هذه الآيات المذكورة أمثلة حية بين يدي القارئ يستطيع بسهولة ويسر أن يتعرف على صفات المؤمنين أصحاب البشارة وما امتازوا به حتى استحقوا هذه المرتبة العالية من التكريم لهم في الدنيا قبل الآخرة من رب العالمين أرحم الراحمين غفار الذنوب قابل التوب الرؤوف بعباده الودود الحليم عسى أن يستبشر القارئ فيحرص كما حرص السابقون المقربون ويعمر دنياه ليكون من أهل الجنة المبشرين إن شاء الله وهذه غايتنا من كتابنا هذا أن يتنافس المتنافسون من أخوتنا المؤمنين القابضين على دينهم كالقابض على جمر في عصر الملهيات والمغريات وأساليب المسيح الدجال التي بدأت في الظهور فأنست الناس ربهم فأنساهم أنفسهم فكثر عدد الفاسقين **﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾** في خضم الحياة الصاخب وانشغال الناس بمتطلبات دنياهم المرهقة والتي لا تنتهي إلا بالموت والتي تقتضي من المسلم المؤمن أن يضع لنفسه معياراً يضبط به وقته بين دنياه وآخرته وبين حياته وموته وبين راعيه الأعلى ورعيته حتى يأتي الله بقلب سليم يمضي بقية عمره على الطريق المستقيم غير هيَّاب ولا وجل من لقاء الله لأنه عمل لآخرته كأنه يموت غداً ولدنياه كأنه يعيش أبداً **﴿وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾**

وهذه هي أبرز صفات المؤمن القوي الذي هو أحب إلى الله من المؤمن الضعيف . فلم يستسلم للفتن ولم تخر عزيمته أمام المحن .

وسنعرض في هذا الفصل آيات الجنة التي ذكرها القرآن الكريم يدعو المؤمنين إليها والناس أجمعين كل حسب طاقته من أعمال البر والصلاح والتقوى وثبات اليقين وعزة المؤمنين وسلوك المسلمين الصالحين والتي تدور في أغلبها بين الأيمان مقروناً بالعمل الصالح مع الإخلاص ومراقبة الله في كل أمورنا فتمتلئ قلوبنا طمأنينة وتنشرح صدورنا ونقبل على عبادتنا لله مستبشرين غير قانطين ولا يائسين . ﴿**إلا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ . وفي الطمأنينة الخشوع وفي الخشوع حلاوة الإيمان وحب الحياة في الدارين مسلحين بالإيمان الصحيح في ظل راية الإسلام الخالد مستهدين بوعد الله للمؤمنين بالجنة والرضوان والنجاة من النيران وسالكين بالإسلام شعار البشارة واليسر والرفق فنكون قدوة حسنة لغيرنا . . بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا . .

وهذه يا أخي المؤمن الآيات نستعرضها معاً لنأخذ منها على قدر طاقتنا صفات نتحلى بها علنا نكون من أهل الجنة . . إن شاء الله . .



﴿١﴾

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾

(البقرة ٨٢)

■ وفيها الإيمان مع العمل الصالح .

﴿٢﴾

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

(آل عمران ١٣٣-١٣٦)

■ وفيها صفات المتقين ومنها :

- الإنفاق في السراء والضراء .

وعند الغضب يكظمون الغيظ ويعفون عن الناس ويحسنون إلى من أساء إليهم .

ومن يفعل فاحشة يعود إلى الله بالتوبة العاجلة والاستغفار دون إصرار .

﴿٣﴾

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾﴾

(النساء ١٢٤)

■ وفيها عمل الصالحات مع الإيمان الصادق من الذكر والأنثى .

﴿٤﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

(الأعراف ٤٢-٤٣)

■ وفيها من صفات أهل الجنة :

الإيمان الصادق وعمل الصالحات ، والعمل في حدود الطاقة . (لا نكلف نفساً إلا وسعها) وبقية الصفات في الجنة بعد أن يدخلوها .

﴿٥﴾

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

(التوبة ١١١)

■ وفيها : الجهاد بالنفس والمال في سبيل الله .

﴿٦﴾

وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

(التوبة ٧١-٧٢) .

■ وفيها إن المؤمنين والمؤمنات أخوة في الله يتناصرون ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة أي يؤدونها على الوجه الأكمل ، ويؤتون الزكاة : أي يعطونها إلى مستحقيها ابتغاء وجه الله ، ويطيعون الله ورسوله : في كل أمر ونهي .

﴿٧﴾

۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾

(يونس ٢٦)

■ وفيها وعد من الله للذين أحسنوا في الدنيا بالإيمان والعمل وزيادة : أي النظر إلى وجه الله الكريم .

﴿٨﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾

(هود ٢٣)

■ وفيها : الإيمان وعمل الصالحات والإخبات إلى الله والاخبات هو الاطمئنان إلى الله والخشوع والانقطاع لعبادته .

﴿٩﴾

إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾

(مريم ٦٠)

■ وفيها : دخول الجنة بشرط التوبة المقرونة بالإيمان الصادق والعمل الصالح .

﴿١٠﴾

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾

(العنكبوت ٥٨-٥٩)

■ وفيها : الإيمان وعمل الصالحات والصبر والتوكل على الله فحسب وليس على غيره .

﴿١١﴾

لِّلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

(الرعد ١٨)

■ وفيها : وعد الله للذين استجابوا لله بالإيمان والطاعة والمثوبة إليه واتباع أوامره وتجنب نواهيه لهم الحسنى أي الجنة دار النعيم . وعكس ذلك للعصاة الذين لم يستجيبوا لله لهم جهنم وبئس المهاد .

﴿١٢﴾

مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

(غافر ٤٠)

■ وفيها : من عمل في هذه الدنيا سيئة فلا يعاقب في الآخرة إلا بمقدارها دون زيادة رحمة منه تعالى بالعباد .

ومن عمل في الدنيا العمل الصالح سواء كان ذكراً أو أنثى بشرط الإيمان فأولئك يدخلون الجنة .

﴿١٣﴾

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾

(الزخرف ٦٩-٧٠)

■ وفيها : التصديق بالقرآن والإسلام الصحيح وهو الاستسلام والطاعة له لرب العالمين بأركان الإسلام .

﴿١٤﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ

(الأحقاف ١٣-١٤)

■ وفيها : الذين جمعوا بين الإيمان والتوحيد والاستقامة على شريعة الله وأقاموا الدين . أولئك أصحاب الجنة جزاءً لما كانوا يعملون في دنياهم من الأعمال الصالحة .

﴿١٥﴾

سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴿٥﴾ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴿٦﴾

(محمد ٥-٦)

■ وفيها : جزاء المجاهدين والشهداء في سبيل الله فلن يبطل الله أعمالهم وسيهديهم إلى أماكنهم في الجنة ويصلح بالهم كما يقول الرسول عليه السلام : والذي نفسي بيده أن أحدكم بمنزله في الجنة أهدى منه بمنزله الذي كان في الدنيا .

﴿١٦﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾

(محمد ١٢)

■ وفيها : الجنة للذين آمنوا وعملوا الصالحات . والنار مثوى الذين كفروا .

﴿١٧﴾

﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾

(الفتح ٥)

■ وفيها : دخول المؤمنين والمؤمنات الجنة برحمة من الله لأنهم أطاعوا وجاهدوا . ويمحو عنهم خطاياهم وذنوبهم وكان هذا فضلاً من الله وفوزاً عظيماً بجنة الخلد .

﴿١٨﴾

﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ٣٢ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾

(ق ٣١-٣٥)

■ وفيها : تكريم المتقين بتقريب الجنة لهم بحيث تكون بمرأى منهم لكل مؤمن أوّاب رجاع إلى الله بالتوبة حفيظ لعهده وأمانته . يخشى الرحمن فيطيعه دون أن يراه لقوة يقينه وجاء بقلب تائب خاضع خاشع .

﴿١٩﴾

سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾

(الحديد ٢١)

■ وفيها : المسارعة إلى الإيمان وطلب المغفرة بالأعمال الصالحة ، والتمسك بأركان الإسلام والدعاء والذكر يوصل إلى دخول الجنة التي أعددت للمؤمنين المصدقين بالله ورسله .

﴿٢٠﴾

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا

يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾

(الفرقان ٦٣-٧٦)

■ وفيها : وعباد الرحمن : الإضافة هنا تعني التشريف والتكريم وتعني العباد الذين يحبهم الرحمن وهم جديرون بالانتساب إليه وهذه صفاتهم :

- يمشون على الأرض هوناً بسكينة ووقار لا يتبخترون تكبراً على عباد الله .
- وإذا جهل عليهم وخاطبهم الجاهلون بغلظة وسفاهة حلموا عليهم وقالوا سلاماً .
- والذين يحيون الليل بالصلاة ساجدين لله بجباههم أو قائمين على أقدامهم .
- والذين لا يغترون بأعمالهم الصالحة فيدعون ربهم أن ينجيهم من عذاب النار . وفي هذا خشوع وتقوى الله مشفقون خائفون من عذاب الله .

- وإذا أنفقوا كانوا معتدلين بتوسط فلا إسراف ولا تقتير لا مبذرين في انفاقهم في المطاعم والمشارب والملابس ولا مقصرين .
- ولا يدعون مع الله إلهاً آخراً بل يوحدونه مخلصين له الدين .
- ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق المشروع كدفاع عن النفس وجهاد في سبيل الله .
- ولا يزنون .
- والذين إذا أخطأوا تابوا إلى الله توبة نصوحة . ومن تاب وعمل عملاً صالحاً فإن الله يتقبل منه توبته ويكون مرضياً .
- والذين لا يشهدون الزور بالشهادة الباطلة التي يضيع معها حقوق الناس .
- وإذا مروا باللغو مروا كراماً . أي بمجالس اللهو بجميع أصنافه مروا معرضين مكرمين أنفسهم متعالين بها عن الشبهات .
- والذين إذا وعظوا بآيات القرآن لم يعرضوا عنها بل سمعوها بآذان واعية وقلوب خاشعة مستفيدين ومتعظين بما فيها من حكم ومواعظ وأوامر ونواه .
- والذين يضرعون إلى الله بالدعاء ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا مسرة وفرحا تقر عيوننا بهم بتمسكهم بطاعتك والعمل بمرضاتك .

واجعلنا للمتقين إماماً : أي قدوة حسنة بأعمالنا وأقوالنا وسلوكنا نقول ونفعل مهتدين صابرين صادقين . فيقتدي بنا الآخرون ويهتدي اللاهون .

هذه هي أوصاف أهل الجنة يا أخي القارئ فانظر لنفسك أين أنت منها كلها أو بعضها أو ببعض بعضها وهي سهلة يسيرة نستطيع تطبيقها والتحلي بها لأنها سبيل سعادتنا في الدنيا والآخرة . . **﴿ومن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾** فانظر يا أخي المؤمن أين تقصيرك واستكمله تجد الجنة مفتوحة لك إن شاء الله . ولا تغرنك الحياة الدنيا ولكن واسط بينها وبين روحانيتك وما فات يعوض والباب مفتوح قبل فوات الأوان الذي لا تدري متى يكون .

﴿٢١﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ⑧﴾

(المؤمنون ١-١١) .

■ وفيها : تأكيد الخبر بقد ، والماضي لأمر لم يأتِ بعد دليل على صدق الوعد وحقيقة الإنجاز لأنه صار في حكم الماضي الذي تحقق وشاهدناه بأم أعيننا ، وقد فاز وحصل على الفلاح والنجاح بالجنة كل من توفرت فيه هذه الصفات الجليلة وهي :

إذا تخلى المؤمن المصلي عن مفاتن الدنيا وبهرجها وهمومها فيسكن قلبه مع الله ويطمئن وبالتالي تفعل الصلاة فعلها في المؤمن فتصلحه وتريحه .

- والذين هم عن اللغو معرضون : أي عن الكذب والهزل والحديث أو الفعل الحرام . واللغو هو الباطل قولاً أو عملاً . فهم دائماً عفيفون في ألسنتهم كراماً في سيرتهم .
- والذين هم للزكاة فاعلون . يؤدونها لا مرآةً . ولكن بحقها ولأصحابها في وقتها . عن طيب نفس وحسن أداء .
- هم لفروجهم حافظون : أي يعفون عن الزنا واللواط وكشف [illegible] غير حقهم من زوجاتهم أو إمائهم المملوكات . والرسول ﷺ يقول : «عفوا تعفُّ نساؤكم» .

- والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون : فهم يحفظون الأمانات ولا يخونونها مهما طال الأمر . لأنه لا دين لمن لا أمانة له .

ويقومون عليها بالرعاية والنماء إن كانت قابلة لذلك ويدخل في الأمانات ما يؤتمن عليه الإنسان من قول أو فعل أو اعتقاد . إضافة إلى الودائع المالية وغيرها من العهود والمواثيق والشهادة بالحق فإذا قالوا أنجزوا ووفوا . وإذا وعدوا لم يخلفوا . .

- والذين هم على صلواتهم يحافظون : يواظبون عليها ويؤدونها في أوقاتها على أكمل وجه . وأجمل صورة لأنهم بها يدخلون حرم الله وبيته ولا يكون العبد في بيت سيده إلا غاية في الأدب والانتباه لا ينشغلون عنها فيضيعونها .

﴿٢٢﴾

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

(آل عمران ١٣٣-١٣٦)

■ وفيها :

- الدعوة والمبادرة والمسارعة من كل المؤمنين إلى المغفرة وذلك بالتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة والفرائض المكتوبة وذلك مفتاح الجنة التي أعدت للمتقين .
- والإنفاق وبذل الأموال في اليسر وفي العسر وفي الشدة وفي الرخاء في السر وفي العلن .

- والذين يكظمون غيظهم ولا يجرون وراء الشيطان المحرض لهم ساعة الغضب على الجريمة مع قدرتهم على الانتقام .
- ويعفون عمن أساء إليهم أو ظلمهم ، لا مؤقتاً ولكن نهائياً ولا يكون ذلك إلا بإتباعهم الإحسان لمن أساء إليهم وبذلك يقتلعون عنصر الشر من نفوسهم والغل من صدورهم ويأسرون المسيء إليهم فيردونه إلى الصواب خانعاً .
- والذين وقعوا في حبائل الشيطان فارتكبوا الفواحش والذنوب الكبيرة ذكروا الله وخافوا وعيده ورهبوه فأنابوا إليه ورجعوا إليه تائبين مستغفرين والله يحب التوابين ويعفو عن كثير . ويفرح بعودة المذنب ويقبله رحيماً به غفوراً ورؤوفاً .

والله يقول : ﴿**استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً**﴾ .

﴿٢٣﴾

إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

(المعارج ٢٢-٣٥)

■ وفيها :

- المصلون الذي يواظبون على أداء الصلاة ويديمون استعدادهم لها دون أن يشغلهم شاغل ينتظرونها من الصلاة إلى الصلاة ، لأنهم وجدوا فيها راحتهم وسلوتهم من عناء الحياة .
- والمزكون أموالهم والمتصدقون على اليتامى والمساكين ومصارف الزكاة .
- والذين يصدقون بيوم الدين : أي يؤمنون بيوم الحساب والجزاء يصدقون القرآن والرسول في كل ما جاء بشأن يوم الدين فيهرعون إلى الله خائفين مشفقين من هوله فيصلح حالهم ويصح دينهم . ويستعدون له بالأعمال الصالحة واللسان الذاكر واليد المنفقة ـ لأنهم لا يأمنون عذاب الله .
- والذين هم لفروجهم حافظون فلا يرتكبون المحرمات ويكتفون ويقنعون بأزواجهم الحلال .
- والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون : يحفظون الأمانات واذا عاهدوا لم يغدروا
- والذين هم بشهاداتهم قائمون يشهدون بالحق ولو على أنفسهم أو أقرب المقربين ولا يكتمون الشهادة ولا يغيرونها .
- ويحفظون صلاتهم تامة غير منقوصه في مواعيدها .

﴿٢٤﴾

إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا

قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾
وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾

(الإنسان ٥ ـ ١٢)

▫ وفيها يقول تعالى :

إن الأبرار اليوم الذين كانوا في الدنيا أبراراً بطاعتهم لله رب العالمين وإيمانهم الصادق يشربون من كأس ممزوجة بأنفس أنواع الطيب فواحة برائحتها تزيد الشارب إمتاعاً بالرائحة مع إمتاع الذوق اللذيذ . والكافور اسم عين ماء في الجنة تمتزج الكأس بماء هذا العين وتختم بالمسك فتكون ألذ شراب . هذه العين يشرب منها عباد الله المخلصون المتقون ويسوقونها معهم أينما توجهوا .

ولمّا ذكر ما استحقوه من ثواب كريم بين صفاتهم التي أوصلتهم إلى هذه الدرجة من التكريم في الجنة فقال :

- إنهم يوفون بنذورهم وما قطعوه لله على أنفسهم طاعة وتقرباً من صلاة وزكاة وصدقات . .الخ .
- ويخافون هول يوم القيامة وشدائده التي يستطير شره حتى ترهبه السماوات والأرض . فقدموا لله من الأعمال الصالحة ما أنجاهم من شر هذا اليوم .
- ويطعمون الطعام مع حبهم له ويؤثرون به المحتاجين من مساكين ويتامى وأسرى حرب . يؤثرونهم على أنفسهم بطيب نفس وحب للخير . يجودون من مال الله على عباد الله . لوجه الله فحسب لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً .
- وكانوا يعدون العدة في الدنيا بالطاعات والنوافل والإحسان لخلق الله خوفاً من يوم الحساب الذي تعبس فيه الوجوه ليقوا أنفسهم شره وفظاعته . إنه يوم عبوس قمطرير شديد عصيب ، يوم لا تنفع فيه إلا أعمال الخيرات .

﴿٢٥﴾

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾

(النازعات ٤٠-٤١)

■ وفيها : من صفات المؤمنين صفتان تتحكمان في مصير العدالة والإنصاف وإحقاق الحق وقوة الشخصية المسلمة والصلة الصادقة بين المؤمن وربه والانتصار على الشيطان من خلال الانتصار على النفس الأمارة بالسوء وهما :

الأولى : استحضار مقام الربوبية العالي الذي يخنس الشيطان معه ويفر ويهزم وتملأ قلب المؤمن عزة بالله وطاعة لأوامره ونواهيه وخشية من ذلك الموقف العظيم كيف يقف المؤمن بين يدي الله ، تعرض عليه صحيفته فلا يستطيع منها فراراً أو لما فيها إنكاراً .

الثانية : انتصاره على نفسه وعواطفه بقبول الحق وزجرها عن المعاصي وكفها عن الشهوات التي حفت بها النار ومنها يدخل الشيطان إلى قلب الإنسان فيضله أو يسوقه أسيراً لشهواته يفعل من خلالها كل المحرمات والمعاصي ، وكم فعل الهوى في إفساد أمم ، وكم ملئت السجون نتيجة حكم الهوى وهو الحكم بالعاطفة وميل النفس . حتى قالوا : (آفة الرأي الهوى) ، فما كان الهوى في شيء إلا أفسده لأنه يجعل العاقل أحمق أرعن .

والهوى بوابة الظلم وضياع الحقوق وشهادة الزور وخراب الذمم .

فيا أخي المؤمن لا تحكم بهواك يحكم الناس عليك بهواهم وتكن ضحية الهوى وفساد الرأي . والله يقول : ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ .

وفي موضع آخر يقـول تعـالى ﴿ولا يجرمنّكـم شـنئان قـوم علـى ألا تعدلـوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ .

والعدل يتنافى مع الهوى . كما يقول تعالى : ﴿فأمـا مـن طغـى وآثـر الحيـاة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى﴾ .

فالطغيان هنا مجاوزة الحـد والحكـم بـالهوى والظلـم فـي سـبيل شـهوات الحياة الدنيـا الفانيـة . . ولكـن جـزاء هـؤلاء الطغـاة الجحيـم وبئـس العـذاب الأليم .

﴿٢٦﴾

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾

(آل عمران ١٥-١٧)

■ وفيها : صفات هؤلاء المؤمنين المتقين الذين أكرمهم ربهـم بـالخلود فـي دار النعيم وهي :

- الذين يقولون ربنا آمنا بك وبكتبك ورسلك واليوم الآخر .
- ويدعون الله أن يغفر لهم بفضله ورحمته وأن ينجيهم من عذاب النار .
- الصـابرين علـى البأسـاء والضـراء والصـادقين فـي إيمـانهم قـولاً وعمـــلاً والمطيعين لله في الشدة والرخاء والمنفقين الذين يبذلون أموالهم في وجوه الخير والمستغفرين بالأسحار قبيل طلوع الفجر .

﴿٢٧﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾

(الكهف ١٠٧-١٠٨)

﴿٢٨﴾

وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

(طه ٧٥-٧٦)

﴿٢٩﴾

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾

(الحج ١٤)

﴿٣٠﴾

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾

(الحج ٥٦)

﴿٣١﴾

خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾

(لقمان ٩)

﴿٣٢﴾

تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

(الشورى ٢٢)

﴿٣٣﴾

يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾

(التغابن ٩)

﴿٣٤﴾

فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾

(نوح ١٠-١٢)

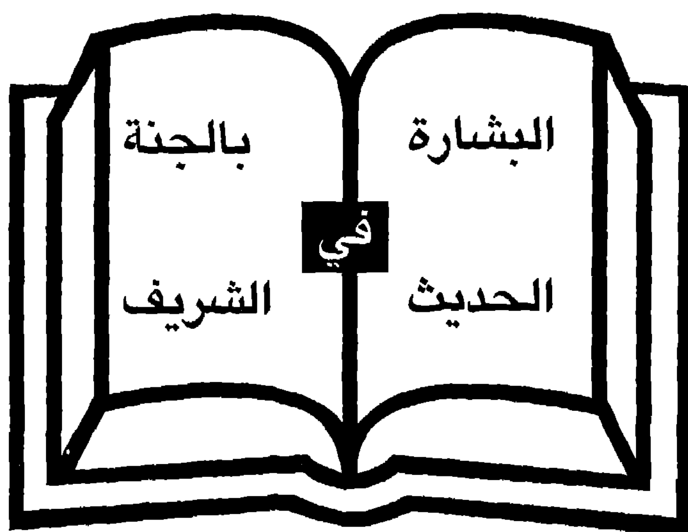
﴿٣٥﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿١١﴾

(البروج ١١)

وهكذا أيها الأخ المؤمن تجد الجنة ثواباً للمؤمنين الذين صدقوا إذ ا[illegible] بالأعمال الصالحات في كل ما مرّ من آيات مبشرات بالجنة . فالإيمان و[illegible] لا ينفع والعمل الصالح وحده مجرداً من الإيمان لا ينفع . ولا بد منهما [illegible] إيمان صادق وعمل صالح وصدق رسول الله حين أوجز هذا وجمعه في [illegible] بليغ فقال (الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل) .

وعن الحارث بن سويد قال : (دخلت على عبد الله أعوده مريض [illegible] بحديثين : حدثنا عن نفسه وحدثنا عن رسول الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض [illegible] معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدرك العطش ثم قال : ارجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده


البشارة
بالجنة
في
الحديث
الشريف

البشارة في الحديث الشريف

وهذه أحاديث البشارة وأصحاب الجنة من أمة محمد ﷺ كما وردت في كتاب (مسلم) (وكتب الحديث الشريف مليئة بهذه الأحاديث) مرتبطة بسلوك المؤمنين والمسلمين في حياتهم وما اختص الله به نبينا محمداً عليه السلام نبي الرحمة والشفاعة من مقام محمود لم يعطه لأحد من الأنبياء عليهم السلام يوم الموقف العظيم في المحشر المهيب يوم لا ينفع مال ولا بنون ، يوم ينكشف المستور وتعرض الأعمال وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الكرب والغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيذهبون إلى الأنبياء آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام يرجونهم الشفاعة لهم عند رب العالمين وكل واحد منهم يقول : نفسي نفسي حتى يقول عيسى عليه السلام : اذهبوا إلى محمدٍ عليه السلام فهو الشفيع عند الرؤوف السميع .

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً)

(٩٥ مختصر صحيح مسلم)

٢ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : (أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في إبراهيم عليه السلام (رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني ، فإنك غفور رحيم) .

وقال عيسى عليه السلام : (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فرفع يديه وقال : اللهم أمتي أمتي وبكى ، فقال الله : يا

جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره النبي ﷺ بما قال وهو أعلم ، فقال تعالى : يا جبريل اذهب إلى محمدٍ فقل له : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك) .

(٩٦ مختصر صحيح مسلم)

٣ ـ عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : كانت علينا رعاية الإبل فجاءت نوبتي فروحتها[1] بغشيٍّ فأدركت رسول الله ﷺ قائماً يحدث الناس فأدركت من قوله : (ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة) . قال : فقلت : ما أجود هذه . فإذا قائل بين يديّ يقول : التي قبلها أجود ، فنظرت فإذا عمر رضي الله عنه قال : إني رأيتك حين جئت آنفاً قال : (ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء) .

(١٤٣ مختصر صحيح مسلم)

٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مستها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب)

(١٢١ مختصر صحيح مسلم)

---

(١) رودتها إلى المراح.

٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قال : بلى يا رسول الله قال : إسباغ الوضوء على المكارة وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط) .

(١٣٣ مختصر صحيح مسلم)

٦ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك قال : صدق ، قال : فمن خلق السماء؟ قال الله . قال : فمن خلق الأرض؟ قال : الله . قال فمن نصب الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال الله . قال فبالذي خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال الله أرسلك؟ قال : نعم . قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا قال : صدق ، قال : فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال : نعم . قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا قال : صدق . قال : فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال : نعم . قال : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً . قال : صدق ثم ولّى قال : والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن فقال النبي ﷺ (لئن صدق ليدخلن الجنة) .

(٢٠١ مختصر صحيح مسلم)

ويبدو أن هذا قبل فرض الصوم .

٧ ـ عن أبي بكر بن عمارة بن رؤيبة عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) يعني الفجر والعصر . فقال له رجل من أهل البصرة : (أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال : نعم ، قال الرجل : وأنا أشهد أني سمعته من رسول الله ﷺ سمعته أذناي ووعاه قلبي)

(مختصر ٢٠٨)

٨ ـ عن محمود بن لبيد : أن عثمان بن عفـان رضـي اللـه عنـه أراد بنـاء المسجد فكره الناس ذلك وأحبوا أن يدعه على هيئته فقـال : سـمعت رسـول الله ﷺ يقول : (من بنى مسجداً لله بنى الله له بيتاً في الجنة) .

٩ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (من سـبح للـه دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين ، وكـبر ثلاثـاً وثلاثـين فتلك تسعة وتسعون وقال تمام المائة لا إلـه إلا اللـه وحـده لا شـريك لـه ، لـه الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه ولو كـانت مثـل زبـد البحر) .

(٣١٤ مختصر)

١٠ ـ عن أم حبيبة زوج النبي ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقـول : (مـا من عبد مسلم يصلي لله كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة) قالت أم حبيبة فما برحت أصليهـن بعـد . وفـي روايـة أخرى يوم وليلة .

(٣٧٠ مختصر)

١١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قـال : (سـبعة يظلمهـم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظلـه : الإمـام العـادل ، وشـاب نشـأ بعبـادة اللـه ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا فـي اللـه اجتمعـا عليـه وتفرقـا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجـل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله[1] ورجل ذكـر اللـه خالياً ففاضت عيناه)

(٥٣٧ مختصر)

(١) والصحيح الثابت عند البخاري وغيره من الأئمة: حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

١٢ ـ عن أبي ذر رضي الله عنه : (أن أناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ : يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال : أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة . قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر) .

(٥٤٥ مختصر)

١٣ ـ عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : (إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل ، فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السُّلامى[1] فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار)

(٥٤٦ مختصر)

١٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (قال رجل لأتصدقن الليلة بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية فأصبحوا يتحدثون : تُصَدِّق الليلةَ على زانية! لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد غني . فأصبحوا يتحدثون : تُصُدِّقَ على غني! قال : اللهم لك الحمد على غني! لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق فأصبحوا يتحدثون : يُصُدِّق على سارق! فقال اللهم لك الحمد على زانية وعلى غني وعلى سارق! فأُتي فقيل له : أما صدقتك فقد قبلت ، أما الزانية

(١) السّلامى بالضم: هو المفصل في جسم الإنسان.

فلعلها تستعف بها عن زناها ، ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله ، ولعل السارق يستعف بها عن سرقته) .

(٥٤٧ مختصر)

١٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) .

(٦٤٠ مختصر)

١٦ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (من أتى هذا البيت فلم يرفث[١] ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) .

١٧ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (يا أبا سعيد : من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة . فتعجب لها أبو سعيد فقال : أعدها عليّ يا رسول الله ففعل ثم قال : وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض . قال : وما هي يا رسول الله؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، الجهاد في سبيل الله) .

(١٠٧١ مختصر)

١٨ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه : (أن رسول الله ﷺ كان يدخل على أم حرام بنت ملحان[٢] فتطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله ﷺ يوماً فأطعمته ثم جلست تفلي من رأسه فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك قالت : فقلت : ما يضحكك يا رسول الله؟ قال : ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا

---

(١) يرفث: معناه الجماع بين الرجل والمرأة

(٢) كانت محرماً له عليه السلام

البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة (يشك أيهما قال) قالت: فقلت يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها. ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك قالت: فقلت ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله (كما قال في الأول) قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال: أنت من الأولين).

(١٠٧٤ مختصر)

فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمن معاوية مع المجاهدين بالأسطول فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر إلى أرض جزيرة قبرص فهلكت. ويعرف اليوم قبرها في قبرص بقبر المرأة الصالحة.

١٩ - عن سهل بن حنيف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (من سأل الله الشهادة بصدق بلغة الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه).

(١٠٧٨ مختصر)

٢٠ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل لله).

(١٧٦٧ مختصر)

٢١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة) وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى.

(١٧٦٦ مختصر)

٢٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فُضُلاً يبتغون مجلس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال: فيسألهم الله عز

وجل وهو أعلم بهم : من أين جئتم؟ فيقولون : جئنا من عنـد عبـاد لـك فـي الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسـألونك قـال : ومـاذا يسألونني؟ قـالوا : يسـألونك جنتـك ، قـال : وهـل رأوا جنتـي؟ قـالوا : لا أي رب . قـال : فكيـف لـو رأوا جنتـي؟ قـالوا : ويسـتجيرونك . قـال : وممـا يستجيرونني؟ قالوا : من نارك يا رب قال : وهل رأوا نـاري؟ قـالوا : لا . قـال : فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا : ويستغفرونك قال : قد غفـرت لهـم وأعطيتهـم مـا سألوا وأجرتهم مما استجاروا . قال : فيقولون : يا رب فيهم فلان عبدٌ خطاء إنمـا مرّ فجلس معهم قال : وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) .

(١٨٩٠ مختصر)

٢٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسـنة ومحيـت عنـه مائة سيئة وكان له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسـي ولـم يـأتي أحـد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك ، ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر) .

(١٩٠٨ مختصر)

٢٤ ـ عن أبي هريرة قال : (قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لـو لـم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم) .

(١٩٢٢ مختصر)

٢٥ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنـه عـن النبـي ﷺ قـال : «إن للـه مائـة رحمة أنـزل منهـا رحمـة واحـدة بـين الجـن والإنـس والبهـائم والهـوام فيهـا يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وآخّر تسعاً وتسـعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة»

(١٩٢٤ مختصر)

٢٦ ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «قدم على رسول الله ﷺ سبي فإذا امرأة من السبي تبتغي[1] إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا رسول الله ﷺ ترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله ﷺ لله أرحم بعباده من هذه بولدها»

(١٩٢٦ مختصر)

٢٧ ـ عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عز وجل إنهم يجعلون له نداً ويجعلون له ولداً وهو مع ذلك يرزقهم ويعافيهم ويعطيهم»

(١٩٢٨ مختصر)

٢٨ ـ عن أبي سلمة عن عبد الرحمن بن عون قال: «قال رسول الله ﷺ فرض الله عليكم شهر رمضان وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيماناً وإحتساباً خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه».

(أخرجه أحمد ١/١٩١)

٢٩ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله إذا مات فحرّقوه ثم أذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فو الله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين فلما مات الرجل فعلوا به ما أمرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال لِمَ فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب وأنت أعلم فغفر الله له».

(١٩٣٤ مختصر)

---

(١) تبحث عن ولدها

٣٠ ـ عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله ﷺ في المسجد ونحن قعود معه إذ جاء رجل فقال يا رسول الله إني أصبت حداً فأقمه عليّ. فسكت عنه رسول الله ﷺ ثم أعاد فقال يا رسول الله إني أصبت حداً فأقمه عليّ فسكت عنه. وأقيمت الصلاة فلما انصرف نبي الله ﷺ قال أبو أمامة: فاتبع الرجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني أصبت حداً فأقمه عليَّ. فقال أبو أمامة فقال له رسول الله ﷺ: «أرأيت حين خرجت من بيتك أليس قد توضأت فأحسنت الوضوء؟ قال بلى يا رسول الله. قال: ثم شهدت الصلاة معنا؟ فقال: نعم يا رسول الله. فقال له رسول الله ﷺ: «فإن الله قد غفر لك حدك أو قال ذنبك».

(١٩٦٣ مختصر)

٣١ ـ بشارة النبي للذين يأتون من بعده:

أخرج أبو يعلى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «كنت مع النبي ﷺ جالساً فقال: أنبئوني بأفضل أهل الأرض إيماناً؟ قالوا يا رسول الله «الملائكة» قال: «هم كذلك يحق لهم ذلك، وما يمنعهم من ذلك وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها؟ بل غيرهم».

قالوا: يا رسول الله «الأنبياء» الذين اكرمهم الله برسالته والنبوة قال: «هم كذلك ويحق لهم وما يمنعهم وقد اكرمهم الله بالمنزلة التي أنزلهم بها؟ قالوا: يا رسول «الشهداء» الذين استشهدوا مع الأنبياء قال: «هم كذلك يحق لهم، وما يمنعهم وقد أكرمهم الله بالشهادة؟ بل غيرهم، قالوا: فمن يا رسول الله؟ قال: «أقوام في أصلاب الرجال يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، ويصدقون بي ولم يروني، يجدون الورق المعلق[1] فيعملون بما فيه، فهؤلاء أفضل أهل الأرض إيماناً»

الهيثمي (٦٥/١٠)

(١) المراد به: المصحف

٣٢ـ وعن أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ طوبى لمن رآني وآمن بي ، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني» «سبع مرات»

(الهيثمي ١٠/٧)

وعن أحمد عن أبي جمعة رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقال : يا رسول الله أحد أفضل منا؟ اسلمنا معك وجاهدنا معك فقال «نعم قوم يكونون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني»

(الهيثمي ١٠/٦٦)

٣٣ـ في قوله تعالى : «إن الحسنات يذهبن السيئات»

«عن عبد الله بن مسعود قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني عالجت[1] امرأة في أقصى المدينة واني أصبت منها ما دون أن أمسها فأنا هذا فاقض بما شئت فقال له عمر : لقد سترك الله لو سترت نفسك . قال : فلم يرد النبي ﷺ شيئاً فقام الرجل وانطلق فاتبعه الرسول ﷺ رجلاً دعاه فتلا عليه هذه الآية : «أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين . فقال رجل من القوم : يا بني الله هذا له خاصة؟ قال : «بل للناس كافة»

(٢١٤٣ مختصر)

٣٤ـ وفي قوله تعالى ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾

(الانعام ١٦٠)

وردت الأحاديث مطابقة لهذه الآية (كما روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال فيما يروي عن ربه وتبارك وتعالى : «إن ربكم عز

---

(١) عالجت: فعلت كل شيء ما عدا الجماع

وجل رحيم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشراً إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة ومن هَمَّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له واحدة أو يمحوها الله عزوجل ولا يهلك على الله الا هالك . .»

(رواه البخاري ومسلم والنسائي)

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «يقول الله عزوجل من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن عمل سيئة فجزاؤه مثلها أو أغفر ، ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة ومن اقترب الي شبراً اقتربت اليه ذراعاً ومن اقترب الي ذراعاً اقتربت إليه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة» .

(رواه مسلم وابن ماجه)

وورد عن خزيم بن فاتك الأسدي أن النبي ﷺ قال : «ان الناس أربعة والأعمال ستة ، فالناس موسع له في الدنيا والآخرة ـ وموسع له في الدنيا مقتور عليه في الآخرة .

ـ ومقتور عليه في الدنيا موسع له في الآخرة ـ وشقي في الدنيا والآخرة .
والأعمال : موجبتان ـ ومثل بمثل ـ وعشرة أضعاف ـ وسبعمائة ضعف .

فالموجبتان :
من مات مسلماً مؤمناً لا يشرك بالله شيئاً وجبت له الجنة .
ومن مات كافراً وجبت له النار .
ومن هم بحسنة فلم يعملها فعلم الله أنه قد أشعرها قلبه وحرص عليها كتبت له حسنة .
ومن هم بسيئة لم تكتب عليه . ومن عملها كتبت له واحدة ولم تضاعف عليه .

ومن عمل حسنة كانت له بعشر أمثالها .
ومن أنفق نفقة في سبيل الله عزوجل كانت بسبعمائة ضعف» .

(رواه أحمد والترمذي والنسائي)

أرأيت يا أخي المؤمن كيف أن الله رحمن رحيم غفور كريم غافر الذنب قابل التوبة لمن أقبل عليه بقلب سليم وعمل صالح وايمان صادق ودعاء واستغفار وتسبيح وتحميد وتهليل وصدقة في السر وفي العلن واقامة لاركان الاسلام . فعد لربك مهما كانت ذنوبك تجد الله تواباً رحيماً . وتكن من المبشرين بالجنة في الحاضر ، على هدى المبشرين بالجنة في الماضي .

حديث الشفاعة

أخي المؤمن : وردت أحاديث الشفاعة التي خصها تعالى رب العرش العظيم بمحمد رسوله وحبيبه خاتم الأنبياء يخرج بها من يشاء من أمته من هول الموقف العظيم يوم الحساب يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد . أو يخرج من يشاء من أمته العصاة من الجحيم في نار جهنم يشفع لهم عند الله تعالى فيعطيه الشفاعة وهي المقام المحمود الذي وعده من بين أنبياء الله ليكون أمامهم جميعاً وتكون أمته وسطاً بين الأمم يؤذن لها بالسجود فلا يسجد لله يوم الهول العظيم الا أمة محمد لأن بقية الأمم تخلت عن رسلها وعبدت آلهة أخرى تتبعها وتحرق معها في نار جهنم خالدين فيها لأن أنبياء هم قد دعوا عليهم بالهلاك في الدنيا قبل أن يموتوا فأخذهم الله أخذاً وبيلاً الا الذين آمنوا منهم يظلون مع أنبيائهم فيسجدون مع أمة محمد عليه السلام ليرضى الله عنهم أجمعين .

وقد وردت كثير من الأحاديث في شفاعة الرسول عليه السلام بصيغ مختلفة حسب ما سمعت من الرواة . في كتب الأحاديث المشهورة البخاري ومسلم والنسائي وأحمد والترمزي الخ .

وقد اخترت هذا الحديث من بينها كما ورد في البخاري جـ٩ ص١٢١ «حدثنا معاذ بن فضالة ، حدثنا هشام عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ قال : «يجمع الله المؤمنين ـ وفي روايات الناس ـ يوم القيامة كذلك فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أما ترى الناس؟ خلقك الله بيده وأسجد لك

ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول : لست هُناكم .

ويذكر لهم خطيئته التي أصاب . ولكن ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحاً فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب . ولكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن فيأتون ابراهيم فيقول : لست هناكم . ويذكر خطاياه التي أصاب ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمة تكليماً فيأتون موسى فيقول : لست هناكم ويذكر لهم خطيئته التي أصاب ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه فيأتون عيسى فيقول : لست هناكم ولكن ائتوا محمداً - ﷺ - عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتونني فانطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه فاذا رأيت ربي وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال لي ارفع محمد ، وقل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع فأحمد ربي بمحامد علّمنيها ثم أشفع فيُحدّ لي حداً فأدخلهم الجنة .

ثم أرجع فاذا رأيت ربي وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال : ارفع محمد ، وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأحمد ربي بمحامد علّمنيها ربي ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع فاذا رأيت ربي وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال :

ارفع محمد ، قل يُسمعْ ، وسل تعطه واشفع تشفع فأحمد ربي بمحامد علمنيها ربي ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أرجع فأقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود .

قال النبي - ﷺ - : يخرج من النار من قال : لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة . ثم يخرج من النار من قال : لا إله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة (حبة قمح) . ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة .[1]

(١) الأحاديث القدسية ١-٢

حديث رؤية الله رؤيا العين

حدثني سويد بن سعيد حدثني حفص بن ميسرة عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً في زمن رسول الله ـ ﷺ ـ قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ـ ﷺ ـ نعم .

قال : هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب؟ قالوا لا يا رسول الله قال : ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى الاكما تضارون في رؤية أحدهما . إذا كان يوم القيامة اذن مؤذن : ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب الا يتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وَغُبَّرِ أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبه ولا ولد فماذ تبغون؟ ما كنتم تعبدون؟ قالوا : نعبد عزيراً ابن الله فيقال : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار .

ثم تدعى النصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون؟ قالوا : كنا نعبد المسيح ابن ا لله فيقال لهم : ماذا تبغون؟

فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين ـ سبحانه وتعالى ـ في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال فماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد .

قالوا : يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً ـ مرتين أو ثلاثاً ـ حتى إن بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول : هل بينكم وبينه آية؟ فتعرفونه بها؟ فيقولون : نعم فيكشف عن ساقٍ فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا اذن الله له بالسجود .

ولا يبقى من كان يسجد اتقاءاً ورياءاً الا جعل الله ظهره طبقة واحدةً كلما اراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول إلى صورته التي رأوه فيها أول مره فقال :

أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون : اللهم سلّم . سلّم . قيل : يا رسول الله وما الجسر؟ قال : دَحْضٌ مَزِلَّة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكه تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعّدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلّم ومخدوش مرسل ومكلوش في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من الّنار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لأخوانهم الذين في النار يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون : ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً .

ثم يقولون ربنا لم تذر فيها أحداً ممن أمرتنا ثم يقول :

ارجعوا فمن وجدتم في قبله مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون :

ربنا لم نذر فيها خيراً .

وكان **أبو سعيد الخدري يقول** : ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا ان شئتم : (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنةً يضاعفها ويؤتي من لدنه أجراً عظيماً) .

فيقول الله عزوجل : شفعت الملائكة وشفع النبيّون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين . فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوم لم يعملوا خيراً قط . قد عادوا حُمماً فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل . الا ترونها إلى الحجر ــ أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون إلى الظل يكون أبيض فقالوا : يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال : فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة . هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول :

ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين فيقال : لكم عندي أفضل من هذا فيقولون : يا ربنا أي شيء أفضل من هذا؟

فيقول : رضاي فلا اسخط عليكم بعده أبداً[١] .

(١) الاحاديث القدسية ١ ـ ٢ ص٣٨٥

إحصائية تقريبية تبشيرية

أخي المؤمن : استعرضت سور القرآن الكريم في محاولة مني لحصر ما ورد فيها من دلائل رحمة الله بعباده ليستبشروا ويزدادوا ايماناً مع إيمانهم ويرتقوا بدرجة أعمالهم إلى الكمال وينعموا في حياتهم بنعمة الاسلام عن ثقة ويقين بأن الله رفيق بعباده يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر . وأن ابواب الجنة مفتوحة لكل من قال لا اله الا الله محمد رسول الله باخلاص وصدق . وان باب التوبة مفتوح في الليل وفي النهار للمستغفرين التائبين ولو كانت ذنوبهم كزبد البحر . لأن رحمة الله ان ضاقت في الدنيا فهي في الآخرة واسعة تشمل أمة محمد عليه الصلاة والسلام بالمقام المحمود . الذي يبعثه الله عليه وهو الشفاعة . وبحب الله لهذه الأمة الوسط خير أمة أخرجت للناس لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر التي تشملها رحمته بعد ان تغلق أبواب النيران على الخالدين فيها ، فتقف عند هذا الحد شفاعة نبينا بعد أن تخرج بشفاعته من السعير أفواج المسلمين من أصحاب النار اللاهين في دنياهم المقصرين في عباداتهم بعد ان يكرر في استئذان رب العالمين في الشفاعة في أصناف هؤلاء المسلمين على دفعات إلى ان يرجع في المرة الأخيرة إلى ربه ويقول : يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود . وهنا يكون قد خرج بشفاعة الرسول من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة وما يزن بُرةً (حبة قمح) وما يزن ذرة فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره .

وسأعرض ما توصلت اليه من ارقام في هذه الاحصائية لتعلم ان الله جدير بالعبادة والشكر لذاته وليس طمعاً في جنته أو خوفاً من ناره ولكن حباً

فيه وتعظيماً له وتقديساً وتنزيهاً واقراراً عملياً بما أنعمه علينا وحبانا به من آلاء ورعاية في الدنيا وفي الآخرة .

فأقبل على ربك يا أخي المسلم بقلبك السليم وشكرك له بذكره فمن ذكره فقد شكره ولا يحبسنك ذنبك عن الرجوع إلى الله فهذه بشرى الرسول ﷺ المبشر يقسم لنا ويقول :

والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم»

أقبل على ربك ولا تكن من القانطين وعجل بالتوبة قبل فوات الآوان تكن إن شاء الله من المبشرين بالجنة في الحاضر وصدق رسولنا المبشِّر حين قال : «ذهبت النبوة وبقيت المبشّرات» .

فاستبشر معي باستعراض الإحصائية التقريبية لتملأ قلبك يقيناً أن الله رحمن رحيم ، لا يلتقي القنوط من رحمة الله مع الإيمان بالله أرحم الراحمين .

وهذه هي أرقام الاحصائية الاولية

وجدت آيات الرحمة وأرحم الراحمين ،	←	٧٩
والرحمن والرحيم	←	١٧٢
ورحيمـا ١٧٢ مـرة عدا بسم الله الرحمن الرحيم في السور	←	١١٤
وغفر يغفر غفار غفور الخ	←	١٩٤
وتاب يتوب تواب . .الخ	←	٧٦
رؤوف	←	١١
البسملة	←	١١٤
مجموع آيات الرحمة والغفران والتوبة والرأفة	←	٦٤٦
شديد العذاب ـ عذاباً شديداً ـ . .الخ	←	٢٦
شديد العقاب	←	١٤
مجموع آيات العذاب الشديد والأليم والعقاب	←	٤٠

النتيجة

آيات الرحمة والغفران
والتوبة والرأفة
٦٤٦
مرة

﴿قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم﴾

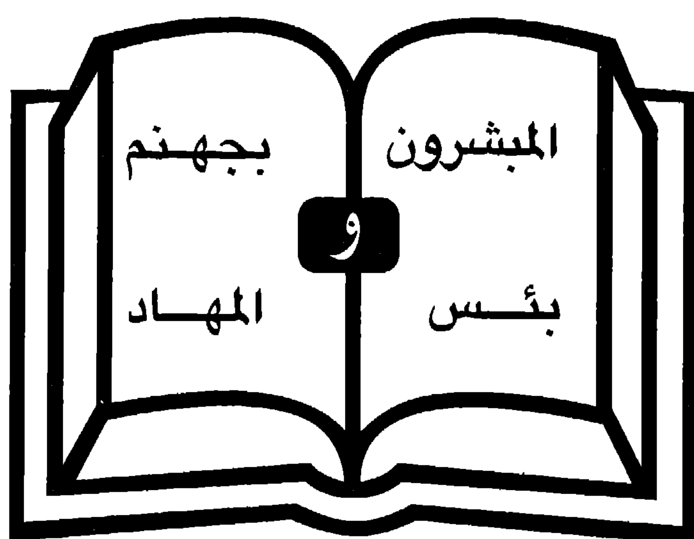
﴿ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾

آيات العذاب الشديد
والأليم والعقاب
٤٠
مرة

﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾ «الأحزاب ٧٣»

وإياك أخي المسلم والظلم ، فإن الظلم ظلمات وجزاؤه في الدنيا يعجل به ولو بعد حين ، ودعوة المظلوم مستجابة فلا تكن من الظالمين تهلك .

مهما غرك المنصب أو الجاه أو المال أو النفس الأمارة بالسوء لأن الله يقول : ﴿إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾


المبشرون
بجهنم
و
بئس
المهاد

المبشرون بجهنم

وبئس المهاد

أخي المؤمن : رأيت ان أعنون هذا الفصل من الكتاب بعنوان «المبشرون بجهنم وبئس المهاد» حتى تكون على بينة من أمرك بعد أن عرفت صفات المبشرين بالجنة من أمة خاتم النبيين نبي الشفاعة الوحيد يوم القيامة محمد ﷺ واخترت من القرآن الكريم آيات «جهنم» و«الجحيم» «والسعير» «والنار» «والهاوية الخ» .

ولم اذكر الآيات المكررة حتى لا أطيل في تبرير جمال التكرار في القرآن الكريم وضرورته حسب المقام الذي ورد فيه . فتكرار القرآن الكريم من لدن عليم حكيم «كتاب فصلت آياته» بلسان عربي مبين . أعجز البلغاء بأسرار بلاغته وأدهش سلاطين البيان عند فصاحته وفاق كل الخبراء في صياغة القوانين في دقة إحكامه في عرض أحكامه .

واكتفيتَ بما عرض من آيات الجحيم والنار وجهنم الخ . دون إسهاب في التفسير الا ماله علاقة مباشرة بتوضيح المعنيين بالذكر من أصناف أهل النار ليتمكن القارئ من استعراضها بيسر وسهولة ليتعرف سمات أصحاب العذاب المخلدين والعصاة من أمة محمد عليه الصلاة والسلام المؤجلين إلى ان يشاء الله رب العالمين وأرحم الراحمين فيأذن بخروجهم من النار بعد خروج المشفوع لهم من نبي الشفاعة محمد عليه الصلاة والسلام .

والمبشرون بجهنم وبئس المهاد وعذاب السعير والنار وجهنم يصلونها ــ وأمه هاوية نار حامية . هم في أبرز سماتهم : الكافرون بالله رب العالمين . والمشركون مع الله الهاً آخر أو معبوداً آخر . والمنافقون الذين هم في الدرك

الأسفل من النار واليهود ومن والاهم والذين يحادون الله ورسوله ويمنعون الذكر ان يعلو في بيوت الله مهما كانت مبرراتهم .

وأصناف الظالمين - والظلم ظلمات يوم القيامة - واتباع الشيطان الذين خلت قلوبهم من الايمان فوجدها الشيطان فارغة يلعب ويرمح فيها كيف يشاء فغره بالله الغرور ، والمرابون الذي يمتصون دماء اناس دون رحمة والذين يكنزون الذهب والفضة . والفجار بأنواعهم واللاهون الذين أغرتهم الدنيا وغرتهم أمانيهم وظنوا أنهم في نعيمهم خالدون وكل أفّاك أثيم معتد وجبار عنيد . والمستكبرون عن عبادة الله يسمعون آياته فينصرفون عنها إلى لهو الحديث وزخرف الحياة . والذين بدلوا نعمة الله كفراً واحلوا قومهم دار البوار والذين يرتكبون الموبقات السبع او المهلكات السبع : وهي كما قال عليه الصلاة والسلام : اجتنبوا السبع الموبقات : قيل : وما هن يا رسول الله؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف - وقذف المحصنات - الغافلات المؤمنات» .

فتدبر يا أخي المؤمن في هذه الآيات وتجنب أن تكون من أهلها .

المبشرون بجهنم وبئس المهاد
في القرآن الكريم

﴿١﴾

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾

(آل عمران ١٩٦ ـ ١٩٧)

■ وتعني : الكافرين بالله الواحد الأحد المتجبرين بظلمهم واعتدائهم ، كاليهود في فلسطين . . وفيها بشارة للفلسطينيين بانقشاع الاحتلال بذلة ومهانة وخسران في الدنيا وجهنم وبئس المهاد في الآخرة .

﴿٢﴾

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾

(البقرة ٢٠٤ ـ ٢٠٦)

■ نزلت الآية في المنافقين الذين يعطونك من طرف اللسان حلاوة وقلوبهم ملئت بغضاً وحسداً يسترون ذلك بأيمانهم الكاذبة الغموس وحينما ينصحون بأن هذا فعل الغادرين المفسدين يستكبرون وتأخذهم العزة بالإثم .

﴿٣﴾

قُلْ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾

(آل عمران ١٢) ١

■ نزلت في الكافرين وبشرتهم بالهزيمة في الدنيا وجهنم في الآخرة .

﴿٤﴾

أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾

(آل عمران ١٦٢)

■ نزلت : تبين عدالة السماء التي تعطي كل ذي حق حقه . والذين باؤوا بسخط الله وغضبه بما أجرموا في دنياهم حقت لهم جهنم .

﴿٥﴾

فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾

النساء ٥٥

■ قيلت في اليهود المغضوب عليهم إلى يوم الدين . لأنهم كذبوا الأنبياء وصدوا عنهم ومنهم من قتلوهم فاستحقوا سعير جهنم

﴿٦﴾

وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

(النساء٩٣)

■ **نزلت هذه الآية :** بالجزاء الأوفى . لكل قاتل ظالم معتد أثيم على أرواح الناس الآمنين ، سواء كان آمراً أو مأموراً به . وفيها التهديد والوعيد لهؤلاء المتمكنين من رقاب العباد في المعتقلات والسجون أو الطامعين في الرزق الحرام كما نشاهد كل يوم .

وفي الحديث : من اعان على قتل المسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه «آيس من رحمة الله» فاتقوا الله أيها المتسلطون واعلموا ان الموت اقرب اليكم من حبل الوريد .



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

(ألنساء ٩٧)

■ حينما يفتن المسلم في دينه ويؤذى من المشركين اذا أقام بينهم وجبت عليه الهجرة بدينه على شرط أن يعود قوياً مجاهداً فاتحاً كما فعل رسول الله ﷺ فاتحاً مكة .

وفي الحديث الشريف : «من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله» الا ان كان واثقاً انه سيجابه المشركين والمحتلين في وقت مناسب بعد أن يعد لهم ويتهيأ للجهاد والمجابهة بقوة وعزة .

﴿٨﴾

وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

(النساء ١١٥)

■ من سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها رسول الله ﷺ وأدعى ان هذه تقاليد رجعية ولا تصلح للحياة كما نسمع من دعوات الاحزاب والجماعات الملحدة التي تتبنى أفكار الكافرين بأنواعهم وتعمل جاهدة على إحلالها محل الشريعة والقانون الإسلامي العادل بحجة التقدمية الزائفة ومسايرة ركب الحضارة فهؤلاء مصيرهم جهنم ومن أتبعهم من الجاهلين المضللين .

﴿٩﴾

يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ﴿١٢١﴾

(النساء ١٢٠- ١٢١)

■ وفي هذه الآية : تهديد ووعيد وتحذير وانذار لكل من يقع فريسة للشياطين المجرمين من شياطين الانس والجن الذين يوقعون فرائسهم في المهالك بوعودهم الخادعة ويحولونهم إلى آلات في أيديهم يدمرون بهم المجتمع ويهلكون ويفسدون .

﴿١٠﴾

بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

(النساء ١٣٨ ـ ١٤٠)

■ وهنا حدد نوعاً من المنافقين وهم الذين يعتمدون في حياتهم على الكافرين ويتخذونهم أولياء وانصارا واحباباً يسمون اسماءهم باسمائهم ويرة-زن معهم المواثيق آملين ان يجدوا عندهم العزة . وان العزة لله جميعاً . فمن عز بغير الله ذل .

ونسوا ان الله قال فيهم (لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ماعنتهم ـ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم اكبر) وهل في اليهود الذين غلّبوا الأنبياء بخداعهم عزة وانتصار؟؟؟ .

﴿١١﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾

(النساء ١٦٧ـ١٦٩)

اجتمعت في هذه الآيـة الكريمة جريمتان كـل منهمـا تستسـحق الخلـود الأبدي في جهنم : الكفر بالله وآياته والظلم الذي يهلك صاحبه ولن يجتمع ظلم وكفر الا محق دولته وأذل صاحبها وبدد شـمل أهلهـا وعـاش مـن بقـي منهم ذليلاً صاغراً . كما فعل بالاقوام السابقين) .

﴿١٢﴾

قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾

الأعراف (١٤ ـ ١٨)

■ وللخروج من سطوة الشيطان على الانسان رد كيده إلى نحره كان رسول الله ﷺ يدعو صباحاً ومساءاً بهذا الوعاء :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي :

«اللهم إني اسألك العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني اسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي ، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»

(رواه ابو داود والنسائي)

﴿١٣﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾

الأعراف (٤٠ ـ ٤١)

■ «لا تفتح لهم أبواب السماء» لا تفتح لأعمالهم وأرواحهم أبواب السماء كما تفتح لاعمال وأرواح المؤمنين الطيبة .

«ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط» يعني والله أعلم : إن دخل البعير في ثقب الإبرة يدخلون الجنة ، وهذا مستحيل لتيئيسهم ، «ولهم من جهنم مهاد» أي فراش .

«ومن فوقهم غواش» أي اللحف

وقد اجتمعت في هذا الصنف من أصحاب جهنم صفات ثلاثة التكذيب والشك بآيات الله والاستكبار والترفع عن قبول الموعظة والظلم الذي هو ظلمات يوم القيامة .

﴿١٤﴾

وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَـٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾

الاعراف (١٧٩)

■ هذا الصنف من أهل جهنم لم يستفد بما أنعم الله عليه من نعمة العقل والبصر والسمع فعطلها عن الخير وسخرها للشر وما اكثر هؤلاء الذين لا تعنيهم في الحياة الا شهواتهم وملذاتهم بأي وسيلة حتى استعبدهم إبليس وسخرهم فصاروا في يده كالدابة لبعدهم عن ذكر الله . وتحولوا حطباً لجهنم . قال تعالى ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين**﴾ .

وهل يختلف هؤلاء السكارى والمدمنون والمخدرون بعد أن سلّموا عقولهم لأم الخبائث عن الأنعام في شيء؟! بل الأنعام أرفع درجة لأنها اذا شبعت لا تعتدي وتكتفي .

﴿١٥﴾

وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

الأنفال (١٦)

■ هذا الصنف من أصحاب جهنم هو الهارب من ميدان الحرب الذي يكشف للعدو ظهر المسلمين من غير سبب ومن كان كذلك وقع في المهلكات «قال عيه الصلاة والسلام : اجتنبوا السبع الموبقات» قيل وما هن يا رسول الله؟ قال : «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» .

﴿١٦﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾

(التوبة ٣٤ ـ ٣٥)

■ قال عمر بن الخطاب : أيما مال أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفوناً في الأرض وايما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه وان كان على وجه الأرض . وقال الرسول عليه السلام : «ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من أموالكم» وقال لعمر ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟

المرأة الصالحة التي اذا نظر إليها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته»

﴿١٧﴾

﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٣﴾

التوبة (٦٣)

■ هذا الصنف من الخالدين في جهنم هم من يحاربون الله ويخالفونه في كتابه والرسول عليه السلام في سنته . فاحذر يا أخي المسلم ان تسجل على نفسك هذه الخاتمة مهما كان المنصب براقاً والمركز مغرياً والسلطان في يدك . وكل شيء إلى زوال ولو دامت لغيرك ما وصلتك وكفى بالزمن عبرة .

﴿١٨﴾

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

(التوبة ٦٨)

■ نزلت في المنافقين والمنافقات الذين هم في درجة الكفار حق عليهم اللعنة والعذاب المقيم والخلود في جهنم . قال تعالى «ان المنافقين هم الفاسقون» .

﴿١٩﴾

فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾

(التوبة ٨١)

■ وهذا صنف من اهل النار من المنافقين الذين هربوا من الميدان ولكن ببذل الاعذار فهم في حر النار دائمون .

قال رسول الله ﷺ : نار بني آدم التي توقدونها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» وقال رسول الله ﷺ «أوقد الله على النار الف سنة حتى احمرت

ثم اوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء كالليل المظلم» .

أرأيت يا أخي المسلم كيف أن نار جهنم أشد حراً حماك الله منها .

﴿٢٠﴾

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾

(التوبة ١٠٩)

■ وهذا الصنف من أهل جهنم هم الذين يبنون مساجد ـ ضرراً وتفريقاً بين المؤمنين ضاربين بعرض الحائط قوله تعالى ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا**﴾

﴿٢١﴾

لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

(الرعد ١٨)

■ **الحسنى هي** : الجنة للمؤمنين الذين استجابوا لله فاطاعوه . أما الذين لم يستجيبوا بالايمان الصحيح وظلوا على كفرهم وعنادهم أولئك لهم جهنم وبئس المهاد ، لاينفعهم ما عملوا من اعمال في ظل الكفر ولو أنفقوا طائل الأموال ليفتدوا به أنفسهم من عذاب جهنم فلن يغفر الله . حبطت أعمالهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

﴿٢٢﴾

وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾

(ابراهيم ١٥ ـ ١٦)

■ نزلت في الجبارين المعاندين للحق حيث يقال للملائكة :

﴿القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتدٍ أثيم﴾

وفي الحديث الشريف : «أنه يؤتى بجهنم يوم القيامة فتنادي الخلائق فتقول : إني وكلت بكل جبار عنيد»

﴿٢٢﴾

۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾

(ابراهيم ٢٨ ـ ٣٠)

■ نزل في كفار قريش . لأن الله تعالى بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين ونعمة للناس فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة ومن ردها وكفر بها دخل النار . ولقد قام الامام علي ابن ابي طالب رضي الله عنه فقال : ألا أحد يسألني عن القرآن فو الله لو أعلم اليوم أحداً أعلم به مني وأن كان وراء البحار لاتيته فقام عبد الله بن الكواء فقال : من الذين بدلوا نعمة الله كفراً واحلوا قومهم دار البوار؟ فقال علي رضي الله عنه : هم مشركو قريش أتتهم نعمة الايمان فبدلوها كفراً وأحلوا قومهم دار البوار .

﴿٢٤﴾

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾

الحجر ٤٢ ـ ٤٣

■ اعترف إبليس صاغراً ذليلاً حينما سأل الله تعالى وهو متمرد عليه فقال : رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين * فلا أستطيع معهم سبيلا إلى افسادهم وأكد الله هذه الحقيقة لابليس . واما العصاة الذين اتبعوا ابليس في الضلالة والافساد بكل أنواعه فموعدهم جهنم أجمعين

﴿٢٥﴾

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾

(النحل ٢٩)

■ وهذا الصنف من الخالدين في جهنم يتناول المشركين الذين يتبرأون من أعمالهم ساعة الاحتضار ويحاولون أن يظهروا السمع بعد فوات الأوان ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها أيها المتكبرون فبئس جهنم مقاماً ودار هوان لكل متكبر عن آيات الله واتباع رسله .

﴿٢٦﴾

مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾

(الإسراء ١٨)

قال عليه الصلاة والسلام :

الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له فمن أخذ حقه منها واستعجله على حساب الآخرة مدّ الله له فيها وكفاه متاعها وشهواتها التي وان طالت فهي إلى زوال ثم يأتي إلى جهنم مهاناً حقيراً وذليلاً .

﴿٢٧﴾

إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ

(طه ٧٤)

■ المقصود بالاجرام سحرة فرعون وامثالهم .

والمجرمون على اطلاقهم وبأنواع الاجرام الذي اقترفوه في دنياهم من ظلم وسحر محرم وشرك بالله وقتل وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات (ولايموت فيها) لايموت فينقضي عذابه (ولا يحيا) حياة طيبة هنيئة .

﴿٢٨﴾

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾

(المؤمنون ١٠٣)

■ هم كل من ثقلت سيئاته على حسناته خسروا أنفسهم وخابوا وهلكوا بما فعلوا في الدنيا من اجرام وظلم وفسوق واتباع للشهوات كما قال عليه السلام : «حفت النار بالشهوات» .

﴿٢٩﴾

هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾

(سورة ص ٥٥ ـ ٥٦)

■ والظالمون إما لأنفسهم باتباعهم أهواءه وملذاتهم على حساب آخرتهم واستسلامهم للشياطين عن الجن والانس بالشرك والضلال وأما الظالمون لغيرهم واعتدائهم عليهم من مراكزهم القوية وسلطانهم الذي لم يعدلوا فيه . ولم يراعوا فيه حق الله وهؤلاء يبتلون في الدنيا بأظلم منهم فيموتون مهانين أذلاء وفي الآخرة جهنم .

﴿٣٠﴾

قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾

(الزمر ٧٢)

■ نزلت في الكافرين الذين استكبروا عن طاعة الرسل ورفضوا انذارهم فحقت عليهم كلمة العذاب فيقال لهم : ادخلوا ابواب جهنم بسبب تكبركم في الدنيا وابائكم عن اتباع الحق فبئس الحال وبئس المآل .

﴿٣١﴾

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾

(الزخرف ٧٤)

■ المقصود بهم هنا : الكافرون الراسخون في الاجرام لأنهم ذكروا في مقابلة المؤمنين في آية قبلها **﴿ياعباد لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون ✽ الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ✽ ادخلوا الجنة أنتم وازواجكم محبرون﴾**

﴿٣٢﴾

وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٧﴾ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾

(الجاثية ٧ ـ ١٠)

■ **الويل** : نهر في جهنم . أو الويل بمعنى الهلاك والدمار والعذاب الشديد ، لكل أفَّاك كذاب أثيم مبالغ في الإثم يسمع آيات الله تتلى عليه ولكنه ينصرف عنها مستكبراً كأنه لم يسمعها ـ يعني لم ينتفع بها ـ فبشره يامحمد بعذاب شديد مؤلم ـ وهذا ينطبق على كل من يشغل نفسه ومن حوله عن استماع القرآن والإنتفاع به . أولئك لهم عذاب مهين وجهنم من ورائهم .

وفي سورة لقمان : قال الله تعالى : **﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين﴾**

قيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى قينة[1] كان يشغل بها المسلمين المحدثين ويقول لها : أطعميه واسقيه وغنيه . هذا خير مما يدعو إليه محمد . وهكذا كل من فعل فعله في عصرنا فهو مثله .

﴿٣٣﴾

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ﴿٢٢﴾

(النبأ ٢١ ـ ٢٢)

---

(١): القينة: المغنية اللاهية.

■ تنتظر جهنم نزلاءها من الطغاة المتجبرين على عباد الله ظلماً وعدواناً فإذا ماذكّروا بيوم الحساب أعرضوا إمعاناً في الجبروت والظلم أو تكذيباً بيوم الحساب فهولاء مأواهم ومرجعهم ومألهم جهنم لابثين فيها دهوراً متتابعة الحقب ثمانون سنة . فكلما مر حقب تبعه حقب جديد بعذاب جديد جزاءاً وفاقاً لما كانوا يعملون .

﴿٣٤﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾

(البروج ١٠)

■ الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات ليفتنوهم عن دينهم ويردوهم إلى الكفر والضلالة أصحاب الأخدود الذين عذبوهم بالنار فلهم عذاب جهنم وكذلك ينطبق هذا الوعيد على كل من يفتن المؤمنين ويرهقهم ويعذبهم بأصناف العذاب الحديثة إلى يوم الدين فاتقوا الله أيها الطغاة من المسلمين وباب التوبة مفتوح» .

عن عائشة قالت : يارسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟

قال عليه السلام : ياعائشة أما عند ثلاث فلا : عند الميزان حتى يثقل أو يخف ، وعند تطاير الكتب إما يعطى بيمينه وإما يعطة بشماله ، وحين يخرج عنق من النار فيطوي عليهم ويتغيظ عليهم ويقول ذلك العنق : وكلت بثلاثة : وكلت بمن ادعى مع الله إلهاً آخر ، ووكلت بمن لايؤمن بيوم الحساب ، ووكلت بكل جبار عنيد ـ قال : فينطوي عليهم ويرميهم في غمرات جهنم»

(أخرجه الإمام أحمد)

﴿٣٥﴾

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾

(فاطر ٦)

■ مادامت قد ثبتت عداوة الشيطان للإنسان لايرتاح له بال حتى يغويه ويغريه بأعمال أهل النار وأفعال أهل السعير والتي من أوسعها باباً شهوات الدنيا فقد حذرنا الله تعالى : ﴿فلا تغرنَّكم الحياة الدنيا﴾ بزخرفها ونعيمها المؤقت بل استفيدوا منها لآخرتكم . وحذرنا الله تعالى من الشيطان الغرور فقال تعالى : ﴿لا يغرنَّكم بالله الغرور﴾ لأنه عدونا فاتخذوه عدواً وذلك بالقضاء على وساوسه بذكر الله وقراءة المعوذتين كلما دخل إلى نفوسكم . وإلا كنتم من أصحاب السعير .

﴿٣٦﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾

(النساء ١٠)

■ في هذه الآية تحذير من أكل مال اليتيم ظلماً فقد قال عليه الصلاة والسلام «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين» وأشار إلى اصبعيه الوسطى والسبابة .

وقد أوصى الله في آيات كثيرة باليتيم . فاما اليتيم فلا تقهر

وأصعب ظلم أن يقهر اليتيم القاصر ويؤكل ماله ظلماً . والسعير هي الجزاء الأوفى لهذا الظالم .

﴿٣٧﴾

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

(الانشقاق ١٠ ـ ١٥)

■ من علامات الشقاء في الآخرة أن يوتى الانسان كتابه بشماله من وراء ظهره وذكر من هذا الصنف هؤلاء الغافلين في دنياهم عن آخرتهم الذين كانوا مسرورين في أهلهم يطعمونهم الحرام ويلبسونهم الحرام ويسقونهم الحرام ويدفعونهم إلى العبث واللهو الماجن . حتى ظن البعض منهم أن هذه النعم لازوال لها ولاموت بعدها . وما هي إلا جلطة دم حتى يصبح من أهل القبور ولاتنفعه الأموال . وعندما يعرض عليه كتابه يدعو على نفسه بالهلاك وتلتقطه السعير .

﴿٣٨﴾

وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

(الحج ٥١)

■ وهؤلاء هم الذين يتصدون للمؤمنين يمنعونهم من أداء عباداتهم ويرغمونهم على إطفاء نور الله باغلاق مدارس تحفيظ القرآن الكريم أو عدم التعامل مع آيات منه لاغراض سياسية وملاحقة الدارسين للاسلام والقرآن على وجهه الصحيح اولئك أصحاب النار .

﴿٣٩﴾

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾

(الحاقة ٢٥-٣٥)

﴿٤٠﴾

فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾

(النازعات٣٧ - ٤١)

■ نزلت في الطغاة الظالمين الذين تمردوا على آيات الله وعقوا وقدموا الحياة الدنيا على أمر دينهم وآخرتهم ، فاستحقوا جزاءً ذلك الجحيم ، حيث مطعمهم فيها من الزقوم ومشربهم من الحميم .

﴿٤١﴾

وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾

الانفطار (١٤ ـ ١٥)

■ يبدأ عقاب الفجار من ساعة دخولهم القبر . لأن القبر أما روضة من رياض الجنة للمؤمنين وإما حفرة من حفر النار . والفجار هنا من عصوا ربهم ، سأل الخليفة سليمان بن عبد الملك : ليت شعري أين مصيرنا يوم القيامة؟ فقيل له أعرض عملك على كتاب الله تجد مالك وما عليك عند الله . قال : وأين اجد ذلك؟ قال : في قوله : **﴿إن الأبرار لفي نعيم وأن الفجار لفي جحيم﴾** .

﴿٤٢﴾

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

(التكاثر)

■ نزلت في الذين أغرتهم الدنيا بأموالهم وأولادهم فقصروا في جنب الله ونسوا أنهم ليس لهم من مالها : إلا ما أكلوا فأفنوا ولبسوا فأبلوا ، تصدقوا فأبقوا . فعلام الانتظار حتى الموت وزيارة القبور؟ ألم يعلموا أن الدنيا كالماء الملح كلما ازددت منه شرباً . ازددت عطشاً؟ وأن الانسان اذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث : علم ينتفع به أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له . فلا تبيعوا أيها المؤمنون آخرتكم بدنيا غيركم .

﴿٤٣﴾

وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ﴿٩﴾

(الهمزة)

■ نزلت في الذين يزدرون الناس بأقوالهم وأفعالهم أو بأعينهم وألسنتهم - يؤذي بالعين وباللسان - المحتقرين للناس بما جمعوه من مال ظانين ان مالهم ينفعهم ويخلدهم ويشترون به الذمم في الآخرة كما اشتروا به الذمم في الدنيا . وكثير من الناس يغنيهم الله ويمدهم . ويبتليهم بالمال ليحرق قلوبهم بأموالهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة . ومنهم من يستعلي على الناس ويترفع عليهم فأحذروا يا إخوتي . . نعمة المال . . ونقمة الغنى .

﴿٤٤﴾

بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾

(البقرة ٨١)

■ نزلت في اليهود حينما كانوا يقولون : لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات هي مدة عبادتنا للعجل . فوعدهم بالنار خالدين فيه بما تجرأوا على الله في قولهم وكذبهم فهل أخذوا على الله عهداً؟

وقال لهم : بلى تمسكم النار وتخلدون فيها كما يخلد الكافر الذي عمل الكبائر واقترف مع الكفر السيئات ستحيطه النار من جميع الجوانب وتغمره بما أقبل به على الله من خطايا وكذلك من يفعل فعل اليهود .

﴿٤٥﴾

ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾

(البقرة ٢٧٥)

■ آكلوا الربا لهم علامات في الدنيا وفي الآخرة . وهم من أصناف الظالمين لارحمة في قلوبهم ولامعايير عندهم إلا الربح وامتصاص دماء البشر . ومن أبرز علاماتهم في الدنيا . : الشك والخوف من كل شيء والريبة حتى من زوجاتهم وأولادهم لايستقرون مع جلسة مهما كان ضيفهم بل يكثرون اللفتات وترك المجلس للاطمئنان على مستودع اسرارهم . لأن قلوبهم خلت من ذكر الله فخلت من نعمة الطمانينة ﴿الا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ وهذا ما لمسته ممن عرفتهم منهم لأنهم إلى الشيطان أقرب سحروا بحب المال فغرهم بالله الغرور . وتمكن منهم لايفكرون إلا في نوع الفريسة القادمة لهم ليلهم ونهارهم .

وفي الآخرة يحشرون على حالة المصروع المجنون فضيحة لهم وهتكاً وهذه من سيماهم في الآخرة .

وعذاب هؤلاء أشد ممن يكنزون الذهب والفضة لأنهم إضافة إلى ذلك يمتصون عرق ودماء المحتاجين من فرائسهم .

﴿٤٦﴾

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾

(النساء ١٤٥)

■ في المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون

﴿٤٧﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾

(يونس ٨)

■ قال عليه الصلاة والسلام «لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء»

وفي هذه الآية وصف لصنف من أهل الدنيا هم من أهل النار في الآخرة فمن باع آخرته بنعيم دنياه وملأ قلبه بحبها وأطمأن إليها فلم يبق في قلوبهم مكان لحب الله والتفكر بمباهجها فاعمت بصائرهم وأبصارهم أولئك هم الأخسرون الذي ضل سعيهم في الحياة الدنيا فلم يجدوا في الآخرة إلا النار بما كانوا يكسبون .

﴿٤٨﴾

وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾

(يونس ٢٧)

■ وهذا الصنف من اهل النار الخالدين فيها الذين كسبوا السيئات حتى بدت الذلة على وجوههم في الدنيا تسوّد وجوههم في الآخرة ترهقهم ذلة ومهانة «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه»

﴿٤٩﴾

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾

(هود ١٥ ـ ١٦)

■ قال قتادة : من كانت الدنيا همه ونيته وطلبته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء ، كما قال الله تعالى : ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب﴾ .

﴿٥٠﴾

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾

(هود ١٠٦ ـ ١٠٧)

■ وهذا الصنف من الخالدين في النار هم العصاة الاشقياء إما بكفرهم وإما بارتكابهم الموبقات السبع وإصرارهم عليها وهي : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق واكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

وهؤلاء العصاة قد يخرجون من النار بشفاعة النبي محمد عليه السلام وعفو الله ارحم الراحمين بعدها .

﴿٥١﴾

وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾

(هود ١١٣)

■ تحذير للمسلمين المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة وذلك من أكبر العون في النصر على اعداء الله .

وينهى الله عباده عن الثقة والاطمئنان للعتاة الظالمين ، يرجون منهم النصر والعون ، فن يستعين بظالم طاغية معتد اثيم لن يجد الله له ناصراً . وسيحشر مع هؤلاء الظالمين فتمسه النار . ومن عز بغير الله ذل .

﴿٥٢﴾

هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾

ص (٦٥)

■ وهذه الآية حددت هذا الصنف من أهل جهنم وهم الطاغون من الكافرين الذين كذبوا بالرسل ومن والاهم من المنافقين . فلهم سوء المصير جهنم يصلونها وبئس المهاد .

﴿٥٣﴾

فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾

(الحديد ١٥)

■ نزلت في المنافقين والمنافقات الذين يخونون قومهم عملاء للكافرين يعملون لمصالح أعداء البله في قومهم .

﴿٥٤﴾

۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ

شَيۡـًٔاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ

(المجادلة ١٤ - ١٧)

■ نزلت في المنافقين ـ الذين يوالون اليهود الذين غضب الله عليهم ـ على حساب المسلمين في الباطن ويحلفون بملء أفواههم ليدفعوا عن انفسهم التهمة وهؤلاء هم العملاء الخونة وهؤلاء مهما تستروا بأيمانهم الغموس وأموالهم الحرام التي جمعوها من خيانة أمتهم وتحصنوا بعشيرتهم وأولادهم فلن تغني عنهم من الله شيئاً وكثيراً ما يقهرون بعذاب الدنيا والمهانة والمذلة فيموتون شر ميتة وبعذاب الآخرة فهم مبشرون بأنهم من أصحاب النار وهم فيها خالدون .

وقد وصفهم الله في الآية التالية لما سبق بأنهم استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون .

ثم يبشرنا ربنا بعد ذلك في الآية ٢٠ بإن هؤلاء المنافقين الذين يحادون الله ورسوله من مواقع القوة التي تمكنوا منها هم في الاذلين المبعدين في الدنيا والآخرة .

﴿٥٥﴾

فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ

(الأعلى ٩ - ١٣)

■ في هذه الآيات يطلب رب العالمين من محمد عليه الصلاة والسلام الذي كان يحرص حرصا شديداً على تذكير قومه ويتحمل أذى كثيراً ويصبر

صبراً لو كان في غير النبي ﷺ لندم . وهنا يطلب أن يوجه الذكرى ممن يرجى منه النفع بالذكرى كما قال تعالى «فذكر بالقرآن من يخاف وعيد» وقوله تعالى «فأعرض عمن تولى عن ذكرنا» وهذه الحالة وهذا التوجيه يصلح في الدعوة للاسلام في عصرنا فلا ينبغي أن يضيع الداعية إلى الخير والعمل بالاسلام وقته مع مجادل لايرجى منه الخير وفي هذا يقول علي رضي الله عنه : ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لاتبلغه عقولهم إلا كان فتنة لهم ، «وقال : حدثوا الناس بما يعرفون»

سيذكر وينتفع بالذكرى الذي يخشى الله وعذاب الآخرة ويستجيب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ويتجنبها الأشقى الكافر ومن هو في مستواه من المنافقين واتباع الوسواس الخناس من الجنة والناس .

والذين تماداو في ظلم الناس وأكل أموالهم بالباطل . أو الذين ليس لهم شغل إلا في الناس يدفعونهم إلى الشر دفعاً ويتآمرون عليهم بقطع أرزاقهم ويسهرون الليل في التفكير في أذاهم .

﴿٥٦﴾

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

(القارعة ٨ ـ ١١)

■ وأما من رجحت سيئاته على حسناته (فأمه هاوية) قيل معناه :

انه هاو وساقط بأم رأسه في نار جهنم . وقيل معناه : أمه التي يرجع إليها ويصير في المعاد اليها «هاوية» وهي اسم من أسماء النار . وقال ابن جرير : وانما قيل للهاوية أمه لأنه لا مأوى له غيرها وروى ابن جرير عن الأشعث بن عبد الله قال : اذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين فيقولون : روّحوا أخاكم فإنه كان في غم الدنيا قال : فيسألونه : ما فعل فلان؟ فيقول : مات او

ما جاءكم؟ فيقولون : ذهب به إلى أمه الهاوية . وقوله تعالى : ﴿نار حامية﴾ أي شديدة الحر قوية اللهب والسعير عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، قالو : يا سول الله إن كانت لكافية؟ فقال : إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً» .
وعن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال :

«إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد» (ابن كثير) .

﴿٥٧﴾

وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

(النساء ١٤)

■ ومن يعص أمر الله وامر الرسول ويتجاوز ما حده الله تعالى من الطاعات وتجنب المحرمات ويحللها فقد خرج عن الدين ويصبح من الكافرين الخالدين في النار وهذا لا ينطبق على المقصرين في أوامر الله تعالى ورسوله الكريم كسلاً مع إقرارهم وإيمانهم بها .

﴿٥٨﴾

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

(النساء ٢٩ ـ ٣٠)

■ تحذير للمؤمنين بألا يأكلوا أموال بعضهم بعضاً بالباطل ، وهو كل طريق لم تبحه الشريعة كالسرقة والخيانة والغصب والربا والقمار وماشابه ذلك .

إلا إذا كانت تجارة مشروعة في حلال ، تقع الخسارة على المشتركين جميعا كما ينتفعون بالربح .

ولقد ربط قتل النفس بالباطل مع الظلم والعدوان وجمع الله بينهما لانها ان تمكنت الدنيا في قلب إنسان أكل مال الناس باطلا وهانت في عينه جريمة القتل وطغى وتجبر .

ومن يفعل كذلك فسوف تكون النار مأواه يصلاها والله أعلم .

﴿٥٩﴾

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾

(الغاشية ١ـ ٤)

■ الغاشية : يوم القيامة وسميت غاشية لأنها تغشى الخلائق بأهوالها وشدائدها وتعمهم بما فيها من المكاره العظيمة ، قال تعالى : ﴿**يوم يغشاهم العذاب**﴾ وقيل هي : النار لقوله تعالى ﴿**وتغشى وجوههم النار**﴾

وتخبرنا الآية بصنف من أصحاب النار أضاعوا اعمارهم في الدنيا عاملين ناصبين ليعمروا دنيا غيرهم من ورثتهم ويخربوا آخرتهم بما ملكوه في ذلك من حرام . أو هؤلاء الذين أمضوا عمرهم في تكبر عن عبادة الله انهمكوا في اللذات والشهوات . قال عكرمة : عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار بالعذاب والإهلاك .

ومن هؤلاء أمثال هذا الشاعر الذي يقول لحبيبته :

ولو انني استغفر الله كلماذكـ ـرتك لـم تكتب علـيّ ذنـوب

فهو دائم العمل ومشغول القلب واللسان آناء الليل وأطراف النهار ولكن من أجل أن يرضي حبيبته أولئك الذين ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾ .

﴿٦٠﴾

فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ

(الليل ١٤ ـ ١٦)

■ أي فحذرتكم ناراً تتوقد وتتوهج من شدة حرارتها لا يصلاها ـ أي لايدخلها للخلود فيها ولايذوق سعيرها إلا الكافر الذي أشقى نفسه فيها حين كذب الرسل وأعرض عن ايمان بالله رب العالمين ولقد وصف رسولنا عليه الصلاة والسلام أهون عذاب النار فقال : إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه .

فما بالك بالأشقى الذي يصلاها مخلداً فيها الذي كذب بقلبه وتولى عن العمل بجوارحه وفق أركانه الإسلام والله أعلم .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«تحاجت الجنة والنار فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : فما لي لايدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم . فقال الله عز وجل للجنة : إنما انت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار : إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي . ولكل واحدة منكما ملؤها»

(مسلم ١٥١/٨)

نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا وجعلنا الله من الذين مأواهم الجنة فهي نعم المقام .

أصحاب رسول الله

رضي الله عنهم وخلفاؤه

«عن حذيفة رضي الله عنه قال · قال رسول الله ﷺ : تكون النبوة فيكم ماشاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ماشاء أن تكون ثم يرفعها اذا شاء أن يرفعها . ثم يكون ملكاً عاضباً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها اذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ماشاء الله أن تكون ثم يرفعها اذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت» .

أخرجه احمد في المسند وصححه العراقي من طريقه . وقال الهيثمي : رجاله ثقات

«صدق رسول الله فما ينطق عن الهوى»

عن أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا» قالت : قلت : أنا فيهم؟ قال : أنت فيهم ، قالت : ثم قال : أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم ، فقلت : يارسول الله أنا منهم؟ قال : لا» .

«رواه البخاري»

«صدق رسول الله فقد ماتت بنت ملحان في قبرص»

عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال : اعدوا أشياء بين يدي الساعة : موتي ، وفتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم (الطاعون العظيم في الشام) ثم استفاضة المال يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً (حدث في عهد عثمان) ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته (بدأت بمقتل عثمان وانتهت بموت علي) ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، فيغدرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية كل غاية اثنا عشر ألفاً (الحروب الصليبية والله أعلم) . .

(رواه البخاري)

المبشرون بالجنة من الصحابة

رضي الله عنهم

عن سعيد بن زيد عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ .

«أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زبير في الجنة وابو عبيدة بن الجراح في الجنة»
صحيح الجامع الصحيح ج ١ /٧٠

قال رباح بن الحارث : «كنت قاعداً عند فلان[١] في الكوفة في المسجد وعنده أهل الكوفة فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فرحب به وحياه وأقعده عند رجله على السرير ، فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له قيس ابن علقمة ـ فاستقبله فسب وسب فقال سعيد : من يسب هـذا الرجل ؟ قال : يسب علياً فقال : ألا أرى أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم يُسبون عندك ثم لا تنكر وتغيِّر؟ أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول ـ وإني لغني ان أقول عليه ما لم يقل فيسألني عنه غداً اذا لقيته : أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد بن مالك في الجنة وعبد ا لرحمن بن عوف في الجنة وابو عبيدة بن الجراح في الجنة وسكت عن العاشر قالوا : ومن هو العاشر؟ فقال : سعيد بن زيد يعنى نفسه» ثم قال :« والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله يغبِّر فيه وجهه خير من عمل احدكم ولو عمر عمرَ نوح»[٢]

---

(١) في فتح الودود: هو المغيرة بن شعبة.

(٢) جامع الأصول جـ٨ ص ٥٥٧.

بماذا استحق المبشرون جنة الله الواسعة؟

إن من يتتبع حياة هؤلاء الهداة من الصحابة الذين سبقت لهم البشرى بالجنة وهم أحياء على لسان رسول الشفيع يوم الدين الذي رباهم فأحسن تربيتهم والذين صدقوا الله ورسوله فصدقهم الله وعده هؤلاء النجوم بأيهم اقتدينا اهتدينا. يجدهم المتتبع لسيرهم الذاتية أجمعوا على الاخلاص لله ولرسوله للمؤمنين والصدق في الايمان الذي يصدقه العمل والأمانة التي هي معيار الايمان الحق فمن لا أمانة له لا إيمان له فأدوا ما عليهم من أمانات على أكمل وجه وأوفى عطاء في التضحية والجهاد في سبيل الاسلام وانفقوا من دمائهم وعرقهم وأموالهم حتى ارتوت أرض الرسالة فأينعت بهؤلاء الصحابة وسادت بمن تبعهم وعزت الأمة وذلت القبائل وذلت الممالك وحطمت الإمبراطوريات أمام راياتهم و عزة مواقفهم ورسوخ إيمانهم وقوة حجتهم وحسن قيادتهم ومثالية قدوتهم التي تعلموها من السراج المنير والهادي الأمين وخاتم النبيين وسيد المرسلين الذي قال «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» بعد أن شهد فيه رب العالمين «وانك لعلى خلق عظيم» فقد تشربوا المبادئ الإسلامية طازجة نقية لا غبار عليها واضحة ناصعة فحملوها بوعي وادراك وصدق واخلاص وطبقوها حرفاً حرفاً وكلمة كلمة

وخطوة خطوة بحرص شديد وأمانة لا مثيل لها . وكانوا المُثُل العليا للتطبيق والتبشير بالاسلام قولاً وعملاً في حياة الرسول أو بعد وفاته عليه الصلاة والسلام . اجتهدوا فكان منهم الملهم ومنهم الذي تصدقه السماء ومنهم الامام العادل والقائد الذي ثبت قلبه فثبتت أقدامه في ميادين الحروب . نصروا الله بكل ما يملك من نفس ونفيس فنصرهم الله : ﴿ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾

قال فيهم الرسول عليه الصلاة والسلام : «لاتسبوا أصحابي فلو أن أحداً أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولانصيفه»

قال عمر بن الخطاب ﷺ في حاطب بن أبي بلتعة : دعني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق . فقال رسول الله ﷺ : «إنه قد شهد بدراً ، ومايدريك لعل الله أطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم» وقد أحيوا سنة الرسول بعد وفاته كأنه معهم حباً فيه وتمسكاً بماعلمهم إياه وصدق في هذا المجال قائلهم : «من أحيا سنة الرسول فقد أحبه ومن أحبه كان معه في الجنة» رواه البخاري . وقد تميزوا بالإيثار على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة يجودون برغيف الخبز للسائل ، ويواصلون صومهم على الطوى . ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ويبذلون أموالهم كلها يضعونها بين يدي الرسول وعندما يُسأل أحدهم ماذا أبقيت لاهلك؟ يقول : أبقيت لهم الله ورسوله .فيرجعهم الرسول بشطر مالهم أو ثلثيه داعياً لهم : اللهم أعط منفقاً خلفاً .

هانت الدنيا في أعينهم رغم ما كانوا فيه من عز وجاه وغنى ويسار ورفاهية ومقام رفيع ونعيم مقيم استبدلوه بضنك العيش والجوع والنوم على الحصى والغربة القاسية مهاجرين بدينهم تاركين أموالهم وثرواتهم حين خيروا بين الله ورسوله والأموال والثروات . رقق الله قلوبهم بعد عنجهية السيادة والريادة ليقدموا عليهم العبيد ويطيعوا الأرقاء ويخدموا الفقراء ويكبِّروا الغرباء لا يحكمون بالهوى ويأنفون من القبلية وهي كانت اسباب عزتهم قبل الإسلام يقول عمر أمام الملأ : (اصابت امرأة وأخطأ عمر) ويقول أبو بكر يوم كان يقود المطية في أسامة بن زيد هو يمشي واسامة راكب متأخر . ماذا يضيرني لو عفرت قدمي ساعة في سبيل الله . . كانوا يألفون ويؤلفون وهذه أبرز صفات المؤمنين إذا أمروا كانوا أول الملبين واذا نهوا كانوا أول الملتزمين بالتنفيذ . وكانت الشجاعة في الحرب تحت راية الاسلام إذا قادوا كانوا أول

من يهجم وآخر مـن ينسـحب واذا حـاربوا رفعـوا معنويـات جنودهـم وأبدلـوا خوفهم جرأة وترددهم إقداماً وجبنهم كراً وفـراً ، ينـام جنودهـم وهـم سـاهرون ويشبع عسكرهم وهم جائعون رضي الله عنهم أجمعين وأرضاهم . كانوا قدوة حسنة للتاجر الصـادق وللقـاضي العـادل و للمؤمـن الزاهـد وللتقـي العـابد و للفقير الصابر وللعالم الناصح وللامام الخاشع وللكريم الجواد وللراعي الأمـين في رعيته وللحارس الساهر بعـين لا تعـرف النـوم فـي سـبيل اللـه وللصديـق الوفي وللزوج الودود وللجار الملهوف مهما كان دينه لاتلهيهم تجارة ولا بيع عـن ذكر الله فاذا قضيت الصلاة انتشروا في الأرض يعملون حتى لا يعيشوا عالة على غيرهم صدورهم تتسع لرعيتهم مهما كانوا أجلافاً ويجـادلون بـالتي هـي أحسن فاذا الذي بينهم وبين الحاقد عليهم ولاية حميمة . متواضعـين يلفهـم الورع ويكسوهم الحياء متحابين فـي اللـه أشـداء على الكفـار رحمـاء بينهـم يكظمون الغيظ ويعفون عن الناس ويتبعون ذلك بالاحسان لمن يسـئ اليهـم . لم تبطرهم النعمة ولم تجزعهم النقمة لأنهم يعلمون ان الدهر يومان . فان كـان عليك في يوم فسيكون لك في يوم آخر . وبهذه الفضائل والخلق القويم فتحوا بلدان العالم بما غرسوه في نفوس جنودهم وسفرائهم من هـذه المثـل القياديـة العليا .

وصدق الله العظيم حين بشرهم فقال :

لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ

(التوبة ٨٨ـ٩٨)

الخليفة الأول

أبو بكر الصديق
رضي الله عنه

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة ، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً من الناس لاتخذت أبا بكر خليلاً ألا وإن صاحبكم خليل الله» .

(أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن)

وزاد رزين ﷺ «وما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت له كبوة إلا أبو بكر فإنه لم يتلعثم في قوله» .

(جامع الأصول جـ٨ ص٥٨٥)

وعن أبي سعيد الخذري ﷺ قال : «خطب النبي ﷺ وقال : إن من أَمَنٌ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقينّ في المسجد باب إلا سدٌ إلا باب أبي بكر» .

(جامع الأصول جـ٨/٥٨٦ أخرجه البخاري ومسلم)

عن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه قال : «لما استعثر بالنبي ﷺ وأنا عنده في نفر من الناس دعاه بلال إلى الصلاة فقال أبو بكر غائباً فقلت : يا عمر قم فصل بالناس فتقدم فكبر فلما سمع النبي صوته قال : فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون وكررها ثلاثاً ، فبعث إلى أبي بكر فجاء بعد أن صلى عمر بالناس تلك الصلاة فصلى بالناس»

(جامع الأصول جـ٨/٥٩٤)

الخليفة الأول
أبو بكر الصديق
رضي الله عنه

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس ﷺ قال : «خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقة فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنه ليس من الناس أحد أمنَّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة ، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن خلة الإسلام أفضل ، سدّوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر»

(البخاري جـ ١/١٢٠)

يتميز أبو بكر الصديق بمكانة عالية لم يصلها أي من صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام ويشهد بهذه المكانة هذا الحديث النبوي الشريف الذي برر أسباب هذه المكانة التي أوصلته أن يكون خليلاً لرسول الله لولا أن خلة الإسلام أفضل لأنه جاهد مع الرسول عليه السلام بنفسه حين هاجر معه مضحياً بكل شيء حتى يحافظ على رسول الله سالماً معافى سواء في طريق الهجرة أو في غار (ثور) الذي بكى فيه أبو بكر حتى سقطت دموعه على وجه الرسول الكريم خوفاً على الرسول وخشية أن يصيبه مكروه خاصة بعد أن سمعوا ورأوا المشركين فوق رأسيهما فيطمئنه عليه الصلاة والسلام : «لا تحزن إن الله معنا» .

وجاهد معه بماله كما جاهد معه بلسانه دفاعاً عنه مصدقاً له في وقت كذبه ، أوشك فيه الجميع وهذه مواقف الرجولة والصداقة الحقة صبيحة عودة

الرسول عليه السلام من رحلة الإسراء والمعراج المباركة حيث قال : «إني أصدقه في خبر السماء أفلاً أصدقه في هذا؟ إن كان قال هذا فقد صدق» .

وكان أبو بكر الصدّيق أول من أسلم من الرجال وهذه فضيلة لم يسبقه من الصحابة إليها أحد ، لم يتردد أو يتأخر بل لبى دعوة الرسول وأجاب فأثلج صدر الرسول عليه السلام وأراح نفسه وشد من أزره وأيده حتى إن الرسول عليه السلام ذكر ذلك الفضل لأبي بكر عند الصحابة الكرام حين قال : «إن الله بعثني إليكم فقلتم : كذبت . وقال : أبو بكر صدق وواساني في نفسه وماله ، إنه أول الناس إسلاماً»[1] . وفي رواية أخرى : «فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟» . وإسلام أبي بكر الصديق المبكر له ما بعده حيث دخل في الإسلام الكثير من قومه ومن أصحابه ومن قريش بما كان يتميز به من مكانة عالية في قريش وحكمة بالغة وعلم واسع ودراية بالأنساب وحسن الخلق وطيب العشرة وحب قومه له وغناه ويساره حيث كان تاجراً محبوباً أميناً مستقيماً . وقد اكتسب ثقة العرب بأمانته وصدقه ولين طباعه ودماثة أخلاقه حتى خضعوا له ومالوا نحوه وسمعوا رأيه ، فأسلم على يديه كثير من كبار قريش : عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف . ثم تحول إلى داعية يدعو إلى الإسلام والناس يجيبونه حتى تعرض للقتل من أشرار قريش .

فقد وقف اثنان من كفار قريش في وجه الرسول يريدان قتله ، فأحكما أيديهما حول عنقه يريدان خنقه والمسلمون يرون ذلك ولا يجرؤ أحد منهم على التدخل لإنقاذ الرسول ، فأقبل أبو بكر يهدد قائلاً : ويحكم أتقتلون رجلاً لا ذنب له إلا قوله لا إله إلا الله؟ وتقدم يدفع الرجلين بعنف وهو يقول : والله إنه لرسول الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وجاءكم بالهدى والنور فأمسك الرجلان به وانهالا عليه ضرباً حتى سالت الدماء من وجهه

---

(1) أخرجه البخاري. فتح الباري ٢١٨/٧

وسقط مغشياً عليه فجاءت زوجته تنضح وجهه بالماء حتى إذا أفاق من إغمائه لم يكن همه إلا السؤال عن رسول الله ، ويطلب أن يأخذوه إليه فحملوه إلى الرسول مثقلاً بجراحه فلما رآه قال : كل مصيبة بعدك هينة يا رسول الله .

وظل يتحمل الأذى حتى أذن الله للرسول بالهجرة .

دوره في الهجرة النبوية :

كان أبو بكر رضي الله يستأذن رسول الله في الهجرة من مكة إلى المدينة مع إخوانه المهاجرين لأنه يعلم أن ذلك تضحية ينبغي له أن يتحملها في سبيل الله . ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يأمره بالتريث لعل الله يهيئ له صاحباً في هجرته وانتظر حتى سمع النبي ﷺ يقول : «قد أريت دار هجرتكم ذات نخلٍ بين لابتين»

وأخبر أبا بكرٍ بأنه قد أُذن له في الخروج . ففرح أبو بكر فرحاً شديداً وكان قد أعد العدّة لهذا اليوم العظيم من راحلة «يركب عليها الرسول ومن تعميته» على المشركين كي لا يعرفوا أثرهم ومن توفير للطعام والأخبار اليومية تأتيهما أثناء الطريق .

ولّما أجمع مشركو قريش أمرهم ومكرهم حين ظنوا أن الرسول ﷺ خارج إلى يثرب رأوا أن يمنعوه إما بقتله وإما بسجنه نزلت الآية الكريمة على رسول الله ﷺ :

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

(الأنفال ٣٠)

وهنا فلنستمع إلى ابن اسحاق يروي عن عائشة رضي الله عنها هذا الحدث يوم جاء الرسول إلى بيت أبي بكر في غير وقته المعتاد .

قال ابن اسحاق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : «كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية حتى إذا كان ذلك اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة في ساعة لا يأتي فيها . قالت : فلما رآه أبو بكر قال : «ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث . قالت : فلما تأخر له أبو بكر عن سريره ، جلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر . فقال رسول الله ﷺ : أخرج عني من عندك : فقال : يا رسول الله : إنما هما ابنتاي وما ذاك فداك أبي وأمي؟ فقال عليه السلام : «إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة» قالت : فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله . قال : الصحبة . قالت : فو الله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ . ثم قال : يا نبي الله إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا . فاستأجرا عبد الله بن أريقط رجلاً من بني الدِّيل بن بكر وكانت أمه امرأة من بني سهم بن عمرو وكان مشركاً يدلهما على الطريق فدفعا إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما» .

ولما كان ثلث الليل الأخير من تلك الليلة خرج الرسول عليه السلام وخرج معه أبو بكر من خوخة - باب - من دار أبي بكر وانطلقا جنوباً إلى غار ثور عن طريق اليمن مما لم يكن يرد على البال . إمعاناً في التعمية على المشركين . ولم يكن يعلم بمخبئهما في الغار غير عبد الله بن أبي بكر وأختيه عائشة وأسماء ومولاهم عامر بن فهيرة . . وكان لكل منهم دور .

أما عبد الله بن أبي بكر فكان يقضي نهاره بين قريش يستمع ما يقولون وما يأتمرون به وما ينوون . ثم يذهب ليلاً ليقصه على النبي عليه السلام

وعلى أبيه . وإما إخفاء أثرهما على الطريق فكانت مهمته عامر بن فهيرة فكان يرعى غنم أبي بكر على أثرهما حتى إذا أمسى أراح عليهما فاحتلبا . وإذا عاد عبد الله بن أبي بكر من عندهما تبعه عامر بالغنم فعفى أثره ومحاه .

وكان أبو بكر في الطريق يسير مرة أمام الرسول ومرة خلفه وثالثة عن يمينه والآخرة عن شماله حتى لفت نظر الرسول عليه السلام فسأله الرسول عن سبب ذلك فيرد أبو بكر قائلاً : يا رسول الله اذكر الرّصّد فأمشي أمامك ، وأذكر الطلب فأمشي خلفك ، وأذكر الكمين فأمشي مرة عن يمينك ومرة عن شمالك .

هذه نفحة من نفحات الوفاء وحب أبي بكر للرسول الكريم عليه السلام .

وأسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين . فقد هيأت للرسول عليه السلام وأبي بكر ومن معهما زاد الطريق وربطته بنطاقها الذي قطعته لكي يكفي لربط الزاد به قطعتين فسميت ذات النطاقين .

وكان إذا لقيهم لاق يسأل أبا بكر : من هذا الذي معك؟ يرد أبو بكر بتورية قائلاً : هادٍ يهديني الطريق .

ولما انتهيا إلى الغار كان لأبي بكر موقف من التضحية وحب الرسول ما شهد به عمر بن الخطاب أمام الناس مفضلاً أبا بكر عنه وعن آل عمر كلهم .

أخرج البيهقي عن ابن سيرين قال : «ذكر رجال على عهد عمر رضي الله عنه فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر فبلغ ذلك عمر فقال : والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر ، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر . لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه حتى فطن رسول الله ﷺ فقال : يا أبا بكر مالك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يديّ؟ فقال : يا رسول الله اذكر الطلب فأمشي خلفك ،

وأذكر الرصد[1] فأمشي بين يديك . فقال يا أبا بكر : لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني؟ فقال : نعم يا رسول الله والذي بعثك بالحق . فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ لك الغار فدخل فاستبرأه (اختبره) ثم قال : انزل يا رسول الله فنزل . ثم قال : والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر[2] » . رحم الله أبا بكر وعمر كم يعلماننا الوفاء وقول الحق .

أما في داخل الغار :

فقد حرص أبو بكر أن يحمي الرسول عليه السلام من كل شر ، فأخذ يسوى أرض الغار بيديه وكلما رأى حجراً سدّه بقطعة من حجر أو ثوبه الذي مزقه لهذا الغرض مخافة أن تخرج منه أحد الهوام من حية وغيرها فتصيب الرسول بمكروه ولما اطمأن أبو بكر قال للرسول عليه السلام : الآن ادخل يا رسول الله . وهذه منقبة نادرة من مناقب الصدّيق مع حبيبه رسول الله ﷺ .

ولما جاءت قريش يطلبون النبي عليه السلام ووصلوا إلى الغار علّهم يجدون ما يدل على أنهما فيه ولكن الله هيأ الأمر حيث ساق تلك الحمامة في عشها على باب الغار . والعنكبوت وقد نسج خيوطه على الباب ، ولا يكون ذلك إلا دليلاً على أن هذا الغار مهجور تماماً ليس فيه أحد . ولما رآهم أبو بكر خشي على رسول الله ﷺ وقال للرسول : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا . فقال له الرسول عليه السلام يا أبا بكر «ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا» .

وأقاما بالغار ثلاثة أيام كانت قريش جادة في طلبهما غير يائسة ولا وانية . ولكن جنود الرحمن الرحيم معهما تدفع عنهما الشر وإلا فما تفسير

---

(1) الرصد: الراصدون والمراقبون.
(2) كذا في البداية (١٨٠/٣)

هذه المعجزات الثلاثة التي حدثت في باب الكهف مخالفة للخلق الطبيعي والتدرج الخلقي؟

حمامتان في عشهما مع بيضهما . وشجرة تنمو وعنكبوت تنسج بيتها في فترة زمنية لا تعقل . وفي هذا يقول الله تعالى :

إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

(التوبة ٤٠)

أعمال صالحات لأبي بكر في حياة الرسول :

١ـ تميزت حياة أبي بكر رضي الله عنه بالأعمال الصالحات منذ كان صديقاً صدوقاً لمحمد وهما غلامان ، فكما أنهما لم يسجدا لصنم فإنهما لم يشاركا قومهما في عيد ولا في عادة ، ولم يلهوا كما نلهو ولم يشربا خمراً وكانا خيرة شباب قريش ، جمعت بينهما التجارة والكسب الحلال بالأمانة والشرف ، وما أن جاء الوحي لمحمد عليه السلام حتى سأل الرسول عن حقيقة ما يسمع فدعاه الرسول إلى الإسلام فلبى وشهدت بذلك عائشة رضي الله عنها أنها قالت : خرج أبو بكر يريد رسول الله ﷺ وكان صديقاً له في الجاهلية فلقيه فقال : يا أبا القاسم : فُقدتَ من مجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأمهاتها . فقال رسول الله ﷺ «إني رسول الله أدعوك إلى الله»فلما فرغ من كلامه أسلم أبو بكر . فانطلق عنه رسول الله ﷺ وما بين

الأخشبين[1] أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر . ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبد الله ، والزبير ابن العوام ، وسعد بن أبي وقاص فاسلموا . ثم جاء بعثمان بن مظعون ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم فأسلموا رضي الله عنهم»[2] .

شهد فيه رسول الله ﷺ فقال : «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة[3] وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عكم[4] عنه حين ذكرته ولا تردد فيه»

(حياة الصحابة جـ١ ص٦٨)

ويكفي أبا بكر أجر هؤلاء الذين أسلموا على يديه وأجر من هداهم للإسلام إلى يوم القيامة .

٢- كان أبو بكر محافظاً على الأركان الخمسة للإسلام مقيماً لها ومؤدياً للنوافل مع طلوع كل شمس وغروبها ، لا يدع فرصة للخير إلا ملأها .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر أنا .

قال : فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر أنا .

قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر أنا

قال : فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر أنا

---

(1) الأخشبان: جبلان مطبقان بمكة

(2) البداية جـ٣ ص٢٩

(3) كبوة: تريث

(4) عكم عنه: تلبث

فقال رسول الله ﷺ : «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» .[1]

٣- ولقد تحمل أبو بكر الأذى في سبيل الله حتى أوشك أن يموت وما كان يهمه ما فيه من أوجاع وجروح وآلام بقدر ما يهمه أن يسمع عن محمد عليه السلام أنه معافى وفي صحة تامة لأنه يعلم أن سلامة الرسول ﷺ وحياته هي سلامة الأمة وحياتها وأما موته هو فإنما هو موت فرد لا يزيد الأمة ولا ينقصها لأنها تعوضه بغيره .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألحّ أبو بكر على الرسول ﷺ في الخروج والظهور فقال : «يا أبا بكر إنا قليل» فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله عليه السلام جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله والى رسوله . وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عقبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه ، ونزا[2] على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه ، وجاء بنو تميم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر وحملت بنو تميم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته ، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عقبة بن ربيعة فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تميم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فمسّوا منه بألسنتهم وعذلوه ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير : انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت : والله مالي علم بصاحبك . فقال : اذهبي إلى أم

(1) مختصر صحيح مسلم ٥٤٣

(2) نزا: وثب

جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : إن أبا بكر يسالك عن محمد بن عبد الله؟ فقالت : ما أعرف . وإن شئت أن أذهب معك إلى ابنك قالت : نعم فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً[1] فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت : والله أن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ هذه أمك تسمع قال : فما عليك منها . قالت : سالم صحيح . قال : أين هو؟ قالت : في دار ابن الأرقم . قال : فإن له عليّ ألا أذوق طعاماً ولا شراباً أو آتي رسول الله ﷺ . فأمهلتا حتى إذا هدأت الرِجْلُ وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ قال : فأكب عليه رسول الله ﷺ فقبله وأكب عليه المسلمون ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة ، فقال أبو بكر : بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها عسى أن يستنقذها من النار . قال : فدعا لها رسول الله عليه السلام ودعاها إلى الله فأسلمت وأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهراً وهم تسعة وثلاثون رجلاً ، وقد كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أسلم يوم ضرب أبو بكر رضي الله عنه[2] .

وهكذا يا أخي المؤمن كانت لأبي بكر في مصيبته فرحتان ، فرحته بسلامة رسول الله ﷺ ، وفرحة بإسلام أمه ، فكان بهذا من الصابرين وكان من المبشرين وكلاهما في الجنة .

٤- وكان أبو بكر في حروب الرسول عليه السلام من أشجع الصحابة وأقواهم قلباً وأجرأهم على الإقدام والمجابهة دون خوف أو وجل وهذه من صفات القائد المهاب في جنوده الذي يكسبهم الصمود والثبات ويجدد عزائمهم ويدعوهم للفداء فليس أرواحهم بأغلى من روحه ولا حياتهم بأعز

(١) دنفاً: المريض الذي يلزمه المرض
(٢) حياة الصحابة جـ١ ص٢٨٠

من حياة قائدهم . وهكذا كان رسول الله ﷺ : كان المسلمون إذا اشتد الوطيس يحتمون برسول الله عليه السلام .

وكان أبو بكر هكذا شجاعاً في المعارك مقداماً لا يهاب الموت أو يخاف الردى .

أخرج البزاز عن علي رضي الله عنه أنه قال : «أيها الناس أخبروني من أشجع الناس؟ قالوا : أنت يا أمير المؤمنين قال : أما إني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس قالوا : لا نعلم فمن؟ قال أبو بكر . إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عرشاً فقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه . فهذا أشجع الناس»[1] وهكذا كان عليه الصلاة والسلام يستعيذ دائماً في الصباح وفي المساء ويعلمنا أن نستعيذ من الجبن والبخل وغلبة الدين وقهر الرجال .

٥- في صلح الحديبية : لما كانت شروط صلح الحديبية مجحفة في حق المسلمين لما فيها من ذلة ظاهرة رضي بها رسول الله ﷺ وهو يعرف مصيرها ومآلها بعين الرسول لا بعين البشر أصحابه . احتج عليها الكثير من الصحابة وأبوا قبولها لأن فيها : «من لحق من الكفار بالمسلمين ردوه ، ومن لحق بالكفار لم يردوه» وغير ذلك ، واختلفت آراء الصحابة حتى حزن الرسول من موقفهم ولم يدروا أنها خير للمسلمين ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم . . كان موقف أبي بكر مع رسول الله ﷺ دائماً وقال : «ما كان فتح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية ، ولكن الناس يومئذ قَصُرَ رأيهم عما كان بين محمد وربه ، والعباد يعجلون والله لا يعجل كعجلة العباد ، حتى تبلغ الأمور ما أراد ، لقد نظرت إلى سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائماً عند المنحر

(١) حياة الصحابة جـ١ ص٥٤٠

يقرب إلى رسول الله ﷺ بُدنة ورسول الله ﷺ نحرها بيده ودعا الحلاق فحلق رأسه وأنظر إلى سهيل يلتقط من شعره وأراد أن يضعه على عينيه ، وذكرت إباءه أن يقر يوم الحديبية بأن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، ويأبى أن يكتب محمد رسول الله ، فحمدت الله الذي هداه للإسلام» .

وهذا في نظر أبي بكر انتصار كبير أن يتحول هذا السيد من سادات قريش المعاندين قبل الحديبية إلى متبرك بالرسول بعد صلح الحديبية . وإليكم القصة :

كان سهيل بن عمرو ممثل قريش أمام الرسول في التوقيع على وثيقة صلح الحديبية فلما جاء قال : هات وأكتب بيننا وبينكم كتاباً ، فدعا النبي الكاتب فقال النبي ﷺ : أكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو؟ ولكن أكتب «باسمك اللهم» كما كنت تكتب فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال النبي ﷺ : أكتب : «باسمك اللهم» ثم قال : «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله» فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن أكتب «محمد بن عبد الله» فقال رسول الله ﷺ : والله إني لرسول الله وإن كذبتموني ، أكتب محمد بن عبد الله» ، ثم قال النبي ﷺ : «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به» قال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أُخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل . فكتب فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا . قال المسلمون : سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟؟

وحتى يحق الله الحق ويظهر المعجزة في وثيقة صلح الحديبية مما خفي عن المسلمين وعمله الرسول حدث ما يلي :

جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو مقيداً مكبلاً وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين . فقال سهيل : هذا يا محمد أول

من أقاضيك عليه يجب أن ترده إليّ . فقال النبي عليه السلام : إنا لم نقص الكتاب بعد» قال سهيل : فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً . قال النبي ﷺ فأجزه لي . قال سهيل : ما أنا بمجيزه لك . قال : بل فأفعل . قال : ما أنا بفاعل . فقال مكرز : بل قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أي معشر المسلمين أردُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟؟ ألا ترون ما قد لقيت ـ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله ، فقال عمر : فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : ألست نبي الله حقاً؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال : بلى ، قلت : فلم نعطى الدنية في ديننا إذن؟ قال عليه السلام : إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري . قلت : أولست كنت تحدثنا أنّا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال : بلى أن نأتيه العام قال : قلت : لا قال : فإنك آتيه ومطوف به . قال عمر فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر : أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال : بلى ، قلت فلم نعطى الدنية في ديننا إذن؟ قال : أيها الرجل إنه لرسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرره[1] فو الله إنه على الحق ، قلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال : بلى . أفأخبرك أنك تاتيه العام .؟ فقلت : لا . قال : فإنك آتيه ومطوف به قال عمر : فعملت لذلك أعمالاً (من صدقة وصوم واعتاق من مخافة كلامي الذي تكلمت) ورجوت أن يكون خيراً .

فلما فرغ من قضية الكتاب ، قال رسول الله ﷺ لأصحابه «قوموا وانحروا ثم احلقوا» ثلاث مرات . فلم يقم أحد من الصحابة . فدخل إلى أم سلمة رضي الله عنها فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة : يا نبي الله اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك ، وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج النبي عليه السلام فلم يكلم أحداً منهم حتى نحر ودعا حالقه فحلقه . فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً .

---

(1) لم يخالفه.

وماذا بعد هذا الموقف ورجوع المسلمين إلى المدينة دون أن يطوفوا حسب اتفاق الحديبية وشروطها المذلة في نظر المسلمين؟ سنرى كيف حوّل الله هذه الاتفاقية إلى نصر وعزّ للمسلمين وندامة من قريش حاولوا التخلص منها بإرادتهم ويرفض الرسول ذلك ومعه المسلمون .

حدث أن جاء أبو بصير إلى المدينة مسلماً فاراً من قريش فأرسلوا في طلبه رجلين . فقالا : العهد الذي بيننا؟ فدفعه الرسول إليهما وخرجا به راجعين إلى مكة حتى إذا وصلا مكاناً يسمى ذا الحليفة نزلوا يأكلون من تمر لهم فاحتال أبو بصير واستل سيف أحد الرجلين وضربه به حتى مات ففر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد طائفاً فلما انتهى إلى النبي عليه السلام قال : قتل والله صاحبي وإني لمقتول . فجاء أبو بصير فقال : يا نبي الله : قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم فقال النبي «ويل أمه مسعر حرب» لو كان له أحد .

فلما سمع أبو بصير ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى ساحل البحر .

ثم يعلم بذلك أبو جندل فيفلت منهم ويلحق بأبي بصير ، وصار لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى صارت عنده عصابة لم تترك عيراً تخرج في تجارة إلى الشام إلا اعترضوها فقتلوا رجالها وأخذوا أموالهم . وهنا أرسلت قريش إلى النبي تناشده بالله والرحمن أن يخلصهم من هؤلاء وأنهم تنازلوا عن شرط إرجاع المسلمين منهم إلى قريش بل هو آمن فوافق الرسول على ذلك وأنزل الله ذلك الآية :

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

(سورة الفتح ٢٤)

أرأيتم أيها الأخوة المؤمنون كيف أن الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا ويحول ذلهم عزاً وعز الكافرين ذلاً بأيديهم . وصدقت قولة أبي بكر في هذا : «ما كان فتح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية ، ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه» .

وكان صلح الحديبية فتحاً قبل الفتح المبين لمكة المكرمة .

جوده بماله في سبيل نصرة الإسلام :

إن من يجود بنفسه في سبيل الله وحبه لرسول الله واخلاصه في البذل والعطاء من أجل الإسلام العزيز القوي لا يقصر بالجود بماله لأن الجود بالنفس أقصى غاية الجود وقد كان أبو بكرٍ جواداً بنفسه كريماً بماله عن طيب نفس قبل أن تنزل آيات المنفقين وجزاؤهم العظيم في الدنيا والآخرة فقد حمل معه كل ماله يوم خرج مع رسول الله إلى يثرب .

أخرج ابن اسحاق عن أسماء رضي الله عنها قالت : لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر رضي الله عنه احتمل أبو بكر معه ماله كله . خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم وانطلق بها معه . فقالت أسماء : فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال : والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه قالت : قلت كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً . قالت : وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوباً ثم أخذت بيده فقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه فقال : لا بأس إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن . وفي هذا بلاغ لكم ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكن أردت أن أسكت الشيخ بذلك .

(أخرجه أحمد)

كما أن أبا بكر لما توفي قدم عمر وعلي إلى بيت ماله فوجدوا فيه كيساً من الخيش فنفضوه فلم يجدوا فيه شيئاً يذكر، تركه بعد وفاته . وكان يتمثل في صدقته قول الرسول :«أتي رسول الله ﷺ رجل فقال : يا رسول الله أي الصدقة أعظم؟ فقال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم ، قلت لفلان كذا ولفلان كذا» (أخرج أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والدارمي والحاكم عن عمر رضي الله قال : أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق ووافق ذلك مالاً عندي فقلت : اليوم أسبق أبا بكر رضي الله عنه أن سبقته يوماً فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ ما أبقيت لأهلك؟ قلت : أبقيت لهم ، قال : وما أبقيت لهم؟ قلت : مثله . وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال : يا أبا بكر ما أبقيت إلى أهلك؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت : لا أسبقه إلى شيء أبداً» .

(منتخب الكنز ٣٤٧/٤)

قلبه نقي لا يحمل ضغينة :

من يغمر الإيمان قلبه يعز بالله ويمتلئ صفاءً وإشراقاً لهوان الدنيا في عينيه ولا يلتقي الحقد والضغينة أو الحسد أو وسوسة الشيطان مع الإيمان والصدر العامر بذكر الله واللسان اللاهج باسم الله وهكذا كان الرسول الكريم يعفو عمن ظلمه ويكرم من أساء إليه ولا ينام وفي صدره شيء على أحد يستسمح من أساء إليه ويسترضي من أغضبه ويستغفر لمن آذاه . وقد كان أبو بكر مثالاً برسول الله يهتدي وبسلامة قلبه يستعين ونقاء سريرته يستظل .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر رضي الله عنه آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه ، فقال النبي عليه السلام : «أما صاحبكم فقد غامر»[1] فسلم فقال : إني كان بيني وبين بن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي ،

---

(١) غامر : خاصم

فأقبلت إليك فقال يغفر الله لك يا أبا بكر ، ثلاثاً . ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فقال : أثمّ أبو بكر؟ قالوا : لا . فأتى إلى النبي ﷺ فسلّم فجعل وجه النبي يتمعر[1] حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال : يا رسول الله ـ والله ـ أنا كنت أظلم ـ مرتين ـ فقال رسول الله «إن الله أرسلني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق ، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركون لي صاحبي ـ مرتين ـ[2]

وعند الطبراني عن ابن عمر أن أبا بكر رضي الله عنه ـ نال ـ من عمر شيئاً ثم قال : استغفر لي يا أخي فغضب عمر فقال ذلك مرات فغضب عمر فذكر ذلك للنبي عليه السلام وانتهوا إليه وجلسوا ، فقال رسول الله ﷺ : يسألك أخوك أن تستغفر له فلا تفعل؟ فقال : والذي بعثك بالحق نبياً ما من مرة يسألني إلا وأنا استغفر له وما من خلق الله أحب إليّ بعدك منه . فقال أبو بكر : وأنا والّذي بعثك بالحق ما من أحد أحب إليّ منه . فقال رسول الله ﷺ «لا تؤذوني في صاحبي فإن الله عز وجل بعثني بالهدى ودين الحق فقلتم كذبت . وقال أبو بكر صدقت . ولولا أن الله عز وجل سماه صاحباً لاتخذته خليلاً ولكن أخوة الله ألا فسدوا كل خوخة[3] إلا خوخة ابن أبي قحافة»[4] .

وأخرج البيهقي ٦/٢٣٠١ عن الشعبي قال : لما مرضت فاطمة رضي الله عنها أتاها أبو بكر الصديق رضي الله عنه فاستأذن عليها فقال علي رضي الله عنه : يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك فقالت : أتحب أن آذن له؟ قال : نعم . فدخل عليها يترضاها وقال : والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ورسوله ومرضاتكم أهل البيت ثم ارتضاها حتى رضيت» .

---

(١) يتمعر : يتغير

(٢) حياة الصحابة ص٤٣٢

(٣) الخوخة: الباب الصغير

(٤) حياة الصحابة جـ٢ ص٤٣٣

أبو بكر الخليفة ..

روى البخاري عن ابن عمر قال : كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ، ويضيف الطبري في الكبير فيعلم بذلك النبي عليه السلام ويقول : «ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض . فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل . وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر»[1] .

(حديث حسن غريب/ رواه الترمذي في المناقب)

من هذا الحديث ندرك أن ترتيب الخلافة في أبي بكر ثم عمر ثم عثمان كان من هدي الرسول عليه الصلاة والسلام ، وليس سرقة أو ظلماً أو افتراءً كما يدعي بعض المضللين من الطوائف الإسلامية . وسنرى في هذا الفصل كيف اختير أبو بكر للخلافة حتى نصل إلى علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه .

وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام :

في الأيام الأخيرة من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام مرض بالحمى مرضاً شديداً صُبّت عليه قرب الماء السبع فخفف الله عنه حتى خرج إلى المسجد وجلس على المنبر : فحمد الله وصلى أصحاب أُحُد الذين استشهدوا فيها ونالوا رضا الله واستغفر لهم ثم أوصى بإنفاذ بعثة أسامة بقوله : «أيها الناس أنفذوا بعث أسامة فلعمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في أمارة أبيه من قبله وإنه لخليق للإمارة وإن كان أبوه لخليقاً بها» . ثم سكت هنيهة وقال : «إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وما عنده فاختار ما عند الله» ، وفهم أبو بكر معنى هذا العبارة وعرف أن رسول الله ﷺ يعني نفسه فبكى وقال بل نحن نفديك بأنفسنا وابنائنا .

(١) جولة في عصر الخلفاء الراشدين ص١٣ رواه الترمذي (كتاب المناقب) حديث مرفوع وقال: حديث حسن غريب.

فقال على رسلك يا أبا بكر : إنه ليس من الناس أحد آمن علـي بنفسه وماله من أبي بكر ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الله» ، ثم أمر أن تغلق جميع الأبواب المؤدية إلى المسجد إلا باب أبي بكر .

ومما قاله : يا معشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيراً فإن النـاس يزيـدون والأنصار على هيئتها لا تزيد وأنهم كانوا عيبتي أي خاصتي وموضع سـري ، فأحسنوا إلى محسنهم وتجاوزوا عن سيئتهم» .

وذهب إلى بيت عائشة . وفي اليوم التالي لـم يقـو علـى الصـلاة بالنـاس فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فقالت عائشـة : إن أبـا بكـر رجـل رقيـق الصوت كثير البكاء إذا قرأ القـرآن ، قـال ﷺ : مـروه فليصـل بالنـاس فكـررت عائشة قولها فصاح ﷺ والمرض يهزه «إنكن صواحـب يوسـف ، مـروه فليصـل بالناس ، وصلى أبو بكر بالناس كما أمر الرسول عليه السلام ، ثـم قـال : قـاتل اللـه اليهـود والنصـارى اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مسـاجد . لا يبقـين دينـان علـى أرض العرب[1] .

وفي يوم الاثنين والمسلمون في صفوف فـي صـلاة الفجـر كشـف النبـي سـتر الحجرة ينظر إلى المسلمين فاستنار وجهه وأرخى الستر مودعاً حيث توفي من يومـه وكان ذلك يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ للهجرة وكان لوقـع النبـأ فـي نفـوس المسلمين واسماع الصحابة وقع الصاعقة حتى أن عمر بن الخطاب أنـكر أن يـموت محمـد وخـرج إلى المسجد وخطب الناس وقال : إن رسول الله ﷺ لا يموت حتـى يفني الله المنافقين . .

وهنا يتجلى موقف أبـي بكـر التـاريخي الـذي هيـأه اللـه لخلافـة رسـوله الكريم فأقبل من منزله حين بلغه الخبر فمر بباب المسجد وعمر يكلـم النـاس ودخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة وهو مسجى[2] فكشف عـن وجهـه

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ

(٢) معطى ببرد

ثم أقبل عليه فقبله ثم قال : بأبي أنت وأمي أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ثم لن يصيبك بعدها موتة أبداً ورد البرد على وجهه .

ثم خرج وعمر يكلم الناس فقال : على رسلك يا عمر وأنصت فأبى ألا أن يتكلم فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس فأقبلوا عليه وتركوا عمر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وتلا هذه الآية :

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

(آل عمران ١٤٤)

وكانت هذه الآية في جو التأثر والانفعال والذهول الذي كان فيه الصحابة وعمر كأنها تنزل عليهم لأول مرة لم يسمعوها من قبل . يقول عمر : والله ما إن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت[١] حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات وكان قبلها يقول في خطبته للناس «إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي وأنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات . والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى وليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه قد مات ، وكان قد أثر في المسلمين حتى كادوا أن يصدقوه وهم بين باك وواجم وعاكف ومتأوه وبين منذهل ومتحير وبين قائل وصامت حتى أنهى أبو بكر هذه المواقف .

(١) تحيرت

بيعـــة أبي بكر بالخلافة :

اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعده لما علموا بوفاة رسول الله عليه السـلام وأجمعوا أمرهم على اختيار سعد بن عبادة خليفة منهم لرسـول الله ﷺ اجتهاداً منهم أنهم أحق بالخلافة من غيرهم ووصل الخبر إلى المهاجرين الذين كانوا مشغولين بوفاة الرسول مع بقية المسلمين . فذهب أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح لوضع الأمور في نصابها مع المحافظة على وحدة المسلمين وتنفيذ وصية الرسول عليه السلام بالأنصار ، وكان لأبي بكر الصديق موقف يشكره الله عليه والناس في الدنيا ، ذلك هو إقناع الأنصار بأحقية الخلافة لقريش لاجماع العرب عليهم واختار لهم اثنين من الصحابة هما : عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ليختاروا واحداً منهما . ولكن عمر بن الخطاب يقوم ويبايع أبا بكر ثم يتابع المسلمون عمر في المبايعة مهاجرين وأنصاراً وهذا ما يرويه بن عباس في هذا المجال : [1] حيث يقول على لسان عمر بن الخطاب : إنه كان من شأن الناس أن رسول الله ﷺ توفى فأُتينا فقيل لنا إن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة مع سعد بن عبادة يبايعون فقمت وقام أبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح نحوهم فزعين أن يحدثوا في الإسلام فلقينا رجلين من الانصار ـ رجلا صدق ـ هما عويم بن ساعدة ومعن بن عدي فقالا : أين تريدون؟ قلنا : قومكم لما بلغنا من أمرهم فقالا : ارجعوا فإنكم لن تخالفوا ولن يؤتى بشيء تكرهونه . فأبينا الا أن نمضي حتى انتهينا إلى القوم وإذا هم عكوف هناك على سعد بن عبادة وهو على سرير المرض .

فلما غشيناهم تكلموا فقالوا : يا معشر قريش : منا أمير ومنكم أمير . فقال أبو بكر : اصمت يا عمر . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر الأنصار إنا والله ما ننكر فضلكم ولا بلاغكم[2] في الاسلام ولاحقكم

(١) حياة الصحابة حـ٢ ص١٧

(٢) بلاغكم: منزلتكم في الاسلام

الواجب علينا ولكنكم قد عرفتم أن هذا الحي مـن قريـش بمنزلـة مـن العـرب فليس بها غيرهم وأن العرب لن تجتمع الاعلى رجل منهم فنحن الأمراء وأنتم الوزراء فاتقوا الله ولا تصدعوا الاسلام ولا تكونوا أول من أحدث في الإسلام .

ألا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ـ عمر وأبي عبيدة فأيهما بايعتم فهو لكم ثقة . قال عمر : فوالله ما بقي شيء كنت أحب أن أقول الا وقد قاله غير هذه الكلمة فوالله لئن أقتل ثم أحيى ثم أقتل ثم أحيى في غـير معصية أحب إليّ من أن أكون أميراً علـى قـوم فيهـم أبـو بكـر . ثـم قلـت : يـا معشـر الانصار يا معشر المسلمين ان أولى الناس بأمر رسول اللـه ﷺ مـن بعـده ثـاني اثنين إذهما في الغار أبو بكر السـباق . ثـم أخـذت بيـده وبـادرني رجـل مـن الأنصار فضرب على يده قبل أن أضرب على يده فتتابع الناس .

وهكذا كان موقف أبي بكر في أول اكرام له من رب العـالمين حـين انقـذ الأمة من عاصفة كادت أن تطيح بوحدتها وعزتها بما وهبه الله من صدق فـي القول واخلاص في النية وعفـة عـن الولايـة وهـو يعلـم أن طـالب الولايـة لا يولى . ولكنها حب الله له الذي ملأ به قلوب العباد بعد رب العباد فـألف بـه قلوب الناس .

وكان أبدى عدم رغبته في الخلافة حين خطب الناس فقال :

«والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط ولا كنت فيها راغبـاً ولا سألتها الله في سـر ولا علانيـة ولكنـي أشـفقت مـن الفتنـة ومـالي فـي الإمارة من راحة ولكني قلدت أمراً عظيماً مالي به من طاقة ولا يد الا بتقوية الله عز وجل» .

وفي اليوم التالي لوفاة الرسول عليه السلام كان عمر بن الخطاب قد صعد المنبر في المسجد وخطب الناس وقال فيما قال : كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا فإن يك محمد قد مات فإن الله قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به هدى الله محمداً ﷺ وأن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين وانه أولى المسلمين بأموركم فقوموا فبايعوه وأخذ بيد أبي بكر حى صعد المنبر فبايعه الناس بعد بيعة السقيفة . وهذه خطبته السياسيه التي حدد فيها الملامح التي سينهجها في خلافته في بلاغة ما بعدها بلاغة قال (أما بعد أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ـ الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له والقوي فيكم ضعيف حتى اخذ الحق منه . لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحكم الله[1] .

خطبة عصماء جامعة مانعة قليلة الألفاظ وافرة المعاني خفيفة في السمع ثقيلة في الميزان جمعت مشاركتهم معه في المسؤولية : «إن أحسنت فأعينوني وان اسأت فقوموني» وبهذا وضع التطبيق العملي لقوله تعالى ﴿كما تكونوا يول عليكم﴾ ثم وضع اساس العدل في الحكم وهو المحافظة على حقوق العباد والجميع أمام ميزان العدالة سواء ، تطبيقاً لمبدأ الرسول في ذلك «والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» ثم وضع أمانة الجهاد وهو باب العزة للأمة موضع التنفيذ بدونه تذل الأمة وتذهب ريحها . ثم الخلق الذي ما ضاع في أمة إلا ضاعت وتهتكت وساد فيها الفساد واندثرت .

وبجرأة الواثق بالعدالة والملتزم بما يقول والأمين على الرسالة صارحهم : بأن طاعته واجبة عليهم ما دام في طاعة الله ورسوله يقيم أوامر كتاب الله

---

(١) الطبري جـ٣/٢١٠

وسنة نبيه كما تعلمه من رسول الله لصلاح الأمة «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي» .

وهذا ما نحن في حاجة إلى مثله في عصرنا الحاضر فلو أن حاكماً عربياً قام هذه الأيام ملتزماً بمثل هذه الخطبة لكفانا الانقلابات وأنظمة الحكم المستوردة وجبهات الإنقاذ والخلاص والثورات السوداء والبيضاء والحمراء ولعدنا أعزه مهابين كما كنا أيام أبي بكر فاتحين رايتنا بالنصر خفاقة تنهار أمام جيوشها الامبراطوريات والممالك . وهذا هو سبيلنا الوحيد إلى البقاء في عالم القوى التي لا تحترم إلا الأقوياء وبدون ذلك نبقى طمعاً لشذاذ الآفاق من كل لون وجنس ودين .

ورحم الله أبا بكر حين قال في خطبته يوم السقيفة :

واضعاً منهجاً خالداً لعزة أمتنا العربية ينبغي أن يكون شعار مؤتمرات القمم العربية والإسلامية في عصرنا حتى لا نظل في وهن وهوان مهما كثرت أعلامنا وتعدد أمراؤنا .

قال «وإنه لا يحل أن يكون للمسلمين أميران فإنه مهما يكن ذلك يختلف أمرهم وأحكامهم وتتفرق جماعتهم ويتنازعوا فيما بينهم هنالك تترك السُّنة وتظهر البدعة وتعظم الفتنة وليس لأحد على ذلك صلاح» .

فماذا يقول أبو بكر لو علم أن حكامنا العرب اليوم اثنان وعشرون . وأمراء المسلمين يزيدون على الستين ؟؟ والباب مفتوح . . . والعالم حولنا يتكتل في وحدات وهمية لا يجمعها لسان ولا تاريخ ولا دين مثلنا ؟؟

وهذه كلها عوامل عزتنا يا سادتي الأمراء . .

كونوا كأبي بكر تبشروا بالجنة .

إنجازات أبي بكر الخليفـــة :

تولى الخلافة ابو بكر في شهر ربيع الأول ١١ هجرية ومات رضى الله عنه ليلة الثلاثاء في أواخر شهر جمادى الآخرة ١٣ هجرية وكانت الفترة الزمنية التي قضاها خليفة سنتين وثلاثة أشهر على الأكثر كانت حافلة بكل الأحداث التي لو تعرضت لها أعظم الامبراطوريات لعصفت بكيانها ومزقته ولكن حكمة أبي بكر خليفة رسول الله في الحرص على الدولة وحب الله واعزاز دينه ورفع راية الإسلام خفاقة والايمان الذي حواه قلبه فجلب نصر الله وتأييده كما قال رسول الله في هذا (لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح ايمان أبي بكر) وحب المسلمين له واكبارهم لقيادته وطاعتهم لأوامره واجماعهم على ريادته لهم ورضاهم به خليفة يستحقها ولا غير أولى منه بها وبعد نظره وحرارة غيرته على الاسلام لما كان للاسلام أثر هذه الأيام الا في طوايا التاريخ وزوايا المخطوطات فقد أراد الحاقدون على الاسلام والذين اسلموا ولما يدخل الايمان في قلوبهم وأصحاب المصالح الذاتية ومن عاشوا في الجاهلية العمياء والقبلية المنتنة وأعداء العرب في الداخل والخارج أن يضربوا ضربتهم في ظروف حالكة السواد بعد وفاة الرسول ﷺ وغيابه عن دنياهم فغاب معه تأييد الوحي والسماء لهم ظناً منهم أن الله قد غاب أيضاً وبطل السحر كما يزعمون فأنشبوا مخالبهم السامة في جسم دولة الاسلام الفتية الناشئة . وحاولوا أن يضربوا جسم الدولة من داخلها تحت ذرائع رفض دفع الزكاة لأنها كانت تدفع لمحمد وبموته تموت ، وتارة بادعاء النبوة وما اسهل ذلك في عالم سادته القبلية العمياء والجهالة الصماء وتارة بالارتداد إلى دين الآباء بإبطال أركان الاسلام التي تقيدهم ، ومرة بالعودة أذلاء تابعين إلى سادتهم الكبار من فرس وروم . فهبت الفتن بنارها السموم في أنحاء الجزيرة وأعلن الخروج عن أركان الاسلام بتعطيل الزكاة أولاً .

وصار الارتداد غطاءاً لعز قد مضى لا بد أن يعود وظهرت أطماع المنافقين في الإمارة الذين قال الله فيهم :

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

(البقرة ٢٠٤ - ٢٠٧)

وقد تجلت قوة الله يضرب بها المسلمون على أيدي المؤامرة ويذلوا أنوف مدبريها على اختلاف ألوانهم وألسنتهم ومذاهبهم وأهوائهم وأساليبهم وتكفَّل الله بنصره لهؤلاء الذين يقودهم خليفة رسول الله العامر قلبه بالإيمان الصافي والقلب السليم والعزائم الصادقة من جنده الأبرار حتى دانت أمام عزتهم ذله المتآمرين وبطشوا بهم بطشة لا قيام بعدها الا يوم يساقون إلى جهنم وبئس المهاد . وأظلت عناية الله تحركات الجيوش الاسلامية في أطراف الجزيرة وداخلها وحققت الانتصارات الماحقة على الروم في بلاد الشام وحطمت عنفوان كسرى في العراق في سنتين من عمر الخلافة أنجز فيها المسلمون في عهد أبي بكر الخليفة الأول ما أذهل ويذهل المحللين الاستراتيجيين على أرقى معاييرهم وسنمر على هذه الانجازات بايجاز لكي نشكر الله ونجدد إيماننا بالوعد لنا المحتوم لكل المؤمنين مستظلين براية الاسلام عامرة قلوبنا بالإيمان الصادق والعمل الخالص والثقة بنصر الله .

﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ وبهذا نكون من المبشرين بالجنة على درب الخلفاء وجنودهم من الصحابة المبشرين بالجنة ان شاء الله ولنكن واثقين أن ما نردده يوم العيد هو وعد ثابت لا تبديل لوعد الله. (لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده)..

لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) فلو قلنا هذا الدعاء والتهليل بقلوبنا مع السنتنا فاعلموا أيها الاخوة في الإيمان أن عين الله ترعانا وقوة الله بملائكته معنا، وأننا سننتصر بالرعب من مسيرة شهر وسنطرح في هذه الصفحات من هذه الأحداث الصاعقه:

جيش أسامة - المرتدين - المتنبئين - الفتوحات المباركة.

إنفاذ جيش أسامة:

كان رسول الله ﷺ قد عقد اللواء لأسامة بن زيد كي يقود الجيش لمجابهة الروم في قرية يقال لها «أُبنى» في فلسطين واليوم يطلق عليها اسم «يبنا» وقال له: «امض على اسم الله» فعسكر الجيش في الجرف وكان في هذا الجيش كبار الصحابة يقودهم اسامة بن زيد ولكن بعض الصحابة لم يستوعبوا سر تعيين أسامة قائداً على جيش فيه كبار القادة المسلمين والمهاجرين الأولين حتى ذهب عمر بن الخطاب إلى رسول الله عليه السلام ونقل إليه وجهة نظر المسلمين بأن هذه معركة مع الروم تحتاج قائداً محنكاً متمرساً وليس غلاماً مثل أسامة. ولم يدروا ان رسول الله عليه السلام يرى بعين الله التي لا ترى بها عيونهم ظواهرها وقاسوا الأمور بما يجري من معهودات الدنيا.

فغضب الرسول عليه السلام غضباً شديداً وقام ورأسه معصوب ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد أيها الناس: فما مقالة بلغتني عن

بعضكم في تأميري أسامة فو الله لئن طعنتم في إمارة أسامة لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله وأيم الله إن كان للإمارة لخليق وأن ابنه من بعده لخليق بالامارة وان كان لأحب الناس إليَّ وان هذا لمن أحب الناس إليَّ وانهما لمخيَّلان[1] لكل خير فاستوصوا به خيراً فانه من خياركم» واشتد المرض على رسول الله عليه السلام ولم يتحرك الجيش لانشغال المسلمين بحياة الرسول حتى قام النبي عليه السلام في خطبته على المنبر وهو مريض وأوصى وقال «انفذوا جيش اسامة» واستجاب الصحابة والتزموا ولولا موت الرسول عليه السلام لتوجهوا تحت إمرة أسامة في جيش الرسول .

وانتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى وودعه المسلمون وتولى أبو بكر الخلافة بعد رسول الله عليه السلام فكان أول همه انفاذ جيش أسامة وإطاعة الرسول عليه السلام وتلبية أمره رغم ظهور المرتدين وانشقاق أطراف الجزيرة وبروز الأخطار المحيطة بمستقبل الدولة ورأوا أن الظروف تبدلت وأن الدفاع عن المدينة وقلب الدولة أولى بهذا الجيش من ارساله إلى مهمته وطلبوا منه تأجيل ذلك .

وهنا يتجلى وفاء أبي بكر للأمانة واخلاصه لرسول الله عليه السلام حياً وميتاً فوضع في أولويات مهماته إنفاذ جيش أسامة . وقال ليقطع الطريق على أي متردد من الصحابة : قال «والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تأكلني بالمدينة لأنفذت هذا البعث ولا بد أن يؤوب منه ، كيف ورسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي من السماء يقول : انفذوا جيش أسامة . ولكني أكلم أسامة في عمر يقيم عندنا فإنه لا غنى بنا عنه .

وهكذا هي مواقف الرجال الحسم في الأمور التي لا بد من الحسم فيها وهذه هي عظمة الاسلام في إزالة الفوارق بين المسلمين من كل الوجوه ويذهب الخليفة أبو بكر إلى بيت أسامة ويستأذنه في عمر فيوافق أسامة على أن يترك

---

(١) لمخيلان: مظنتان لكل خير

أحد رعاياه وأحد جنده وهو عمر بن الخطاب ويبقى في المدينة مع الخليفة أبي بكر الذي يستأذنه بتواضع ما بعده تواضع إلا تواضع الرسول عليه السلام . كيف لا يبشران بالجنة أبو بكر وعمر وزيرا رسوال الله ﷺ في الدنيا .؟؟

وخرج أبو بكر خليفة رسول الله عليه السلام يشيع جيش أسامة الذي بلغ عدد رجاله ثلاث آلاف رجل معهم ألف فرس أبو بكر ماشياً وأسامة راكباً وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر رضي الله عنه .

فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله «لتركبنَّ او لأنزلنَّ» فقال أبو بكر : والله لا تنزل ووالله لا أركب . وما عليَّ ان أغبر قدميَّ ساعة في سبيل الله فان للغازي بكل خطوة يخطوها سبع مائة حسنة تكتب له وسبعمائه درجة ترفع له وتمحى له سبعمائه خطيئة .

ثم يقول له مودعاً : (استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ، إن رسول الله ﷺ أوصاك فانفذ لأمر رسول الله فاني لست آمرك ولا أنهاك إنما أنا منفذ لأمر أمر به رسول الله ﷺ) مواقف كلها إباء وعظمه وخلق كريم واحترام لقرارات القائد تنفذ دون اعتراض من الصغير يقود الكبار أو الكبير يأتمر بالصغار أو الخليفة يوجه القائد الموثوق به .

أفلا يبشرون بالجنة وهم السابقون السابقون ؟

العبرة من إنفاذ جيش أسامة :

١- ما كان جيش أسامة يمر بقبيل من العرب يريدون الارتداد الا قالوا معبرين عن رعبهم وخوفهم لو فعلوا : لولا ان لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم !

٢- بعض العرب الذين يريدون الارتداد علقوا ارتدادهم اذا هزم هؤلاء الجيش أمام الروم في الشام ويقضى عليه قضاءاً مبرماً .

٣ـ وبعضهم قالوا : اذا كان هذا الجيش موجهاً إلى الروم وما أدراك ما الروم فماذا يخبئ المسلمون من قوات وجيوش لغير الروم؟؟

٤ـ ارسال أسامة الحديث السن إلى الروم وانتصاره وعودته سالماً تعني في عرف الجيوش الأجنبية . نوعاً من الحرب النفسية للعدو بأنك لا تستحق اكثر من هذا القائد الحدث . فما بالك لو وجهنا لك القادة العظام؟

٥ـ ولما عاد جيش أسام إلى المدينة ظافراً وكانت الفتن قد شبت في بعض مناطق الجزيرة اشتد عزم المسلمين وازدادوا ثقة بالنصر . وازداد المرتدون والمشككون والمنافقون رعباً فوق رعبهم وهذا ما عجل باستقرار الأوضاع وانكشاف الغمة وعلم الجميع أن الملائكة ما زالت في صفوف المجاهدين تدفع وتدافع عن الذين آمنوا وأن الله مع المؤمنين أينما كانوا يؤيدهم بنصره ما نصروه كما قال تعالى :

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾

(النور ٥٥)

٢ـ فتنة الردة

أخذت الردة شكلين بعد وفاة رسول الله ﷺ شكلاً مادياً يمتنعون معه عن دفع الزكاة بحجة أنها كانت تدفع لرسول الله ﷺ ولما مات سقطت بموته . وشكلاً عقائدياً بالرجوع إلى الجاهلية بمعتقداتها الوثنية أو باتباع المتنبئين .

وقد كان لأبي بكر أمام كل واحد منها أسلوبه وحله الحاسم الذي ينطلق من عقيدة راسخة وعزم مؤمن ويقين بالله لا يتزعزع واسلام بعد تسليم الروح والعقل والقلب والجوارح لله رب العرش العظيم ولرسوله الصادق الأمين بلغت فيه الدرجة إلى أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان بمثل هذا الايمان مع الله كان الله معه وخافه كل شيء واستحق البشارة بالجنة وهو حي يرزق . وأقرأ معي يا أخي وتأمل عزة الإيمان كيف يفعل فعله ويطوع العصاة ويرعب المنافقين ويهزم الباطل مهما اشتدت سواعده وتعاضدت أركانه وارتفع صوته :

أخرج الخطيب عن مالك عن ابن عمر رضي الله عنهما قال :

لما قبض النبي ﷺ اشرأب النفاق بالمدينة وارتد العرب وقالوا : قد مات هذا الرجل الذي كانت العرب تنصر به فجمع ابو بكر رضي الله عنه المهاجرين والانصار وقال : ان هذه العرب قد منعوا شاتهم وبعيرهم ورجعوا عن دينهم فأشيروا عليَّ فما انا الا رجل منكم واني أثقلكم حملاً لهذه البلية .

فأطرقوا طويلاً ثم تكلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : أرى والله يا خليفة رسول الله أن تقبل من العرب الصلاة وتدع لهم الزكاة فانهم حديثو عهد بجاهلية لم يعدهم الاسلام فاما ان يردهم الله إلى خبر واما ان يعز الله الاسلام فنقوى على قتالهم فما لبقية المهاجرين والانصار يدان للعرب والعجم قاطبة . فالتفت إلى عثمان رضي الله عنه فقال مثل ذلك وقال علي رضي الله عنه مثل ذلك وتابعهم المهاجرون ثم التفت إلى الانصار فتابعوهم فلما رأى ذلك صعد أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

«أما بعد فان الله بعث محمداً ﷺ والاسلام غريب طريد قد رثَّ حبله وقل أهله فجمعهم الله بمحمد ﷺ وجعلهم الأمة الباقية الوسطى ، والله لا أبرح أقوم بأمر الله وأجاهد في سبيل الله حتى ينجز الله لنا وعده ويفي

عهده فيقتل من قتل منا شهيداً في الجنة ويبقى من يبقى منا خليفة الله في أرضه ووارث عباده قضى الله الحق وقال تعالى وليس لقوله خُلفٌ :

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾ والله لو منعوني عقالاً مما كانوا يعطون رسول الله ﷺ ثم أقبل معهم الشجر والمدر والجن والإنس لجاهدتهم حتى تلحق روحي بالله ، أن الله لم يفرق بين الصلاة والزكاة ثم جمعهما . فكبر عمر وقال : والله قد علمت حين عزم الله لأبي بكر على قتالهم أنه الحق» .[1]

أرأيت يا أخي المؤمن يقيناً مدعوماً بالدليل انه لو وزن إيمان أبي بكر ووزن ايمان الأمة لرجح إيمان أبي بكر» .

صدق رسول الله فما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى وبهذا الاخلاص لله ولرسول وللأمانة التي حملها كان جديراً بأن يبشر بالجنة ويكون أول من يدخلها من أمة محمد عليه السلام . .

«عن النبي ﷺ قال : أتاني جبريل عليه السلام فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي يدخل منها أمتي . فقال أبو بكر يا رسول الله : وددت لو أني كنت معك حتى أنظر اليه . فقال رسول الله ﷺ : انك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي»[2] .

حروب الردة

استطاع الخليفة أبو بكر أن يسيطر على الموقف برباطة جأش وصرامة وحزم وتمكن من اجتياح الجزيرة العربية منتصراً ظافراً واخضع هؤلاء المرتدين مادياً أو عقائدياً ممن كانوا في ايمانهم يعبدون الله على حرف خوفاً من محمد

---

(١) حياة الصحابة حـ ص٤٣٢

(٢) العشرة المبشرون بالجنة ص١٨

او لما كان يدفع لهم لتأليف قلوبهم او من الذين اتبعوا أدعياء النبوة الكاذبين الذين ما لبثوا ان تهاووا أمام عزة الاسلام وجيش الايمان مهما كانوا عليه من بعد عن مركز الدولة في المدينة أو سطوة في أقوامهم أو عناد في ردتهم . وهيأ أبو بكر المدينة لتكون سداً منيعاً تتحطم حوله أطماع الطامعين من أمثال هؤلاء الطغاة والمرتدين والذين يتربصون بالاسلام الدوائر بما حفظه من وحدة المسلمين مهاجرين وأنصاراً وبما جدد من قناعات صادرة عن ايمان قوي في قلوب المؤمنين حوله وتماسك لا ينفذ منه نافذ شر أو دجال منافق أو خائن عميل أو ملون في عقيدته ولسانه ووجهه . وحول الرياح الهوجاء التي كادت ان تعصف بدولة الاسلام إلى عواصف وأعاصير حارقة في وجوه المرتدين بأصنافهم وأدعياء النبوة على اختلاف جنسهم من ذكر وأنثى وقبائل شتى ويتصدى لكل المحن والاحداث بما وضعه من خطط ميدانية موفقة عسكرياً ومعنوياً وكيف ولا وهو الذي قال في كلمة تزن الجبال ايماناً وحرصاً على الشريعة وتمام الدين ووحدة الدولة «أو ينقص الدين وأناحي؟» .

ـ وقد استطاع بقدرته في الحزم وبأسه في مقارعة خَوَر الصحابة بعدما تركه موت الرسول من فراغ كبير في نفوسهم وأثر على إيمانهم فجبنوا وبما أعطاه الله من حكمة بالغة وفصل الخطاب . أن يعيد أصحابه إلى درجات إيمانهم القوي بأنه النصر ما زال محيطاً بأمة محمد مشمولة به ما داموا على درجة الايمان القوي ، أما موت الرسول عليه السلام فهو محتوم لأن كل من عليها فان وخاطب الله محمداً قائلاً «إنك ميت وإنهم ميتون» فالرسول اختار ما عند الله وقبل أن يلحق بالرفيق الأعلى بعد ان ترك أمة كمل دينها وعزت دولتها ورسخت شريعتها بأمثال أبي بكر الصديق . فنزع ما في قلوب الصحابة والمسلمين من فزع وضعف بقول الله تعالى «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين» .

والتفت أبو بكر إلى سنده وعضده عمر بن الخطاب الذي هزته الفاجعة فأفقدته الصواب بعض الوقت مستبعداً أن يضرب خليفة رسول الله المسلمين بالسيوف في وقت اجتمعت كل عوامل البغي والعدوان في مواجهة دولة الإسلام متحدية وحدتها ومختبرة سلطانها في ظل قائدها الجديد أبي بكر المعروف عنه الرقة والرأفة مما أوحى للمرتدين بضعف المسلمين في عهده فتجرأوا حتى جهروا بتركهم للزكاة حتى الارتداد وقال لعمر: حتى أنت يا عمر؟ أجبار في الجاهلية خوارٌ في الاسلام؟ عتاب تقدير وتذكير بما كان عليه من همة عالية وصلابة أمام الحق حتى سمي الفاروق.. فأرجعت هذه العبارة المؤثرة إلى الفاروق عمر يقظتة وحرصه على الإسلام عزيزاً مهاباً بإيمان أقوى مما كان عليه قبلها.

المرتدون يهاجمون المدينة:

علمت بعض قبائل الردة أن المدينة خالية من الرجال بعد ان سار جيش أسامة إلى مهمته فدفعهم وهمهم وظنوها سهلة يستطيعون أقتحامها عسكرياً أو على الأقل نفسياً ليجبر الصحابة الخليفة أبا بكر على قبول ترك الزكاة. وكان الخليفة قد استعد لحماية المدينة وكلف من بقي من كبار لصحابة بحراستها من هجمات محتملة حتى باغتهم العدو من قبائل عبس وذبيان وغطفان وفزارة في الليلة الثالثة ولكنهم بيقظتهم وثباتهم ردوهم عن المدينة خاسرين وقتلوا فيهم اطماعهم خاسئين وتعقبهم الخليفة أبو بكر واشتبك معهم خارج المدينة وأعمل السيوف في رقابهم فولى من بقي منهم حياً الأدبار ذليلاً وأخرجهم من منازلهم وأبقى عليها حامية للإمعان في إذلالهم.

وشاء الله لجيش أسامة ان يعود في هذه الأيام منتصراً ظافراً سالماً غانماً. فاستلم ابو بكر قيادته وقسمه إلى احد عشر لواء وخرج به لمتابعة إذلال المرتدين في القصبة والقضاء على فلول عبس وذبيان ومعهم قبائل غطفان وبكر واستولى على الأبرق وحرمهم منها بعد أن أبقى اسامة على المدينة. ثم

حرك الألوية إلى مواقع الفتنة بين القبائل المتناثرة حتى استطاع أخيراً أن يرغمهم على الاستسلام والهزيمة والتسليم بكامل أركان الاسلام الخمسة ووضع لهم شروطاً لخصها عبد الله ابن مسعود تلخيصاً رائعاً حين قال : «لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقاماً كدنا فيه أن نهلك لولا أن منَّ الله علينا بأبي بكر . فعزم الله لأبي بكر على قتالهم فوالله ما رضي منهم الا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية . فأما الخطة المخزية فأن يقروا بأن من قتل منهم في النار ومن قتل منا في الجنة ، وان يدفعوا ديات قتلانا وان نغنم ما أخذنا منهم وان ما أخذ منا مردود علينا .

وأما الحرب المجلية فأن يخرجوا من ديارهم»[1] .

أدعياء النبوة المتنبئون :

قد ظهر منهم من الذكور : الأسود العنسي ومسيلمة ابن حبيب (مسيلمة الكذاب) وكان ظهور هذين في آخر حياة الرسول عليه السلام . وظهر طليحة بن خويلد بعد وفاة الرسول عليه السلام وأما من النساء فظهرت سجاح بنت الحارث وكانت دوافعهم حبهم في الزعامة الشخصية .

او تمكن الشيطان من بعضهم حتى أقنعه بأنه نبي مرسل ليفضح أمره بين الناس لأن الشيطان للانسان عدو مبين وهو لأتباعه اشد عداوة وأكثر إهانة وأعظم إذلالاً .

أو دفعتهم العصبية القبلية المنتنة التي كان يحاربها الرسول عليه السلام ويقول عند إثارتها : (دعوها فإنها منتنة)

أو الهروب من تكاليف الاسلام وأعبائه على ضعاف الايمان الذين لما يدخل الإيمان في قلوبهم من المسلمين وهم إلى المنافقين أقرب وهؤلاء الذين طالبوا بإلغاء الزكاة .

(١) جولة تاريخيه في عصر الخلفاء الراشدين ص٢٦

وكان هؤلاء الكذابون من أدعياء النبوة منتشرين في الجزيرة وخطرهم يعتبر في قمة الارتداد فكان طليحة بن خويلد في قبائل عبس وذبيان وحلفائهم من أسد وطيء وغطفان فأحيوا حلفاً قديماً به . فوجه إليهم خالد بن الوليد الذي قضى عليهم وفرق شملهم وفر طليحة وزوجه إلى الشام حتى ذهب في عهد الصديق ليعتمر ولم يدخل المدينة حياءاً من أبي بكر .

وأما سجاح بنت الحارث التميمية فقد ظهرت في قومها بني تميم الذين كان يتزعمهم (مالك بن نويره) الذي خرج على سلطان المدينة بعد وفاة الرسول عليه السلام . وكانت تعيش «سجاح» مع أخوالها في العراق فجاءت بعد وفاة الرسول بقومها تريد غزو المدينة .

والتحقت بقومها بني تميم ولكنها مزقت شمل تميم وأدارت بينهم حرباً فرت بعدها وأتباعها إلى اليمامة وعلم مسيلمة الكذاب بقدومها فاستأمنها ووعدها خيراً ولما وصلته اجتمع بها في خيمة منفردين «لم تخرج من عنده الا عروساً قد بنى بها[1]» فكان نكاح النبي للنبية سفاحاً . بما تميزت به من فتنة . ثم رجعت إلى العراق وأبقت مسيلمة الكذاب في اليمامة يواجه مصيره بعد أن اسقط عن اتباع سجاح صلاة العشاء والصبح مهراً لها .

وبعد أن أنهى خالد مهمته بنجاح في معركة البُّزاخة وأخضع هذه القبائل وتعقب فلولها حتى طهرت الأرض من المرتدين توجه بجيشه إلى بني تميم والى البطاح بالذات باحثاً عن مالك بن نويرة وأتباعه فوجد بني تميم قد عادوا إلى الاسلام ودفعوا الزكاة واجتمع بامرائهم إلا مالك بن نويره الذي اعتزل الناس فأحضروه له بين يديه .

مع بعض أتباعه الذين أمر خالد بحبسهم حتى يتبين أمرهم (ولكن سبق السيف العذل) حين علم خالد بقتلهم جميعاً بمن فيهم مالك بن نويرة

---

(١) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ص٣٤

من الحراس بحجة أن خالداً قال لهم في ليلة باردة «دفئوا أسراكم» ففهموها على العكس وقتلوهم .

وتزوج خالد من زوجة مالك بن نويرة حتى يعوضها عن مصيبتها في زوجها .

ولما فرغ من ذلك توجه بأمر الخليفة أبي بكر إلى اليمامة حيث يوجد مسيلمة الكذاب خاصة بعد أن علم المسلمون أنه تغلب على عكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة وأنه يستعد لملاقاة خالد . فامده الخليفة مع جيشه بالقرّاء والبدريين ليدفع الله عن المسلمين بهؤلاء الصالحين لخطورة الموقف مع مسيلمة الكذاب وما أعده حيث التف حوله بنو حنيفة إيماناً وجهالةً وعصيبة حتى جاءه طليحة النفري فسأل عن مسيلمة فلما رآه قال له :

من يأتيك؟ قال مسيلمة : رحمان . قال : أفي نور أم ظلمة؟ فقال : في ظلمه . قال طليحة : أشهد انك كذاب وان محمداً صادق ولكنّ كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر[1]» .

وتوجه خالد بن الوليد بأمر الخليفة كما قلنا إلى اليمامة بجيشه المنتصر وقد انضم اليه المدد الذي أمر به الخليفة ولما التقى الجيشان كان كل فريق يحمس جنده لهذه المعركة الفاصلة حتى قال لهم مسيلمة : اليوم يوم الغيرة اليوم ان هزمتم تستنكح النساء سبياتٍ وينكحن غير حظياتٍ فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم» .

واشتد أوار المعركة وصمد بنو حنيفة في أولها حتى استطاعوا أن يزيلوا خالداً عن فسطاطه ويقطعوا حباله بالسيوف وكادت أن تدور الدائرة على رؤوس المسلمين ولكن خالداً نادى في الجيش : ليستعمل سلاح الحماسة فقال : «امتازوا أيها الناس لنعلم بلاء كل حي ولنعلم من أين نؤتى» فاشتعل حماس المسلمين حتى قال أبو حذيفة :

---

(١) ابن كثير حـ٦ ص٢٢٧

(يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفِعال) وقال أحد القراء :

(بئس حامل القرآن أنا اذا لم أثبت) وصاح خالد بن الوليد في غمرة الحماس بشعار المعركة يومها فقال (يا محمداه) ووجه بصره نحو مسيلمة الكذاب الذي فر إلى الحديقة عندما رأى بأس المسلمين وبسالة خالد فلحقهم المسلمون إلى الحديقة وعملوا فيهم سيوفهم حتى وجدوا مسيلمة مختبئاً فضربه وحشي قاتل حمزة بحربته وأجهز عليه أبو دجانه بسيفه . واستسلم أتباع مسيلمة بعد أن قتل منهم حوالي عشرين ألفاً ومن المسلمين ستمائة .

وكانت هذه المعركة الفيصل المبارك بين دعاوى الارتداد والاسلام الواحد . وما بقي من معارك فهي لا تساوي شيئاً .

الفتوحات المباركة :

رأى الخليفة أبو بكر بعد أن قضى على فتنة المرتدين وأعاد الوحدة لصفوف العرب ووحد المسلمين أن يوجه الجيوش للشام والعراق لمجابهة الروم والفرس وتحرير الأرض العربية منهم .

فوجه خالد بن الوليد بجيش إلى العراق ووجه ابا عبيدة ابن الجراح بجيش إلى الشام . وقد ذكر هذا التوجه في كتاب أبي عبيدة لخالد وهو في اليمامة بعد انتصاره على انصار مسيلمة الكذاب وإسكاته للأبد وهذا نص الكتاب :

من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد والذين معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان سلام عليكم : فإني أحمد الله الذي لا اله الا هو أما بعد : فالحمد لله الذي أنجز وعده ونصر عبده وأعز وليه وأذل عدوه وغلب الاحزاب فرداً فان الله الذي لا اله الا هو قال : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم» وعداً منه

لا خُلف له ومقالاً لا ريب فيه وفرض الجهاد على المؤمنين فقال «كتب عليكم القتال وهو كره لكم» فاستتموا بوعد الله إياكم وأطيعوه فيما فرض عليكم وان عظمت فيه المؤونة واستبدت الرَّزية[1] وبعدت المشقة وفجعتم في ذلك بالأموال والأنفس فان ذلك يسير في عظيم ثواب الله فاغزوا رحمكم الله في سبيل الله ﴿خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم﴾ .

ألا وقد أمرت خالد بن الوليد بالمسير إلى العراق فلا يبرحها حتى يأتيه أمري فسيروا معه ولا تثاقلوا عنه فإنه سبيل يعظم الله فيه الأجر لمن حسنت فيه نيته وعظمت في الخير رغبته فإذا وقعتم العراق فكونوا بها حتى يأتيكم أمري . كفانا الله واياكم مهمات الدنيا والآخرة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» .

توجيه الجيوش إلى الشام :

لما أراد أبو بكر رضى الله عنه غزو الروم في بلاد الشام دعا علياً وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وابا عبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين والأنصار من اهل بدر وغيرهم . فخطب فيهم وقال :

إن الله عزوجل لا تحصى نعماؤه ولا تبلغ جزاءها الأعمال فله الحمد قد جمع الله كلمتكم وأصلح ذات بينكم وهداكم إلى الاسلام ونفى عنكم الشيطان فليس يطمع أن تشركوا به ولا تتخذوا الها غيره ، فالعرب اليوم بنو أم وأب وقد رأيت أن أستنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ويجعل الله كلمته العليا مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الأوفر لأنه من هلك منهم هلك شهيداً وما عند الله خير للأبرار ، ومن عاش عاش مدافعاً

---

(١) الرزية: المصيبة العظيمة

عن الدين مستوجباً على الله ثواب المجاهدين وهذا رأيي الذي رأيته فأشيروا عليّ» .

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال :

الحمد لله الذي يخص بالخير من شاء من خلقه والله ما استبقنا إلى شيء من الخير قط الا سبقتنا إليه يا أبا بكر . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قد والله أردت لقاءك بهذا الراي الذي رأيت فما قضي أن يكون حتى ذكرته فقد أصبت ـ أصاب الله بك سبيل الرشاد ـ سرِّب اليهم الخيل في أثر الخيل وابعث الرجال والجنود تتبعها الجنود فان الله ناصر دينه ومعز الإسلام وأهله) .

وقام علي رضي الله عنه فقال : أرى أنك إن سرت اليهم بنفسك أو بعثت إليهم نصرت عليهم ان شاء الله فقال : بشرك الله بخير ومن أين علمت ذلك؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يزال هذا الدين ظاهراً على من ناوأه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون . فقال : سبحان الله ما أحسن هذا الحديث لقد سررتني به سرك الله . ثم قام أبو بكر رضي الله فذكر الله بما هو أهله وصلى على نبيه عليه السلام ثم قال : أيها الناس ان الله قد أنعم عليكم بالاسلام وأكرمكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على كل دين فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام فإني مؤمر عليكم أمراء وعاقد لكم ألوية فأطيعوا ربكم ولا تخالفوا أمراءكم لتحسن نيتكم وأشربتكم وأطعمتكم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

وهكذا تتوجه الجيوش إلى العراق فتطهره من رجس المجوس في ذلك الوقت بقيادة خالد بن الوليد . ثم ينتظر امر الخليفة كما أمره . وتتحرك الجيوش إلى الشام من كل صوب ويلتقون في اليرموك ويتأخر النصر ثلاثة أشهر حتى يرسل الخليفة أبو بكر أمره لخالد بن الوليد بالتوجه إلى الشام بعد أن قال قولته المشهورة للصحابة : «والله لأُنسينّ الروم وساوس الشيطان بخالد

بن الوليد» ولما وصل كتاب الخليفة إلى خالد استخلف المثنى بن حارثه وأخذ معه تسعة الاف من خيرة الجند وسلك بهم طريق الصحراء ليضمن المفاجـأة حتى وصل إلى جيوش المسلمين في اليرموك . وكـان اليـوم الأول لخـالد يقـود فيه جيش المسـلمين تـأتمر بـأوامره كـل قيـادات جيـش المسـملين وبـأمر اللـه وتأييده ووحدة المسلمين وصدق الإيمان حقق اللـه النصـر علـى جيـش الـروم بعدده وعدته وأسلم بعض قادته وانتهى الأمر بخروج هرقل من سوريا مودعـاً إياها وداعاً لالقاء بعده :

حيث كان في حمص يوم سمع بالهزيمة فعاد أدراجه مودعاً سورياً بقوله : سلاماً عليك يا سوريا سلاماً لا لقاء بعده» . .

وهكذا كان اكرام الله للمسلمين بقائدهم وخليفتهم المؤمن حيـث حقـق على يديه فتح العراق وزوال حكم الروم عن الشام وأدى كل ما أراده من خـير حتى يلقى الله وهو راض عنه . وفي أثناء هذا النصـر وصلـت الأخبـار بوفـاة الخليفة ابي بكر وتولية عمر بن الخطاب بعد أن أمضى حياته بين الله وخدمة الاسلام فذهب إلى الله مبشراً بالجنـة إلـى يـوم الديـن حيـث يكـون هـو أول الداخلين من أمة محمد جنة الله رضي الله عنك يا أبا بكرالصديق .

فقد كنت صديقاً صدوقاً لرسول الله في الدنيـا منـذ الصبـا حتـى الوفـاة ولحقت به رفيقاً في جنة الله العالية بعد أن أديت الأمانة وأخلصت النية .

الخليفة الثاني

عمر بن الخطاب
رضي الله عنه

لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر رضي الله عنه حتى نزل جبريل وأخبر الرسول بذلك ونزل قوله تعالى :

﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عنه وسلم انه كان يقول :

قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فان عمر بن الخطاب منهم» قال ابن وهب محدثون : ملهمون .

(مسلم ١١٥/٧)

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال «قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً الا سلك فجاً غير فجك»

(مسلم ١١٥/٧)

عن أبي عثمان قال : أخبرني عمرو بن العاص ان رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت : أي الناس أحب إليك؟

قال عائشة . قلت من الرجال؟ قال فأبوها . قلت ثم من؟ قال : ثم عمر»

(مسلم ١٠٩/٧)

عن ابن أبي مليكة قال : سمعت عائشة رضي الله عنها وسئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلفه؟ قالت : أبو بكر فقيل لها : ثم من بعد أبي بكر؟ قالت : عمر ثم قيل لها : من بعد عمر؟ قالت : أبو عبيدة بن الجراح»

(حديث حسن صحيح) مسلم ١١٠/٧

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «ما من نبي الا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من اهل الأرض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر» .

الخليفة الثاني
عمر بن الخطاب
رضي الله عنه

الفاروق عمر :

في قصة إسلام عمر روايات كثيرة من أشهرها أنه اراد أن يقتل محمداً عليه السلام الذي فرق قريشاً فتوشح سيفه وذهب يبحث عنه فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له : أين تريد؟ قال : أريد محمداً هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفه أخلاقها وعاب دينها وسبّ آلهتها فأقتله قال نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر . أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم . قال عمر : وأي أهل بيتي؟ فأجابه صاحبه : ختنك[1] وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله اسلما وتابعا محمداً على دينه فعليك بهما .

فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه وكان عندهما «خباب بن الأرت» ومعه صحيفة يقرئهما فيها سورة (طه) فلما سمعوا أن عمر مقبل عليهم اختفى خباب بين الأرت في مخدع لهما وأخفتْ فاطمة الصحيفة .

ودنا عمر فقال : ما هذه الهينمة التي سمعت؟ قالت فاطمة ما سمعت شيئاً . قال : لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه وبطش بسعيد بن زيد فقامت فاطمة لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالا له : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك . فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة انظر

---

(١) ختنك: صهرك

ما هذا الذي جاء به محمد وأجابته أخته : إنّا نخشاك عليها قال : لا تخافي وحلف لها بآلهته ليردنها اليها متى أتم قراءتها وأعطته فاطمة الصحيفة . فلما قرأ منها صدراً قال : ما أحسن هذا الكلام واكرمه ، فلما سمع خباب عبارته خرج من مخبئه وقال له يا عمر : والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الاسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب . فالله الله يا عمر . . عند ذلك قال : فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم فقال له خباب :

هو في بيت عند الصفا في نفر من أصحابه فأخذ عمر سيفه فتوشحه وسار حتى ضرب الباب على رسول الله وأصحابه وسمع القوم صوته ونظر أحدهم من خلل الباب فرآه متوشحاً السيف فرجع فزعاً إلى الرسول يقول : يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحاً السيف . قال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له فان كان جاء يريد خيراً بذلناه له وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه . وقال رسول الله ﷺ إئذن له .

فأذن له الرجل ونهض اليه رسول الله حتى أمسك بحجزته وأخذ بمجمع ردائه ثم جذبه جذبة شديدة وقال له : ما جاء بك يا ابن الخطاب؟

فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة . فقال عمر : يا رسول الله جئتك لأؤمن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله فكبر رسول الله تكبيرة عرف منها أصحابه أن عمر قد أسلم .

وروي أن عمر راح يسأل : يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا أوحيينا؟ فقال عليه الصلاة والسلام : «بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وان حييتم» قال : ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن فما لبث النبي أن خرج في صفين أحدهما فيه عمر والآخر فيه حمزة ولهما كديد[1] كأنه الطحين فدخلوا المسجد وقريش تنظر وتعلوها كآبة فلا يجرؤ سليط منها

(١) غبار ناعم

ولا حكيم ان يقترب من صفين فيهما حمزة وعمر . ومن يومها سماه الرسول «الفاروق» لأنه فرق بين الحق والباطل» على أرجح الأقوال .

وقد ذهب إلى دار أبي جهل وضرب عليه بابه وقال له : لقد اسلمت وأنا بالايمان أقوى . وأقسم ليصلين عند الكعبة .

وقال عبد الله بن مسعود : كان اسلام عمر فتحاً وهجرته نصراً وأمارته رحمة . لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا فصلينا . وكان يقول : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر . وروي عن صهيب بن سنان أنه قال : لما اسلم عمر أظهر الاسلام ودعا إليه علانية وجلسنا حول الكعبة حلفاً وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه بعض ما يأتي به . هكذا كان اسلام عمر عزاً وبهذا وضع حجر الاساس لقصره في الجنة التي بشر بها .

وقد استبشر أهل السماء باسلام عمر رضي الله عنه حتى نزل جبريل واخبر الرسول بذلك ونزل قول الله تعالى «يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين» أي يكفيك الله وهذا الصنف من المؤمنين من أمثال عمر بن الخطاب . وكان ذلك في السنة السادسة بعد نزول الوحي . ويعتبر من السباقين في الاسلام حيث لم يسبقه الا خمسة وأربعون رجلاً واحدى عشرة امرأة . وهو يصغر النبي عليه السلام بثلاثة عشر عاماً . فيكون عمره عندما اسلم ثلاثاً وثلاثين سنة .

ولا نريد في هذا الموضوع أن نسرد تاريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأننا لسنا بصدد ذلك ولكن يهمنا أن نذكر هنا أبرز ما تميز به عمر بن الخطاب ليكون مبشراً بالجنة في الدنيا باسمه الصريح وسنعرض من المواقف والأحداث ماله علاقة بهذا الأمر دون إسهاب أو تطويل الا بمقدار ما يغطي الحدث ويوضح الموقف ويظهر فضيلة عمر رضي الله عنه مبشراً بالجنة مع

الشهداء والصديقين ويدفن بجوار صاحبيه رسول الله عليه الصلاة والسلام وأبي بكر رضي الله عنه .

والرسول عليه السلام يقول : «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»

(صحيح الجامع الصغير للالباني ١١٣٥/٥)

فانعم يا عمر برفقتك لرسول الله عليه السلام وأبي بكر في روضة من رياض الجنة حتى يلحق بكم نبي الله عيسى عليه السلام حيث يدفن معكم مرافقاً لكم في بيت عائشة رضي الله عنها كما ورد في الحديث الشريف . .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ : «ينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد له ويمكث خمساً وأربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى ابن مريم من قبرٍ واحدٍ بين أبي بكر وعمر»[1]

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : قال : يدفن عيسى ابن مريم مع رسول الله ﷺ وصاحبيه فيكون قبره رابعاً» [2]

أخرجه البخاري والطبراني

عمر في صحبة الرسول عليه الصلاة والسلام :

من أبرز المواقف التي أشرقت بها حياة عمر رضي الله عنه في حياة الرسول ويذكرها له التاريخ بأحرف من نور تهدي الضالين إلى سواء السبيل في محيط العقيدة الخالصة لرب العرش العظيم مجاهراً بها مرعباً بجرأته

---

(١) التصريح بما تواتر في نزول المسيح ص٢٤٠

(٢) تاريخ البخاري حـ١ ص٢٦٣

أصنام الكفر من البشر وصناديد الشرك الذين تحجرت قلوبهم من عبادة الأحجار وعميت أبصارهم عن الحق المبين . أمام هؤلاء الطواغيت يقف الفاروق عمر يوم إسلامه ضارباً بكثرتهم عرض الحائط مهيناً لهم مستهيناً بكل قيمهم الجاهلية معلناً لهم ان الحق منتصر وان الباطل زاهق وهذه بوادره واضعاً خاتمتهم بين أمرين لا ثالث لهما : إما جحيم بعد هزيمة خالدين فيها أبداً فيها ذل الدنيا وعذاب الآخرة وإما نعيم مقيم بعد هداية وإيمان في ظل الاسلام العظيم حتى قال قائلهم «اليوم قد انتصف القوم منا» يوم أسلم الفاروق عمر أبى أن يظل الاسلام خافتاً صوته ما دام هو الحق وأهله على الحق ويدعو إلى الحق فجهر باسلامه في مسيرة منظمة تعلن لأهل مكة أن الايمان اذا تغلغل في القلوب لم يعد لقوى الشرك أثر في أعين حامليه وتذوب المعايير بين القلة والكثرة وينقشع ظلام الضلال أمام نور الهدى .

ويوم هاجر الفاروق عمر من مكة إلى المدينة ليلحق بركب الصالحين المهاجرين لإعلاء كلمة الله للتحضير للعودة الكريمة في ظل الكرامة والعزة الاسلامية فاتحين لمكة منتصرين ظافرين وبلا إله إلا الله لا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لاهجين بصوت تهتز له السموات والأرض وما فيهن . يوم هاجر الفاروق عمر كان له موقفٌ يعتبر مثالا أعلى راسخاً ثابتاً وسبيلاً سوياً لكل طالب حق أو صانع ثورة على الباطل أو ثائر على الظلم أو محطم لقيود القهر بكل أصنافه وألوانه يقتدي به عظماء الرجال حين يودون أن يصنعوا تاريخهم المجيد ويرعوي منه كل طاغية متجبر لأنه انتهى زمنه وهوت قوته وتحطم جبروته في غياب الارادة الجماهيرية الصلبة التي يمثلها موقف الفاروق يوم هجرته إلى الله .

يقول علي بن أبي طالب : ما علمت ان أحداً من المهاجرين هاجر الا مختفياً الا عمر بن الخطاب فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتقى في يده أسهماً واختصر عصا . ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش

بفنائها فطاف بالبيت سبعاً ثم أتى المقام فصلى ثم وقف على حلق[1] المشركين واحدة واحدة يقول: «شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس، من أراد أن تثكله أمه أو ييتم ولده أو يرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي».

ويخرج بعزة المؤمن وشكيمة المسلم وقوة العزيمة وهوان الأعداء في عينه مرتاح البال والضمير لأنه لم يدع الشرك والمشركين ينالون منه فيشفون غليلهم بل قلب الموازين عليهم وشفى غليله على قلته وهزم فيهم عنادهم على باطلهم وكثرتهم.

تاركاً في قلوبهم الحسرة وقلة الحيلة والتساؤل الاكبر.. كيف سيكون هذا المؤمن المسلم المهاجر لو عاد إلى مكة ظافراً؟ ما مصيرنا؟ وكيف سينتقم؟ وهو الأعز ونحن الأذل؟ سيعيشون في هاجس الهزيمة بلا شك وهذا ما اراده الفاروق عمر حين أعلن هجرته وأثار فيهم غيرتهم ولكنهم لا حراك، هزمت لأول وهلة في أبسط امتحان. وتركهم يجلدون أنفسهم بين يأس وتقريع وندامة ورهبة وخوف من مستقبل هذا المهاجر الذي وضع أساس رجعته اليهم ظافراً ونخر أساس جاهليتهم في عقر دارهم وتحت عنجهية كثرتهم واثقاً من نصر الله وتأييده وهم مرتابون في ظل أصنامهم التي لا تسمع ولا ترى ولا تستطيع أن تدفع عن نفسها فما بالك بدفاعها عنهم؟

وصل عمر الفاروق إلى قباء ونزل في بني عوف على رفاعة بن عبد المنذر ونزل أهله معه. وكان في موكب الذين استقبلوا رسول الله عليه السلام يوم وصل إلى قباء ومعه صاحبه أبو بكر الصديق وسار في ركب رسول الله ﷺ وبدأ في العمل مع الصحابة في بناء المسجد وبناء بيت رسول الله في المدينة المنورة في ظل الاخاء الاسلامي الودود الذي آخاه رسول الله عليه السلام بين المهاجرين والأنصار وتآخى الفاروق وعتبان بن مالك الخزرجي وصار

(١) جمع حلقه

المسلمون بهذا الاخاء الرسولي النابع من قلوب مؤمنة وحب لله ورسوله في عزة وأثرة ووئام لا انفصام له وكانوا عند امر الله لهم :

وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

(آل عمران ١٠٣)

واشتدت عزيمة المسلمين وعلا شأنهم في المدينة حتى هابهم اليهود وخافوهم في ظل هذه المؤاخاة وزادت المسلمين بأساً ووضعت على المؤاخاة أسس الدولة الاسلامية الكاسحة التي خبا فيها صوت اليهود وارتعدت تحتها فرائض المشركين وتقطعت أوصال العهود بين اليهود والمشركين وبين بعضهم بعضاً .

أما الفاروق عمر فقد وجد الباب مفتوحاً في المشاركة بحاضر دولة الاسلام بالرأى والقول والجهد والعمل والتقت نظرته الصائبة بما كان ينزل على رسول الله عليه السلام بالوحي وأخذ نجمة في الصعود ليضيء دروب السرى في عملية البناء واقامة الدولة العزيزة بعزة الله ورسوله مما حقق دعوة الرسول عليه السلام حين قال : اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين» .

وكما قال في حديث آخر «جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه»

بعض فضائل الفاروق في موافقة الوحي له :

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ

«لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يكن في أمتي أحد فانه عمر والمحدثون هم الملهمون» .

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ انه كان يقول : قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي منهم أحد فان عمر بن الخطاب منهم» قال بن وهب : محدثون : تعني : ملهمون»
(مسلم ١١٥/٧)

ومن موافقة رأي عمر رضي الله عنه للقرآن الكريم والهامه ما يلي :

١- أراد رسول الله ﷺ أن يجعل للمسلمين بوقاً يدعوهم به إلى الصلاة . ثم كره تقليد اليهود فأمر بالناقوس وكلف عمر بن الخطاب بتحضير ذلك . وبينما عمر نائم في داره اذ رأى في المنام «لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة فذهب إلى رسول الله يخبره بما رأى واذا بالوحي قد سبقه إلى رسول الله بالآذان (على رأي) وهكذا ميز الله أمة محمد في الدعوة إلى الصلاة بالأذان يصدح كل يوم وليلة خمس مرت يهز أركان السماء والأرض بلسان عربي مبين يدخل إلى الاسماع التي ارتبطت بنياط القلوب فيطرد الشياطين وسرعان ما يتوافد المسلمون تاركين اشغالهم وما في أيديهم ملبين قول المؤذن : حي على الصلاة حي على الفلاح ، في مواكب ترتعد لها قلوب المشركين واليهود والنصارى .

ويقال ان عبد الله بن زيد قد سبق عمر إلى رسول الله حيث أخبره انه طاف به هذه الليلة طائف فألقى عليه صيغة الأذان فأمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذن بها بعد أن نزل الوحي عليه مؤيداً . فلما سمع عمر الأذان خرج إلى رسول الله يجر رداءه وهو يقول : يا نبي الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى» .

٢- ووافقه الوحي في أسرى بدر حينما اسر المسلمون سبعين من قريش اكثرهم من سادتها الذين طلبوا من أبي بكر أن يتوسط لدى الرسول ليقبل

منهم الفداء . وكان رأي أبي بكر أن الفداء فيه خير للمسلمين فكلم رسول الله في ذلك . ولكن عمر كان له رأي آخر هو :

أن هؤلاء رؤوس الكفر دائمة الضلالة اذا ما أرغموا وقتلوا ذلت بعدهم عزمة قريش وأرغم أنوف أتباع الشرك فيها وكانوا عبرة لكل جبار عنيد . ونظر رسول الله إلى المسلمين واستشارهم فكان الرأي ميالاً : للفداء وأطلق الرسول سراحهم بعد أن فدوا أنفسهم أذلاء صاغرين فنزل الوحي على محمد عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى :

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾

(الانفال ٦٧)

فزادت مكانة عمر وازداد قرباً من رسول الله حتى ربطت بينهم علاقة المصاهرة وتزوج النبي عليه السلام بحفصة بنت عمر ـ مع عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهم جميعاً .

٣ـ ويوم مات رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول الذي كانت له مقولة مشهورة ليفرق بين الأنصار والمهاجرين في بني المصطلق حين قال «لقد كاثرنا المهاجرون في ديارنا ، والله ما أمرنا واياهم الا كما قال الأول : سمِّن كلبك يأكلك ، اما والله إن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» فغضب الرسول عليه السلام وكان معه عمر الفاروق فقال له : يا رسول الله : مُر عباد بن بشر فليقتله . ولكن الرسول أبى أن يقال إن محمداً يقتل أصحابه .

وهنا تنجلي قوة العقيدة على قوة الدم فيأتي ابن عبد الله بن أبي ليطلب من رسول الله أن ينفذ القتل في أبيه حتى لا تثور عليه نفسه يوماً على قاتل أبيه من المسلمين فيثأر له (فاكون قد قتلت مؤمناً بكافر) .

ويوم مات رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول . .

وتقدم رسول الله ﷺ للصلاة عليه وقف عمر وحاول أن يثني الرسول عن الصلاة عليه وذكر له قوله تعالى ﴿استغفر لهم اولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهمْ﴾ ولكن الرسول بقلبه الكبير وسماحته الواسعة صلى عليه ومشى معه حتى دفن فنزل الوحي بقوله تعالى :

وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾

(التوبة ٨٤)

مؤيداً رأى الفاروق الملهم» .

٤ـ اختلف المسلمون في الخمر قبل تحريمها نهائياً وكان عمر في جاهليته شراباً للخمر يعمل أثرها في التأثير بعد زوال العقل وسريانها في المخ وخطرها على الشارب وما يحيط به فسأل الله قائلاً : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً» .

فنزل قوله تعالى :

إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾

(المائدة ٩١)

٥ـ وكان حرص عمر الفاروق على رسول الله أكثر من حرصه على نفسه فأراد لأمهات المؤمنين زوجات النبي أن يحتجبن لأنه يدخل على النبي البر

والفاجر كما ثبت في الرواية : أن عمر قال لرسول الله : يا رسول الله سيدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت آيات الحجاب :

﴿واذا سألتموهن متاعاً فأسلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾

أخرجه البخاري

٦ـ ويروى أن عمر الفاروق دخل على نساء النبي حين اعتزلهن قال لهن :

عسى ربه إن طلقكن أن يبدله ازواجاً خيراً منكن . فقالت له احداهن : يا عمر أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟ فنزل قول الله تعالى :

عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

(التحريم ٥)

٧ ـ وطلب عمر الفاروق يوماً من رسول الله قائلاً : يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى . فنزل قوله تعالى :

وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾

(١٢٥ البقرة)

صدق رسول الله حين قال : «إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به»

أخرجه ابن ماجه والحاكم

وبهذا الإلهام كان الفاروق عمر وزير رسول الله بجانب وزيره الأول أبي بكر الصديق في الأرض مع وزيريه في السماء جبريل وميكائيل .

فحققت له البشارة بالجنة . وكان من الذين بشرهم رسول الله بها في الدنيا عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال كنت مع النبي ﷺ فطلع أبو بكر وعمر فقال : هذان سيدا كهول أهل الجنة»

رواه الترمذي في المناقب

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «من أبغض عمر فقد أبغضني ومن أحب عمر فقد أحبني وأن الله باهى بالناس عشية عرفة عامة وباهى بعمر خاصة وان الله لم يبعث نبياً الا كان له في أمته محدث وان يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر قالوا : يا رسول الله : كيف محدث؟ قال : تتكلم الملائكة على لسانه[1] .

ولقد جاهد الفاروق عمر مع رسول الله حق الجهاد في بدر وفي أحد وكان من اشجع الرجال وأشدهم بأساً وأقواهم صلابةً في الحق .

عمر في صحبة أبي بكر :

كان للفاروق عمر في صحبة أبي بكر الصديق مع المواقف الأخوية الصادقة التي وضع فيها الحق في نصابه ما يجعل منه علماً من أعلام الاخاء والوفاء والصدق في العهد وانجاز الوعد حريصاً على وحدة الدولة في أول هزة تعرضت لها بعد وفاة الرسول عليه السلام وله في ذلك اليوم مواقف مشهودة في الدنيا والآخرة .

فبعد أن أفاق من هول الصدمة التي هزته فأعمت بصيرته حتى قال كلاماً ندم عليه منكراً ان محمداً قد مات . وظل كذلك حتى حسم الأمر أبو بكر الصديق وخطب في الناس خطبته المشهورة والتي قال فيها : من كان

---

(١) جولة في عصر الخلفاء الراشدين ص ٨٠.

يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت . فعاد إليه رشده وأفاق من صدمته وذهب مع أبي بكر إلى سقيفة بني ساعدة حيث اجتمع الأنصار ليتشاوروا في خليفة رسول الله ﷺ ظانين ان الأمر هم به أولى لمكانتهم عند رسول الله ووصيته بهم . حتى قالوا : منا أمير ومنكم أمير وكادت الكارثة أن تعصف باخوة المسلمين التي مكنت لهم في حياة رسول الله وكانت درعاً لهم في وجه مكائد اليهود والمشركين لولا أن تدخل الفاروق حين ارتفعت الأصوات فقال :

يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس فايكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ . .

فقالت الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر . وكان أبو بكر قد عرض عليهم أن يبايعوا أحد الرجلين عمر بن الخطاب وأبا عبيدة ابن الجراح رضي الله عنهما فيقف عمر ويستثمر لحظة هدأت فيها نفوسهم ليضع الحق في نصابه فيقدم أبا بكر ويقول له :

ابسط يدك يا أبا بكر فبايعه عمر ثم بايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار راضين بما رضي عنه رسولهم وما رضيه لهم إماماً نبيهم في حياته قبل مماته وانحسم الأمر وحفظ الله عزة أمة محمد ﷺ وزالت عاصفة الكارثة واجتمعت كلمة الأمة .

وفي اليوم الثاني يلتقي عمر وأبو بكر مع المسلمين في مسجد رسول الله ليأخذ البيعة العامة لأبي بكر . فلما صعد أبو بكر المنبر قام عمر الفاروق بين يديه وقال : إن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله وثاني اثنين اذهما في الغار فقوموا فبايعوه فقام الناس وبايعوه البيعة العامة بعد أن تمت له البيعة في السقيفة . ثم خطب أبو بكر الخليفة خطبته الشهيرة .

وفي حروب الردة :

كان لعمر موقف المشفق على دولة الاسلام ان تجتمع عليها كل قوى الشر في وقت واحد بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام فرأى أن يهادن أبو بكر المرتدين ويبقى في المدينة حتى لا تتشتت القوى ويسهل على المرتدين وغيرهم الانقضاض عليها وتمزيقها .

فيجد في أبي بكر ايمان رسول الله بالنصر المبين وإباءه في الحفاظ على الدين كاملاً تاماً غير منقوص وقال : أوينقص الدين وأنا حي؟ ويعيد الصواب إلى عمر حين يوقظه بقوله له : حتى أنت يا عمر : أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام؟؟

فيعود عمر إلى رشده ويقول : فوالله ما هو الا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق . . .

ويقف مع أبي بكر في حروب الردة وقفة المؤمن الحريص على وحدة أمة الاسلام في بداية أمرها ويتصدى بكل قواه للمرتدين حتى النصر .

وفي بعث جيش أسامة :

كان لعمر الفاروق رأي في أن يكون أسامة قائداً لجيش الرسول إلى الروم العدو الجبار القوي المتغطرس يوم وضعه الرسول عليه السلام وأمره على الجيش فطلب عمر من الرسول ان يجعل على رأس الجيش قائداً مهاباً من القادة المشهورين الكبار يليق بعدو عظيم . ولكن الرسول عليه السلام يأبى الا ان يكون القائد أسامة ويطلب منهم قائلاً «انفذوا جيش أسامة» فلما مات رسول الله ﷺ : ورأى عمر أن أبا بكر يريد أن ينفذ وصية الرسول بإرسال جيش أسامة بقيادة أسامة يعيد على أبي بكر موقفه كما كان أيام الرسول عليه السلام فيحسم الأمر أبو بكر بقوله لعمر : والذي نفس أبي بكر بيده لو

ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر رسول الله ﷺ ولو لم يبق في القرى غيري لانفذته» .

وشيع ابو بكر جيش أسامة بعد أن طلب منه مستأذناً ان يسمح له ببقاء عمر معه في المدينة . فسلم عمر الفاروق تسليم المؤمن :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾

(النساء ٥٩)

وبعد أن عاد جيش أسامة ظافراً منتصراً إلى المدينة حتى قال الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه : «لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقاماً كدنا نهلك فيه لولا أن منّ الله علينا بأبي بكر فعزم الله لأبي بكر على قتالهم فوالله ما رضي منهم الا بالخطة المخزيه أو الحرب المجليه فاما الخطة المخزية فان يقروا بأن من قتل منهم في النار ومن قتل منا في الجنة وان يدفعوا ديات قتلانا وان نغنم ما أخذنا منهم وان ما أخذ منا مردود علينا وأما الحرب المجلية فان يخرجوا من ديارهم .

ويكتب الله النصر لجيوش أبي بكر في مطاردة المرتدين واتباع المتنبئين حتى استطاع خالد بن الوليد ان يكون بحق سيفاً سله على الاعداء ففتك بهم واسكت اصواتهم للابد أو أعادهم إلى الاسلام . الا مالك بن نويرة الذي كان من اتباع «سجاح» بنت الحارث التي أدعت النبوة في أول أمرها وارتد معها فلما وصله خالد بجيشه شك بعض المسلمين أنه أسلم مرة أخرى ولكن خالداً قتله وتزوج امرأته . فكان لعمر بن الخطاب موقف من هذا الأمر وطالب أبا بكر بمعاقبة خالد وعزله ولكن أبا بكر يدافع عن خالد ويقول لعمر :

يا عمر أمسك عليك لسانك عن خالد هبه تأول فأخطأ والله لا أشيم سيفاً سله الله على الكفار .

جمع القرآن :

كان أبو بكر قد أرسل بالكثير من القراء وحفظة القرآن مع الجيوش تبركاً بهم أمام خطر المرتدين وقتل بعضهم فجاء عمر إلى أبي بكر وهو في المسجد فقال له : إن القتل قد استحر بقراء القرآن يوم اليمامة وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها واني أرى أن تأمر بجمع القرآن . فتردد أبو بكر وقال : كيف أفعل ما لم يفعله رسول الله عليه السلام . وما زال عمر يقنعه حتى شرح صدره إلى ذلك فاستدعى زيد بن ثابت احد كتاب الوحي وشاوره في الأمر فتردد زيد أول الأمر حتى شرح الله صدره فقام يتتبع الحفظة يجمع القرآن من صدورهم ومن الرقاع والاكتاف والعسب الذي كان يكتب عليها القرآن في عهد الرسول . فتم جمع القرآن في عهد أبي بكر بمؤازرة عمر الفاروق والهامه الصواب في خدمة القرآن الكريم وحفظه إلى يوم الدين .

عمر الخليفة الثاني :

لما اشتد المرض بابي بكر رضي الله عنه دعا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وقال : اخبرني عن عمر بن الخطاب؟ فقال عبد الرحمن بن عوف :

ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني ثم قال : هو أفضل من رأيك فيه (أي أفضل من تراهم أهلاً للخلافة) ثم دعا عثمان ابن عفان رضي الله عنه فقال اخبرني عن عمر ، فقال عثمان : اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله فقال أبو بكر : يرحمك الله . والله لو تركته ما عدوتك وشاور سعيد بن زيد ـ وأسيد بن حضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار فقال أسيد : اللهم أعلمه الخيرة بعدك يرضى بالرضى ويسخط للسخط الذي يسر خير من الذي يعلن ولم يل هذا الأمر أحد أقوى عليه منه .

وسمع بعض أصحاب النبي ﷺ بنية أبي بكر في استخلاف عمر فدخلوا على ابي بكر وقال قائل منهم : ما أنت قائل لربك ، إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر : أجلسوني أبالله تخوفني خاب من تزود من أمركم بظلم ، أقول لربي : اللهم استخلفت عليهم خير أهلك ، ابلغ عني ما قلت لك من وراءك ، وانتهز ابو بكر فرصة اجتماع المسلمين في المسجد فرأى أن يزيل ما في نفوسهم من شكوك وان يوضح السبب وراء استخلافه لعمر بن الخطاب فنظر إلى الناس من حجرة له تطل على المسجد وقال : «أترضون بمن استخلف عليكم؟ فاني والله ما أولت من جهد الرأي واوليت ذا قرابة واني وليت عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوه فاجاب الناس : سمعنا وأطعنا . عندها رفع أبو بكر يديه إلى السماء وقال : اللهم اني لم ارد بذلك إلا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعلمت فيهم ما أنت به أعلم واجتهدت لهم رأياً فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما ارشدهم .

ثم دعا عثمان بن عفان فقال : اكتب عني :

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده من الدنيا خارجاً منها وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا واني لم آلُ (أقصر) الله ورسوله ودينه ونفسي واياكم خيراً فان عدل فذلك ظني به وعلمي فيه وان بدل فلكل امرئ ماا كتسب من الاثم والخير اردت ولا أعلم الغيب (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) والسلام عليكم ورحمة الله) .

وقال بعضهم : لما أملى أبو بكر رضي الله عنه صدر هذا الكتاب بقي ذكر عمر فَذُهِبَ به (أي أصيب بإغماء) قبل ان يسمى أحداً فكتب عثمان رضي الله عنه : إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ثم أفاق أبو بكر فقال : إقرأ

عليٍّ ما كتبت فقرأ عليه ذكر عمر فكبر أبو بكر وقال : اراك خفت إن افتلت نفسي من غشيتي تلك فيختلف الناس فجزاك الله عن الاسلام وأهله خيراً والله أن كنت لها لاهلاً ، ثم أمره فخرج بالكتاب مختوماً .

فاقبل عثمان على الناس ومعه اسيد بن سعيد القرظي فقال عثمان للناس : أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فقالوا : نعم وقرأ عليهم الكتاب فرضوا به وبايعوا[1] ثم دعا أبو بكر وأوصى بما أوصاه به ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه فقال : اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت اعلم به واجتهدت لهم رأياً فوليت عليهم خيرهم واقواهم عليهم واحرصهم على ما أرشدهم وقد حضرني من أمرك ما حضر فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك واصلح لهم واليهم واجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدى بني الرحمة وهدى الصالحين بعده وأصلح له رعيته .

وأخرج ابن عساكر عن عاصم قال : جمع أبو بكر رضي الله عنه الناس وهو مريض فأمر أن يحمله إلى المنبر فكانت آخر خطبة خطب بها . فحمد الله واثنى وقال : أيها الناس ، احذروا الدنيا ولا تثقوا بها فإنها غراره وآثروا الآخرة على الدنيا فأحبوها فبحب كل واحدة منهما تبغض الأخرى وان هذا الامر هو أملك بنا لا يصلح آخره الا بما صلح به أوله فلا يحمله الا افضلكم مقدرة وأملككم لنفسه ، أشدكم في حال الشدة وأسلسكم في حال اللين وأعلمكم برأى ذوي الرأي ، لا يتشاغل بما لا يعنيه ولا يحزن بما لا ينزل به ولا يستحي من التعلم ولا يتحير عند البديهة ، قوي على الأموال لا يخون بشئ منها حدة بعدوان ، ولا يقصر يرصد لما هو آت ، عتاده من الحذر والطاعة وهو عمر بن الخطاب ثم نزل .[2]

(١) حياة الصحابة جـ٢ ص ٢٧
(٢) الكنز حـ٣ ص١٤٧

هكذا تولى الفاروق عمر الخلافة من أمين الأمة وخليفة رسول الله الصديق - أول من يدخل الجنة من أمة محمد عليه السلام وباستشارة الصحابة الأجلاء وليس لهم من تحفظ الا ما عرضه بعضهم من خشيتهم من شدة عمر . ولكن أبا بكر يرى بعين الله فان المؤمن الصادق فراسته نظر بعين الله كما قال عليه السلام : «اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بعين الله» وهل أكثر ايماناً واصدق عملاً من أبي بكر؟؟

وتولى عمر الخليفة دفن ابي بكر إلى جوار لحد رسول الله ﷺ ومعه عبد الرحمن بن ابي بكر وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله . وفي اليوم التالي في صلاة الفجر خرج الناس يصلون معه وتتابعوا على بيعته حتى سكنت نفسه وهدأ القلق الذي ساوره طول ليلته وفي صلاة الظهر حيث امتلأ المسجد بالمسلمين صعد عمر المنبر وحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وسلم وأثنى على أبي بكر بما هو أهله وبه جدير ثم قال : «ايها الناس ما أنا الا رجل منكم ، ولولا أني كرهت ان أرد الخليفة ما تقلدت امركم . ثم نظر إلى السماء وقال : إني قائل كلمات فأمنوا عليهن : اللهم إني غليظ فليني ، اللهم إني ضعيف فقوني . اللهم إني بخيل فسخني»

ثم قال : أيها الناس أن الله ابتلاني بكم وابتلاكم بي ، وأبقاني بعد صاحبيَّ فوالله لايحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني ، ولا يتغيب عني فآلوا فيه عن الجزء والأمانة ، ولئن أحسنوا لأحسنن اليهم ولئن اساءوا لانكلن بهم . فنزل عمر وصلى صلاة الظهر في جماعة وكان ذلك يوم الثلاثاء ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ . وهو أول يوم من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

خطبة الخليفة عمر الأولى :

«نذكر منها مايلي» :

أيها الناس : بلغني ان الناس هابوا شدتي وخافوا غلظتي وقالوا قد كان

عمر يشتد علينا ورسول الله بين أظهرنا ثم اشتد علينا وأبـو بكـر والينـا دونـه فكيف وقد صارت الأمور اليه؟ ومن قال ذلك فقـد صـدق . إننـي كنـت مـع رسول الله ﷺ فكنت عبده وخادمه وكان مـن لايبلـغ أحـد صفتـه مـن اللـين والرحمة وكان كما قال الله بالمؤمنين رؤوفاً رحيمـاً ، فكنـت بـين يديـه سـيفاً مسلولاً حتى يغمدني أويدعني فامضي فلم أزل مع رسول الله حتى توفاه الله وهو عني راضٍ والحمد لله كثيرا وأنا به أسعد .

ثم ولي أمر المسلمين أبـو بكـر فكـان مـن لاتنكـرون دعتـه وكرمـه ولينـه فكنت خادمه وعونه اخلط شدتي بلينه فأكون سيفاً مسلولا حتى يغمدني أو يدعني فامضي . فلم أزل معه كذلك حتى قبضـه اللـه عـز وجـل وهـو عنـي راض . فالحمد لله على ذلك كثيرا وانا به أسعد . ثم إني وليت أموركـم أيهـا الناس فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت ولكنها إنما تكـون علـى أهـل الظلـم والتعدي على المسلمين ، فأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا الين لهـم مـن بعضهم لبعض ولست أدع أحداً يظلم احدا أو يتعدى عليه حتى أضـع خـده على الأرض واضع قدمي على الخد الآخـر حتـى يذعـن للحـق ، وإنـي بعـد شدتي تلك أضع خدي على الارض لأهل العفاف وأهل الكفاف . ولكم ايها الناس خصال أذكرها لكم فخذونـي بهـا : «لكـم علـي الا أجتبـي شـيئاً مـن خراجكم ولاما أفاء الله عليكم إلا من وجهه ، ولكم علي اذا وقـع فـي يـدي الا يخرج مني إلا في حقه ، ولكم عليَّ أن أزيد عطايـاكم وأرزاقكـم ان شـاء الله تعالى وأسد ثغوركم ، ولكم عليَّ ألا ألقيكم فـي المهـالك ولا أجمركـم[1] في ثغوركم ،واذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال .

فاتقوا الله عباد الله واعينوني على أنفسكم بكفهـا عنـي وأعينونـي علـى نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واحضاري النصيحة فيما ولاّني الله من أمركم ، اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم»

(١) أجمركم: أحبسكم عن العودة إلى أهلكم

عهد الخليفة عمر الفاروق :

انشغل الخليفة عمر بوصية أبي بكر اليه التي مازالت ترن حروفها في مسامعه محملاً اياه الأمانة وبدأ بترتيب أولوياته حسب اهميتها وتوفر الأسباب لانجازها كما يلي :

١ـ كتب إلى أبي عبيدة غداة قبض أبو بكر يخبره بوفاة الخليفة . وكتب يأمره بعزل خالد وتوليه أبي عبيدة إمارة الجيش مكانه . وأن يكون خالد أمير اللواء الذي كان يقوده أبو عبيدة . ولعمر أمير المؤمنين اجتهاده في عزل خالد كي لا يفتن المسلمون بخالد بعد انتصاراته المتلاحقة في حروب الردة والعراق وما علموا عنه من ارتباط النصر بسيفه ووجوده في المعركة . وينسوا أن النصر من عند الله لمن نصر الله . ولهذا حينما رجع خالد إلى المدينة بعد أن أنهى واجبه تحت قيادة أبي عبيدة بكل طاعة وأمانة سأل عمر قائلاً : أنك غير مجمل في أمري : فيجيبه عمر : والله إنك عليّ لكريم وإنك إلي لحبيب ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء أبداً ثم يرسل إلى الأمصار والقادة مبرئاً خالداً ومدافعاً عنه (إني لم أعزل خالداً عن خيانة ولاعن سخطة ولكن الناس فتنوا به فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وإلا يكونوا بعرض فتنة) .

ولما مات خالد بكاه الناس وبكاه عمر فقال لمن طلب منه أن ينهر النساء اللواتي يبكين خالداً قال : «وما على نساء قريش أن يبكين أبا سليمان ، على مثله تبكي البواكي» .

٢ـ وكان للخليفة عمر راي في توحيد جزيرة العرب موطئاً لذلك بتهدئة النفوس وتطييب الخواطر . فرأى ان يرد سبايا حروب الردة حتى يشعر العرب جميعاً أنهم في الاسلام سواء لافضل لقبيلة على قبيلة فيفتح بذلك صفحة جديدة في التواصل بين العرب والاسلام المتسامح .

٣ـ بل لقد أراد أن يعيد الثقة إلى نفوس هؤلاء القبائل بأن سمح لهم

بعد توبتهم من ردتهم بالاشتراك في الحروب ضد أعداء الاسلام لأنه يعلم ان المعركة القادمة لم تعد بين عربي وعربي لكنها ستخرج إلى أطراف الجزيرة لتكون بين عربي وفارسي أو رومي حاقد . وقد صدق اسلامهم وأخلصوا في الجهاد حق الاخلاص في شجاعة نادرة وصبر لا يأتي بعده إلا النصر .

٤- ثم رأى أن يجعل المسلمين يعيشون أحداثهم ويؤرخون لها بتاريخ اسلامي جديد فجعل التأريخ بهجرة الرسول عليه السلام فكانت خطواته مباركة في جمع كلمة الامة وتوحيدها واعتزازها بتاريخها الجديد .

٥- ثم رأى الخليفة عمر الفاروق أن يوحد الجزيرة تحت دين الاسلام فقط ملبياً لدعوة رسول الله ﷺ حين قال : «لايجتمع في جزيرة العرب دينان» .

فوجد الفرصة سانحة وقرر أن يخرج اليهود منها مع المحافظة على حقوقهم فأرسلهم إلى الشام وأما النصارى فقد أخرجهم إلى العراق وأوصى بهم خيراً وعوضهم كما عوض اليهودِ عن أرضهم بأرض طابت معها نفوسهم ووفر لهم الرعاية والأمن والأمان . وهكذا وحد عمر رضي الله عنه جزيرة العرب وحدة سياسية يجمعها دين الاسلام الحنيف .

٦- ثم نظم مصادر الدخل المالي للدولة وهي :

أ - الزكاة ب - الغنائم

جـ - الجزية ء - الخراج

هـ - العشر من التجار غير المسلمين .

وكان هذا تمهيداً لترتيب بيت المال وتنظيم الدولة إدارياً بتنظيم الدواوين المختلفة وتنظيم مرافق الدولة الوليدة لتساير المستقبل المشرق وتتناسب وحضارات الأمم الجديدة التي تدخل في دين الله أفواجاً بقلوب مفتوحة وعقول مستنيرة .

إنجازات عمر الخارجية :

أكرم الله الخليفة الفاروق أمير المؤمنين بانتصارات هائلة في عرف التاريخ وفي فترة زمنية قياسية وبمعدات متواضعة إذا ما قيست بمعدات الدول العظمى في ذلك الوقت الفرس والروم فلقد فتح الرسول باب الغزو الخارجي دفاعاً عن حدود الدولة او نشراً للاسلام حين أعطى الضوء الأخضر للخليفة أبي بكر بانفاذ جيش أسامة الذي عقد له اللواء ولكن الموت حال دون ذلك .

وفي أول مهمات الخليفة أبي بكر الصديق أنفذ البعثة وأرسل جيش أسامة ليعود منتصراً ظافراً .

ثم تبعه عليه الصلاة والسلام خليفته أبو بكر الصديق حين أوصى الخليفة عمر بن الخطاب وشدد عليه في الوصية بارسال الجيوش لاستكمال فتح الشام وفتح العراق بعد أن بدأ ذلك أبو بكر حين أرسل طلائع الجيوش الاسلامية إلى الشام بقيادة أبي عبيدة ورفاقه وإلى العراق بقيادة خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة . فتحقق النصر على الجبهتين بتحرير العراق من الفرس وتحرير الشام من الروم بعد هزيمتهم في اليرموك هزيمة طارت لها عقول أمرائهم وقادتهم وأباطرتهم . ولكن الموت أيضاً يحول دون ذلك فيلحق أبو بكر بالرفيق الأعلى ويوصي الخليفة بعده باستكمال ارسال الجيوش حتى يحكم الله للاسلام بالنصر المبين على كسرى والروم في بلاد الشام وبلاد فارس ذاتها . وما أن ينتهي عمر الفاروق من دفن الخليفة الصديق حتى يبدأ في إنهاء اجراءات البيعة للخلافة ثم توحيد الجزيرة العربية توحيداً سياسياً وجغرافياً وعقائدياً . وفي مقدمة هذه المهمات كلها يشرع في انفاذ الجيوش كما طلب منه أبو بكر الصديق . فأرسل الجيوش إلى الشام وإلى العراق . ثم إلى افريقيا حيث تصل جيوشه إلى مصر بعد فتح بيت المقدس بقيادة عمرو بن العاص وجيشه المغوار .

ولقد مكن الله للمسلمين دينهم الذي ارتضى لهم ونصر جيوشه حتى طردت هرقل من بلاد الشام ليودع سوريا وداعاً لا رجعة بعده . ويحطم ملك كسرى حين تفتح المدائن أمام زحوف جيوشه المظفرة . ثم يتمكن من فتح القدس فتحاً مبيناً . تنتقل الجيوش بعدها إلى مصر لنفتحها بقيادة عمرو بن العاص فتحاً مبيناً حتى يصل إلى الاسكندرية ويفتحها فتحاً مبشراً بفتح مابعدها وانتشار دولة الاسلام حتى المحيط وإلى أعماق افريقيا واوروبا بعد ذلك . وسنتحدث عن هذه الانجازات بأسلوب بسيط وعرض موجز نكتفي فيه بعرض الأحداث بما له أثر في التبشير بالجنة مع سيد الانبياء وخاتم المرسلين .

الفتوحات وهدفها :

كانت مهمة الجيوش إلى الأمم الاخرى هي التبشير بالاسلام المنقذ من الضلالة والهادي إلى سواء السبيل ونشر العدالة الانسانية من خلاله فهو لايفرق بين أبناء آدم في لون أو جنس أو عرق أو غنى أو منصب فالجميع سواسية كأسنان المشط ونشر الإيمان بالله رب العرش العظيم الذي بالتالي ينشر معه السعادة في الدارين وليس له من هدف دنيوي كاحتلال أواذلال للبشر فقد سأل رستم الفارسي المغيرة بن شعبة قائلاً : «أرأيتم لو دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا؟ قال المغيرة : أي والله ثم لانقرب بلادكم إلا في تجارة أو سفارة» . وتوصيل رسالة الاسلام إلى جميع الناس في اعزازهم بالاسلام وانتشالهم من ربق الاستعباد للبشر من شر العباد بهدف هدايتهم إلى سبيل الرشاد .

فان وجدت هذه الجيوش استجابة من هذه الشعوب وأسلمت حق لها على هذه الجيوش أن تحميها من ظلم الظالمين وحكامهم المستبدين . وان استمع الحكام مع شعوبهم واقبلوا على التوحيد لله رب العالمين تحت راية الاسلام كانوا إخوة لهم تجب مناصرتهم وتأييدهم ورد الأذى عنهم من كل

معتد أثيم . وان تصدوا لهذه الجيوش وحاربوهم فهم بين أمرين دفع الجزية والحفاظ على عقيدتهم أحراراً لهم مالنا وعليهم ماعلينا وإما القتل أو الأسر والعبودية الا لمن افتدى نفسه . هذه رسالة الجيوش الاسلامية بأبسط التعابير . وهذه أمثلة منها :

فتح بيت المقدس :

بعد انتصارات جيوش المسلمين الواسعة في بلاد الشام بقيادة أبي عبيدة بن الجراح وخالد ابن الوليد كان عمرو بن العاص قائد الجيش إلى فلسطين يحاصر القدس ولما طال حصارها استطاع عمرو بن العاص أن يصل بذكائه إلى مقر أرطبون الروم بحنكته وجرأته ودهائه حتى قال عمر بن الخطاب معجباً «ضربنا أرطبون الروم بأرطبون العرب» ثم ارسل عمرو إلى الأرطبون برسالة يصر فيها على فتح القدس راداً بذلك على أرطبون الذي أرسل رسالة ينصحه بعدم الاقتراب والا لاقى مصيره المحتوم . ولما وصلت رسالة عمرو مع رسوله إلى أرطبون ورأى فيها من إصرار وحزم قال : ولكن هذه المدينة «إيليا» لاتفتح على يدي عمرو لأن صفات فاتحها تختلف عن صفات عمرو ولا تتطابق مع حاله وصفاته . فأرسل عمرو إلى الخليفة يخبره بما سمعوا من الأرطبون ويطلب منه القدوم فاستجاب الخليفة عمر بعد أن استشار الصحابة في ذلك واستخلف على المدينة علياً بن أبي طالب وسار متجهاً إلى الشام ومعه جماعة من الصحابة منهم العباس عم الرسول عليه السلام ، وبعد أن كتب إلى أمراء الجيوش في الشام أن يقابلوه في الجابية فحضروا جميعهم : أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وخالد بن الوليد ما عدا عمراً وشرحبيل لانهما كانا مشغولين بحصار الأرطبون .

ولما وصل عمر الجابية كان اليأس قد ملأ قلوب أهل القدس وخارت عزائمهم وتحطمت آمالهم في البقاء أكثر متمنين الصلح فأرسل «صفرنيوس» بطريق المدينة يطلب المفاوضة مع الصلح بشرط أن يتولى المعاهدة والتوقيع

عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نفسه وتقول كتب التاريخ الطبري والواقدي وابن الأثير إن الخليفة جاء إلى الجابية على بعير له عليه غرارتان في إحداهما سويق وفي الأخرى تمر وبين يديه قربة مملوءة ماءً وخلفه جفنة للزاد ومعه جماعة من الصحابة . . فلما اشرفوا على الشام رأوا خيلاً مقبلة عليهم أرسل بها أبو عبيدة لتجيئه بنبأ عمر ومقدمه . وأراد عمر دخول بيت المقدس وعليه مرقعة من صوف فيها أربع عشرة رقعة بعضها من أديم فقال له أصحابه : لو ركبت بدل بعيرك جواداً ولبست ثياباً بيضاء . ففعل وطرح على عاتقه منديلاً من كتان دفعه إليه أبو عبيدة وقدم له برذون ركبه فلما رآه يهملج به نزل عنه وقال لأصحابه : اقيلوا عثرتي أقال الله عثرتكم يوم القيامة ثم نزع ماكان عليه وعادا إلى لبس مرقعته وركب بعيره . . ويقال إن صفات فاتح القدس من المسلمين من صفاته أنه يدخلها على بعير ، كما وصف به عمر بن الخطاب وهذا تقدير من رب العالمين .

معاهدة عمر أهل إيلياء (القدس) :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان : أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانها ومقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا شيء من اموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن إيلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم .

ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية . ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فانهم على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم أن يبلغوا مأمنهم . ومن كان بها من

أهل الارض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على اهل إيلياء من الجزية . ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله ، وأنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية» .

وختم عمر الكتاب بتوقيعه ثم أشهد عليه الصحابة : خالد بن الوليد ـ وعمرو بن العاص ـ وعبد الرحمن بن عوف ـ ومعاوية ابن أبي سفيا . [كتب وحُضّر سنة ١٥هـ]

وبعد ان انتهى مؤتمر الجابية ورجع ممثلو «صفرنيوس» إلى القدس ومعهم وثيقة الصلح التاريخية وقرأوها وعلموا ما فيها من تسامح المسلمين معهم بدرجة فاقت ما لم يكونوا يتوقعوه من سلام وأمان لهم ولكنائسهم وصلبانهم وأموالهم . الخ مما كشف موقف الرومان أشقائهم في الدين وأمناء الصليب عليهم الذين تجبَّروا على اهل إيلياء وقهروهم بل وأذلوهم وأرهقوهم مالياً ومعنوياً وبما كانوا يكرهونهم عليه من تغيير مذهبهم إلى المذهب الذي كان عليه الروم . وصدق الله العظيم حين قال «لكم دينكم ولي دين» وحين قال : لا إكراه في الدين» وظلت وثيقة الصلح بين المسلمين بقيادة عمر الفاروق والنصارى في إيلياء والرملة وثيقة تضيء نواحي التاريخ الاسلامي بالفخر والتسامح وحرية العقيدة منذ عقدت سنة ١٥هـ إلى ان يأتي عيسى عليه السلام ليصلى فيها مع المسلمين صلاة الفجر جماعة ثم يقتل المسيح الدجال في باب اللد ومعه سبعون الف يهودي من يهود أصفهان من إيران وبعدها يعم السلام الدنيا ويغمر الناس الأمان .

الخليفة عمر في القدس :

تحرك عمر الفاروق بعد يومين أو ثلاثة من توقيع المعاهدة مع وفد جاءه من إيلياء ليرافقه في دخولها ليستقبله هناك «الاسقف صفرنيوس» زعيمها الروحي ويسلمه المفاتيح رسمياً بعد أن فرح أهل إيلياء بما حصلوا عليه من

خير وحرية وأمن وأمان وسلام ما دامت الدنيا . ولما وصل القدس دخل من الباب الذي دخل منه رسول الله ليلة الإسراء والمعراج وكان في استقباله البطريرق «صفرنيوس» وكبراء المدينة فتلطف بهم وقربهم وحياهم تحية فيها الخير والحب الانساني . ويقال انه ذهب وصلى في محراب داود عليه السلام . وما لبث حتى اذنوا لصلاة الفجر فصلوها جماعة مع من كان معه من المسلمين عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة وغيرهم قرأ في الركعة الأولى سورة (ﷺ) حتى سجد فيها . وفي الثانية سورة الاسراء .

وفي الصباح سأل عن مكان الصخرة فدلوه عليها ووجدها مغطاة بالقاذورات والاوساخ لأن أهل ايلياء من النصارى كانوا يحتقرونها معتقدين أنها لليهود . فأخذ الخليفة عمر يزيح عنها القاذورات ومعه المسلمون حتى أظهروها وظهرت .

ثم رافق «صفرنيوس» الخليفة عمر في جولاته في المدينة المقدسة حتى زار كنيسة القيامة وكنيسة قسطنطن وقد حانت الصلاة فطلب منه «صفرنيوس» أن يصلي في الكنيسة ولكنه أبى حفاظاً عليها حتى لا يأتي المسلمون من بعده فيقولون : هنا صلى عمر حولوها إلى مسجد . فاطمأن «صفرنيوس» لهذا الخلق القويم ولما وصلوا كنيسة المهد في بيت لحم وحان وقت الصلاة صلى فيها عمر والمسلمون معه جماعة ليدلل لهم على طهارة الأرض يصلي فيها المسلم أينما كان وخوفاً من عمر الفاروق على كنيسة المهد مع الزمن عقد لها عهداً خاصاً ومنع المسلمين بموجبه من دخولها بصورة جماعية ولكنه سمح لهم كافراد حتى يحافظ عليها ولا يبنى مكانها مسجد . أمضى الخليفة عشرة أيام في القدس وقسم فلسطين إلى منطقتين في القيادة منطقة إيليا وتوابعها ومنطقة الرملة وتوابعها وكان فتح القدس فاتحة خير للاسلام حيث تمت بعدها فتوحات كل بلاد الشام . ومصر بعدها .

وما من زعيم كنسي في فلسطين الا ويعتز بهذه المعاهدة ويحفظها عن

ظهر قلب نبراساً يشع بالنور والخير في كتب التاريخ اذا تحدثوا عن حكم المسلمين للقدس وغيرها في الدنيا .

فتوحات مصر :

بعد توقيع اتفاقية الصلح بين عمر وأهل إيلياء (القدس) وتحقيق النصر المبين في بلاد الشام والعراق كان عمرو بن العاص يتطلع إلى فتح مصر خاصة وقد فر إليها أرطبون وقد يستعد منها بجيش رومي كبير يضرب به انتصار المسلمين في الشام . فحدث الخليفة عمر الفاروق في ذلك مرات حتى آن الاوان بعد مشاورة لمن حوله من الاصحاب وبعد أن تهيأت الظروف من كل الوجوه والتي من أهمها فساد العلاقة بين الروم وكنيستهم وبين اقباط مصر الذين اضطهدوا تحت نير الكنيسة الرومية فضاقوا ذرعاً بوجودهم وشدة أذاهم لهم . حتى وافق عمر الفاروق له على التحرك حينما يأمره بذلك لاقتناعه بضرورة فتح مصر . وحانت الفرصة لعمرو فتقدم إلى رفح ومنها إلى العريش بأربعة آلا ف رجل . . . وكان قد وصله كتاب الخليفة أمير المؤمنين وهو في طريقه إلى مصر فلم يفضه حتى وصل إلى أول قرى مصر فإذا فيه : (ان كنت في أرض مصر فامض وسيصلك المدد وإلا فارجع أو فعد) .

وتحرك عمرو بن العاص بجنده حتى وصل إلى (الفرما) وحاصرها ثم انتصر عليها . وتقدم إلى بلبيس ثم إلى مصر والى الفيوم حتى وصل إلى حصن بابليون واضطر المقوقس إلى استجابة عمرو للصلح وما عرض عليه حتى ذهب المقوقس بدعوه منه إلى هرقل ليوضح له الأمر ولكن هرقل رفض مشروع الصلح . حتى مكن الله للمسلمين بنصر من عنده وتسور الحصن الزبير بن العوام وكبر الله ففاجأ الحراس بتكبيره وهزمهم بهدير إيمانه ثم ارتبك الروم في الحصن ثم يتمكن الزبير بن العوام من فتح الباب للمسلمين وينجز نصراً مؤزراً يفوق توقع الرومان والأقباط حتى ادركوا تماماً أن العرب قوم لا يغلبون ، وكان الزبير بن العوام قد وصل على رأس المدد الذي أرسله الخليفة

عمر الفاروق إلى مصر ومعه عبادة بن الصامت والمقداد بن الأسود ومسلمة بن مخلد ومعهم ثمانية آلاف رجل . وكان قد سلك عمرو بن العاص طريقاً غير طريق الزبير حيث وصل إلى عين شمس ثم إلى قلب القاهرة حي الازبكية اليوم منتصراً ظافراً . وقد شهد أحد رجال المقوقس حين وصف المسلمين للمقوقس فقال :

رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة والتواضع احب اليهم من الرفعة ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة وانما كان جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم وأميرهم كأنه واحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد من العبد ، واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم»

فيلتفت المقوقس إلى أصحابه بعد اطراقة ويقول : «والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، ولا يقدر على قتالهم أحد . ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم لم يجيبونا بعد اليوم»

وبسقوط حصن بابليون وخروج الروم منه بين قتيل وأسير وهارب بعد ان قضوا على مافيه من السجناء الأقباط حقداً عليهم مماجعل الأقباط يزدادون كرها لهم وحقداً عليهم واصراراً على التخلص منهم وانتهت المرحلة الأولى من مراحل الفتح العربي لمصر . وخشع القبط حين رأوا بأس العرب وشدتهم وشجاعتهم وما يحرزونه من انتصارات خيالية فاختاروا الاسلام ودخلوا فيه وصاروا في الاسلام إخواناً مع الفاتحين العرب الذين خلصوهم من الحقد الرومي ثم يواصل عمرو بن العاص تحركه إلى العاصمة المصرية يومئذ الاسكندرية . واستصحب معه جماعة من رؤساء القبط اصطفاهم بعد ان رأى منهم حباً للعرب وأملاً في الخلاص من الروم وأخذهم معه إلى الاسكندرية ليكونوا أداة اتصال بينه وبين الروم من الأقباط . وفي هذه الفترة يموت هرقل فتصاب الروم بنكسة كبيرة أشغلتهم عن الاسكندرية وعن مصر

كلها وكسر الله بموته شوكة الروم في عاصمتهم فما بالك في الاسكندرية وقد انقطع عنها المدد فوصل العرب المسلمون إلى الاسكندرية وحاصروها أشهراً حتى غضب الخليفة عمر الفاروق لتأخر انجاز النصر وقال لاصحابه : (ما أبطأوا بفتحها إلا لما احدثوا) فكتب إلى عمرو يقول : أما بعد ، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر أنكم تقاتلونهم منذ سنتين وماذلك الالما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما احب عدوكم وان الله تبارك وتعالى لاينصر قوما الابصدق نياتهم وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر وأعلنتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف إلا ان يكونوا غيرهم ماغيرهم ، فاذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس ، ومر الناس جميعا ، ان يكونوا لهم صدمة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فانها ساعة تنزل فيها الرحمة ووقت الاجابة وليعج الناس إلى الله ويسألونه النصر على عدوهم»

وكان جيش عمرو بن العاص قد وصل إلى العريش في ديسمبر ٦٣٩ ويوم سلمت الاسكندرية كان ٨ نوفمبر ٦٤١) فجمع عمرو الأربعة الذين ذكرهم الخليفة في كتابه مع غيرهم من القادة وهم : الزبير بن العوام . وعبادة بن الصامت والمقداد بن الاسود ـ ومسلمة ابن مخلد فعقد اللواء إلى عبادة بن الصامت بعد ان جمع الناس وقرأ عليهم الكتاب وأمر الناس ان يتطهروا ليصلوا ركعتين ثم يرغبوا إلى الله عز وجل ويسألونه النصر على عدوهم ففعلوا وكان النصر وفتح الله علىأيديهم الإسكندرية يوم الجمعة في مستهل المحرم سنة ٢٠هـ . دخلوها وفرَّ الروم منها إلى البر والى البحر وتحققت نبوءة قيصر حين قال : «لئن ظفر العرب بالاسكندرية لقد هلك الروم وانقطع ملكهم ، فليس للروم كنائس ، أعظم من كنائس الاسكندرية»

وكان فتح الاسكندرية فتحاً لمصر كلها دخلت الجيوش العربية في ظل راية الإسلام باقي أنحاء مصر دون قتال أومقاومة في أغلب الأوقات بعد أن

اذاع عمرو عهد الأمان الذي أعطاه للمصريين وهذا نصه :

عهد الأمان بين عمرو والأقباط :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم لا يدخل عليهم شيء من ذلك ، ولا ينتقص ولاتساكنهم النوبة . وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين الف ألف وعليهم ما جنى لصوتهم[1] ، فإن ابى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم بقدر ذلك من الجزاء . وذمتنا ممن أبى بريئة . وان نقص نهرهم من غايته اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك ، ومن دخل في صلحهم من الروم والنوبة فله مثل مالهم وعليه مثل ما عليهم . ومن ابى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا .

على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين .

شهد عليه : الزبير بن العوام وعبد الله بن عمرو بن العاص ومحمد بن عمرو ابن العاص .[2] ورضي به المصريون وأطمأنوا .

هذا عهد عمرو بن العاص إلى أهل مصر اعطاهم اياه دون شرط منهم على سنة رسول الله : «من آذى ذمياً فقد آذاني» .

ولو قارنا بين عهد المسلمين في مصر وعهد الرومان فيها تكفينا شهادة الأسقف المصري يوحنا النقيوسي مؤرخ ذلك العهد الذي وصف رجال الحكم الروماني بأنهم : «أعداء المسيح الذين دنسوا الدين برجس بدعهم وفتنوا الناس عن إيمانهم فتنة شديدة لم يأت بمثلها عبدة الأوثان ولا الهمج ، وعصوا

---

(١) لصوت: جمع لصت وهو اللص.

(٢) الفاروق عمر ـ محمد حسين هيكل ص١٥٢

المسيح وأذلوا أتباعه فلم يكن في الناس من أتى بمثل سيئاتهم ولـو كـانوا مـن عبدة الأوثان» وبهذه الروح الإنسانية والتسامح الديني الـذي لا يعـرف مثلـه قط عاشت مصر تحت ظـل العـرب فـي حريـة تامـة لعقيدتهـم حتـى صـاروا يدخلون الإسلام أفواجاً وإلا فهل يعقل أن تفتح مصر وكـانت تقـدر بمـا يزيـد عن سبعة ملايين بمثل هذا العدد من المسلمين (١٢) ألف رجل لولا مـا كـان يتميز به هؤلاء الفاتحون من إنسانية نادرة وقدوة حسنة؟

ويبني عمرو بن العاص الفسطاط الذي تحول مسجداً بـين حدائـق مصـر الغناء . وإليه كان يأتي رهبان مصـر يعلنـون لـه الطاعـة . حتـى قـال البطريـق القبطي يومـاً مـن عنـد عمـرو بـن العـاص مبتهجـاً : «عــدت إلــى بلــدي الإسكندرية فوجدت بها أمناً من الخوف واطمئناناً بعـد البـلاء ، وقـد صـرف الله عنه اضطهاد الكفرة وبأسهم» .

ولما عرف الخليفة عمر بمكانة (بنيامين) البطريق القبطي كتب إلـى عمـرو بن العاص أن يلتمس الرأي عند البطريـق القبطـي فـي خـير الوسـائل لحكـم البلاد وطمأنينة أهلها» .

الخليفة عمرو وعروس النيل :

لـما ولى عمرو بن العاص أتاه أهل مصر وحان شهر (بؤونه) شـهر قبطـي فيه يكرم النيل وقالوا له : إن لنيلنا عادة لا يجري إلا بها إذا لـم تقـدم لـه قـل عطاؤه فقال لهم : وما تلك العادة؟ أجابوا : إنه إذا كان في اثنتــي عشـرة ليلـة تخلو من هذا الشهر اخترنا جارية بكراً حسناء وزيناها بأجمل الثياب والحلـي حتى تكون عروساً ثم ألقيناها في هذا النيل فيرضى ويجـرى بـالخير والعطـاء الواسع . فقال لهم عمرو : هذا ليـس فـي الإسـلام ودعونـي أستشـير الخليفـة بهذا الأمر . فلما وصل الكتاب إلى الخليفـة أجـاب بكتـاب قـال فيـه : «قـد أصبت أن الإسلام يهدم ما قبله ، وقد أرسلنا إليك ببطاقة ترميها في النيل» .

وكان النيل قد خف جريانه وقلت مياهه في الأشهر الثلاثة صدفـة أثنـاء

انتظار عمرو لرد الجواب من الخليفة . فلما وصل رد الخليفة فتحه عمرو وإذا مكتوب على بطاقة : «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر . أما بعد : فإن كنت تجري من قبلك فلا تجرِ ، وإن كان الله الواحد القهار الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجَريك» ، وقرأ لهم عمرو البطاقة ثم ألقاها في النيل ، وما أصبح القوم إلا وقد ارتفعت منسوب المياه ست عشرة ذراعاً في ليلة واحدة . فامتنع المصريون وكفوا عن عروس النيل يحكمون عليها بالإعدام غرقاً كل عام . فسبحان من يسبح الطير والجبال وكل شيء بحمده وسبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين .

جيش عمرو في طرابلس :

امتدت عزة الإسلام بفتح الإسكندرية لتتابع الروم الذين فروا إلى طرابلس لتقضي على آخر محاولاتهم لطعن المسلمين أو التفكير في العودة فتقدمت جيوش عمرو نحو برقه فاحتلتها دون قتال أو صالحت على الجزية . ثم واصل سيره بعد ذلك إلى طرابلس التي أغلقت أبوابها في وجه جيشه لأنها كانت محصنة فحاصرها أسابيع حتى علم المسلمون مدخلها من جهة البحر الذي كان مفتوحاً فاستغلوه وفاجأوا حاميتها من الروم واقتحموها وتخلى عنه الروم فارين إلى سفنهم في البحر فسيطر عمرو على المدينة . واستأذن الخليفة عمر الفاروق أن يواصل زحفه إلى تونس ولكن الخليفة أمره بالعودة فعاد بعد أن كسب ود أهل البلاد وأمن حدود مصر من الغرب والحمد لله .

فتوحات الشام :

بعد النصر المبين الذي أكرم الله المسلمين بقيادة خالد بن الوليد في معركة اليرموك الفاصلة والتي كانت بمثابة الباب المفتوح لكل بلاد الشام تنجز من خلالها الانتصارات بعد الانتصارات . وكان للخليفة عمر الفاروق رأي في الولاة وأمراء الجند في الشام بعد وفاة الصدّيق رضي الله عنه . فقد عزل

خالداً كما أشرنا خوف الفتنة وعمرو بن العاص وسلمت القيادة في الشام لأبي عبيدة بن الجراح بعد أن أنهى خالد بنجاح ونصر مبين معركة دمشق التي فتحها بخطته الحكيمة وفاجأ الروم حتى ذهبوا فارين إلى بقية الأبواب يطلبون الصلح وكانت الفرصة قد ضاعت على خالد بن الوليد الذي يعتبر قد دخل المدينة فتحاً عسكرياً له أن يضرب عليها مصير المهزومين عسكرياً من غنائم وأسلاب . وخضع لرأي أبي عبيدة الذي أقر أهلها على الصلح بشروط البلاد التي تفتح سلماً وفرض عليهم الجزية .

وبانتصار المسلمين بعد دمشق على حمص وقنسرين خرج هرقل الذي كان قد فر إلى إنطاكية فقال أثناء فراره قولته المشهورة مودعاً سوريا : «قد كنت سلمت عليك تسليم المسافر ، فأما اليوم فعليك السلام يا سورية تسليم المفارق ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً»

فتوحات فارس :

أرسل رسول الله ﷺ كتباً إلى الملوك والأمراء يطلب منهم الإيمان بالله والإسلام يعرضه عليهم عرضاً حسناً فكان جواب كسرى : أن قتل حامل الكتاب ومزقهُ . فلما علم رسول الله ﷺ دعا عليه فقال : «مزق الله ملكه» وهنا في هذه الصفحات سنرى كيف تستجاب دعوة الرسول عليه السلام ويمزق ملك كسرى بأيديهم وأيدي المسلمين .

ما أن انتصر الجيش الذي أرسله الخليفة أبو بكر إلى العراق بقيادة خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة حتى طلب من خالد التوجه إلى الشام ليحسم المعركة مع الروم مع الجيوش العربية هناك . وبعد أن حسمت معركة الشام وانتهى هرقل وسيطرته عليها إلى الأبد عادت الجيوش إلى العراق ومعها فرق جديدة وعبئت الأمة الإسلامية بعد أن تولى الخليفة عمر الفاروق لكي ينفذ إرسال الجيوش إلى العراق . وفعلاً كان فقد حشد عمر الفاروق الحشود بقيادة

الصحابي أبي عبيدة بن مسعود الثقفي . وسار بالجيش من المدينة حتى التقى بالمثنى الذي انضوى تحت إمرته كما أراد الخليفة عمر الفاروق . وبدأت المعارك بينهم وبين الفرس في حرب تفوق العقيدة مجردة ولكنها حرب فيها عنصر الجنس العربي يصارع الجنس الفارسي ولكل منهما آماله وطموحه في إثبات العزة والنصر الحاسم ، ولهذا كان الثمن باهظاً والمعارك بالتالي بينهما شرسة ماحقة تشفي غليل الصدور . وكانت معركة البويب معركة فاصلة انتصر فيها المسلمون بقيادة المثنى بن حارثة الذي استلم القيادة بعد استشهاد أبي عبيدة في معركة الجسر الذي كان يردد فيها المسلمون قول المثنى «عاداتكم في أمثالكم انصروا الله ينصركم» .

وانهزم جيش الفرس هزيمة نكراء في هذه المعركة وتعقبوهم وهم فارون ليدبوا الرعب في قلوبهم ، وغنموا منهم غنائم لا تحصى .

وأما معركة القادسية :

فقد امتلأ قلب أمير المؤمنين فرحاً بنصر الله في معركة البويب التي هزت كيان الفرس ، وهيأت النفوس للهزيمة الماحقة التي لا قيام لهم بعدها ، وأرسل مدداً جديداً إلى المثنى الذي طلب منه المدد لهذه المعركة الحاسمة في القادسية . فأرسل له جيشاً من ألفي رجل بقيادة عتبة بن غزلان وأوصاه بأن يقصد أهل الأهواز ليشغلهم . فتوجه عتبة عملاً بأوامر الخليفة أمير المؤمنين إلى الأبله ففتحها عنوة ومر بعدة مدن كان النصر فيها لجيش عتبة حتى وصل البصرة .

وتوالت الهزائم على الفرس حتى إنهم عللوا هزائمهم المتلاحقة «بسبب تولية النساء عليهم» حيث كانت أزرميرخت ملكتهم . وانقسم الفرس بانقسام بيت كسرى بين تابع لقيادة رستم ، أو تابع لقيادة الفيرزان . ووحد الفرس أخيراً جهودهم تحت إمرة ملك ذكر وليس أنثى واستعدوا للقاء العرب لقاءاً حاسماً . وكان استعداد أمير المؤمنين في المدينة أقوى وأكبر حين قال :

«والله لأرمين ملوك العجم بملوك العرب» وحشد للمعركة وقرر هو أن يكون قائد هذه الجيوش ولكن أهل الحل والعقد رفضوا ذلك وأبقوه في المدينة واختار لهم قائداً مغواراً هو سعد بن مالك الزهري وزودوه بالنصائح الفعالة .

وتحرك الجيش إلى العراق حيث انضم إليه جيش المثنى بن حارثة الذي مات متأثراً بجرحه ولحق بهم جيش الشام حتى كان في جيش القادسية تسعة وتسعون بدرياً - وثلاثمائة صحابي وثلاثمائة ممن شهدوا فتح مكة وسبعمائة من أبناء الصحابة .

واختار يزدجرد قائده للمعركة «رستم» ، ولكنه تردد كثيراً لأنه كان على علم بالتنجيم وعرف نتيجة المعركة مسبقاً إضافة إلى ما دب الله في قلبه من رعب . وكتب الخليفة إلى سعد : «لا يكربنك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتونك به واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث إليه رجلاً من أهل المنظرة والرأي والجلد يدعونه فإن الله عز وجل جاعل دعاءهم توهيناً لهم وفلجاً عليهم ، وأكتب لي في كل يوم» فأرسل سعد وفداً إلى ملك الفرس يزدجرد» وأوصلوه الرسالة .

والتقى جيش الفرس بقيادة رستم في القادسية وعدده ١٢٠ ألفاً و٣٣ فيلاً بجيش المسلمين قليل العدد والعتاد قوي الإيمان برب العباد . وانتهت المعركة بنصر مؤزر فقد فيه المسلمون ثمانية آلاف وخمسمائة شهيداً وفقد الفرس خمسين ألفاً تحت أقدامهم رستم والجالينوس .

وكان الخليفة كل يوم يخرج إلى طريق العراق يستطلع الأخبار حتى جاءه البشير ومعه رسالة النصر المبين وبه فتحت أبواب المدائن .

فتح المدائن :

استطاع المسلمون بإصرارهم على رفض التفاوض والتنازل عن شروط الاستسلام أن يزحفوا إلى المدائن عاصمة كسرى بعد أن قطعوا كل الموانع

الطبيعية حولها من أنهار وغير ذلك والعسكرية بما فيها من أسود حقيقية لإرعاب المسلمين ، ودخلوا المدائن ولم يجبروا فيها أحداً بعد أن فر الملك فأخذ معه ما خف حمله وغلا ثمنه ودخلوا القصر الأبيض فوجدوا فيه المتحصنين فدعاهم سعد بن أبي وقاص ومعه سلمان الفارسي وعرض عليهم الإسلام .

ولما وصلت الغنائم من قصر كسرى إلى المدينة ونظر إليها عمر قال : إن قوماً أدوا هذا لأمناء ، فأجابه علي : «عففت فعفوا ، ولو رتعت لرتعوا» ، وكان يبكي وهو يقلب في الغنائم فلما سئل عن ذلك قال : «لم يُؤت هذا قوم قط إلا أورثهم العداوة والبغضاء» .

وكان النعمان بن مقرن رضي الله عنه والياً على كسكر فكتب إلى عمر الفاروق يقول : «إن مثلي ومثل كسكر كمثل رجل شاب والى جنبه مومسة ، تلون له وتعطر فأنشدك الله يا أمير المؤمنين لما عزلتني عن كسكر وبعثتني إلى جيش من جيوش المسلمين» .

وكان عمر يبحث عن قائد للجيش الذي سينهي آخر معاقل الفرس فيما بقي لهم من فلول اجتمعت في نهاوند .

فأرسل إليه الخليفة وقلده قيادة هذا الجيش . وقبل بدء المعركة دعا النعمان قائلاً : «اللهم إني أسألك أن تقر عينيّ اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام وذل الكفار ثم اقبضني بعد ذلك على الشهادة» وفي المعركة زلق فرسه فصرعه وأصابه سهم فاستشهد . وحل محله أخوه نعيم وجاهدوا في الله حق جهاده حتى استسلم صاحب نهاوند بعد أن قتل الفيرزان . وسمي ذلك الفتح فتح الفتوح لأنه لم يكن للفرس بعده اجتماع وملك المسلمون بلادهم . وهكذا كان وعد الله حقاً فمزق الله ملك كسرى . في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

مواقـف هـاديــة فـي حيــاة عمــر :

من كل ما استرشدنا به من صفحات مشرقة في حياة الفاروق عمـر مـن مواقف العزة العربية المزينة بالعقيدة الإسـلامية الخالصـة والتـي جعلـت مـن جبروت عمر بن الخطاب قبل إسلامه وشـدة بأسـه علـى المسلمين وجفـاف قلبه من الرحمة حتى وأد ابنته غير هياب ولا متردد ، قلباً يمتلئ بالرأفة والرقة حتى أصبحت دموعه أقرب من كلماته تحمل معاني العطف على أهل البلايا وتحتضن الضعفاء ، في دجى الليل يمسح عن خدودهم دموع الحاجة والأسـى في تواضع الأولياء وحنان الأنبياء وصفاء المؤمنـين الأتقيـاء يخشـى اللـه فـي وقت غفلت فيه العيون ويرعى العدالة في وقـت تلـف النـاس أحضـانهم فـي ظلمة النفوس وعتمة الليل يتقرب إلى الله بفعل الخـيرات ويتهجـد فـي ليلـه بالسهر على أمن البلاد والبحث عن مظلوم لا يسمع له ، أو امرأة لا يأبه لهـا ، أو عائلة فقـيرة أفقدهـا الجـوع نومهـا ، أو ضـارع إلـى اللـه يشـكو جبـاراً ظالمـاً فينصفه ، أو سكران يستعين بأم الخبائث علـى همومـه فيصلحـه ، ليلـه قـائم ونهاره صائم وعدله دائم لا يخشى الناس لا يقظاً ولا نائماً . حتى قـال قـائل كسرى «حكمت فعدلت فأمنت فنمت» ولأنه خاف الله فخافـه كـل شـيء حتى الشياطين كانت تهابه وتخشاه كما مر ذلك في الحديـث الشـريف (مـا لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك) .

عمر الفاروق ـ أمير المؤمنين ـ أمة واحدة في عدلـه وزهـده وإلهامـه للحـق وجرأته علـى قولـه . حقـت لـه البشـارة بالجنـة مـن أصـدق المبشـرين وسـيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام في أكثر من قول وأكثر من موقف . ومـا مر بنا من صفحات إنمـا هـي وقفـات فـي حيـاة عمـر يسترشـد بهـا المؤمنـون ليزدادوا يقيناً بقوة الإيمان الذي هو شفاء القلوب وفيه علاج الأمـم والشـعوب وبه تأنس النفوس الضارية وتتحول معه الأفئـدة المتحجـرة إلـى ينـابيع رقراقـة بالخير والهداية . وهذه مواقف هادية أعرضها من أقـوال وأفعـال عمـر الفـاروق

يستضيء بها الحاكم ، ويسترشد بهـا القـاضي ، ويستظل بهـا الإمـام ويسير على هداها القائد الهمام ، وتفتح لمن ارتضاها فعمل بها أبواب الجنان لأنـه لا يظلم ولا يقصر ولا يتبـع هـواه إذا قـال . ولا يـذل للدنيـا لأنـه بالإيمـان عزيـز وبالإسلام قوي يعيش عفيفاً ويسعى في الحياة شريفاً ، لأنه اتبـع هـدى اللـه ومن «اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن لـه معيشـة ضنكاً» والحديث عن الفاروق عمر تتسع له مجلدات ولكن المقام هنا في هذه الصفحات يقتضي مني ضرب الأمثلة والاكتفاء بالإشارات ، وهذه هي العبر والعظات فتأمل معي أخي القارئ لتكون إن شاء اللـه مـع الفـاروق فـي جنـة النعيم .

في تفقد أحوال الرعية :

١ـ أخـرج أبـو نعيـم فـي الحليـة ٢٤٨/١ ، عـن الأوزاعـي أن عمـر بـن الخطاب رضي الله عنه خرج في سواد الليل فرآه طلحة فذهـب عمـر فدخـل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر فلما أصبح طلحة ذهب إلـى ذلـك البيـت فـإذا بعجـوز عمياء مقعدة فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت : إنه يتعهدنـي منـذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى فقال طلحة : ثكلتـك أمـك يا طلحة أعثرات عمر تتبع؟!

٢ـ في إحدى الليالي خرج يتفقد رعيته في أطراف المدينـة فسـمع بكـاء طفل لا يهدأ فتوجه نحو البيت وقال لأمه : اتقي الله وأحسـني إلـى صبيـك ولا تكوني أم سوء فقالت الأم : يا عبد اللـه إنـي اسـكته عـن الطعـام فيـأبى ذلك قال عمر ، ولمَ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم . قال : وكم عمر ابنك؟ قالت كذا شهراً . فقال ويحك لا تعجلي بالفطـام . ولمـا صلـى الصبح التفت إلى الناس وقال لهم والدمع يملأ عينيه : بؤساً لعمر كم قتـل مـن أولاد المسلمين ، ثم أمر مناديه فنادى إلا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فإنا نفـرض لكل مولود في الإسلام ، وغير عادته» .

٣ـ من أقواله : «والله لو عثرت دابــة بـالعراق لسـألني الله عنهـا لِـمَ لـم تصلح لها الطريق يا عمر» .

٤ـ خرج عمر ليلة يتفقد فسمع صوت امرأة مهمومة وأطفال يبكون فطرق الباب ولما أذن له قال : «ما بال هؤلاء الصبية يبكون في جوف الليل؟ قـالت : إنهم جياع لم يذوقوا الطعام منذ يومين ولا أجد مـا أدفـع بـه جوعهـم . قـال : فما هذه القدر على النـار؟ قـالت : إنمـا وضعـت فيهـا بعـض الحصـى ألهيهـم وأصبرهم بها حتى يناموا ، فقال عمر : ولكن لم لا ترفعي أمرك إلى عمـر بـن الخطاب؟ قالت المرأة : وأين نحن من عمر؟ وأين عمر منا؟ قال عبـد الرحمـن بن عوف : وجاءني عمر ليلاً فأمرني بفتح بيت مـال المسـلمين ووقـف بقـرب كيس ضخم مــن أكيـاس الطحـين فقـال لـي : احمـل على ظهـري يـا عبـد الرحمن . فقلت : أأحمل عليك أم أحمل عنك يا أمـير المؤمنـين . قـال : بـل احمل عليّ فو الله ما أراك تحمل عني شيئاً من ذنوبـي يـوم القيامـة . وحمـل الكيس على ظهره وأمرني أن أتبعه بالسمن والتمر حتى جئنا بيت المـرأة ولـم أكن أدري من الأمر شيئاً . فلما وصلنا قلت : عنك يا أمير المؤمنين . ففزعـت المرأة لما رأت وسمعت فهدأ من روعهـا عمـر وسـاعد فـي صنـع الطعـام حتـى أطعم الأولاد بيديه ، ولما انصرف قال : ادعو الله أن يغفر لعمر» .

حـق الرعيـة عـلى الأميــر :

١ـ كان عمر رضي الله عنه إذا قدم عليه الوفد سألهم عن أميرهم :«أيعـود المريض؟ أيجيب العبد؟ كيف صنيعه؟ من يقوم على بابه؟ فإذا قـالوا لخصلـة منها لا عزله» .

٢ـ وأخرج البيهقي عن عاصم أن عمر بن الخطاب رضي اللـه عنـه كـان إذا بعث عماله شرط عليهم «ألا تركبوا برذوناً[1] لأن فيه خيـلاء ــ ولا تـأكلوا

(١) التركي من الخيل

نقياً [1] وهو الخبز الأبيض ولا تلبسوا رقيقاً ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس . فإن فعلتم شيئاً من ذلك حلت بكم العقوبة» ثم يشيعهم فإذا أراد أن يرجع قال : «إني لم أسلطكم على دماء المسلمين ولا على أبشارهم ولا على أعراضهم ولا على أموالهم ، ولكني بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة وتقسموا فيهم فيئهم وتحكموا بالعدل بينهم . فإذا أشكل عليكم شيء فأرفعوه إليّ . ألا فلا تضربوا العرب فتذلوها ولا تجمروها[2] فتفتنوها ولا تعتلوا عليها فتحرموها» .

٣ـ وكان يتتبع أمراءه بعيون يرسلها أو تقارير تصل من رعاياهم فإذا ما حل موسم الحج حاسبهم أمام الملأ فيكونوا عبرة لغيرهم كما فعل مع عمرو بن العاص والقبطي يوم أعطاه الدرة وقال له : اضرب ابن الأكرمين . . متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ وهو صاحب المبدأ : «من أين لك هذا؟» .

كتب إلى عقبة بن فرقد وهو بأذربيجان :

«يا عقبة بن فرقد إنه ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا كد أمك فاشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك ، وإياك والتنعم وزي أهل الشرك ولبوس الحرير» .

٤ـ أخرج بن عساكر عن عروة : «أن عمر بن الخطاب تصفح الناس فمر به أهل حمص . فقال : كيف أميركم؟ قالوا : خير أمير إلا أنه بنى علية يكون فيها ، فكتب كتاباً وأرسل بريداً وأمره أن يحرقها . فحرقها وركب إلى عمر ملبياً فلما رآه عمر رضي الله عنه قال : الحقني إلى الحرة وفيها إبل الصدقة ، وقال له : انزع ثيابك ، وألقى إليه ثوباً من أوبار الإبل خشناً ثم قال له : امتح واسق هذه الإبل . فلم يزل كذلك حتى تعب ، ثم قال له : متى عهدك بهذا؟

(١) الخبز الأبيض
(٢) لا تبقوها في الثغور أكثر من اربعة أشهر

قال : قريب يا أمير المؤمنين : قال فلذلك بنيت العلية وارتفعت بها على المسكين والأرملة واليتيم ارجع إلى عملك ولا تعد» .

٥- أخرج البيهقي عن ابن عساكر عن طاووس : أن عمر رضي الله عنه قال : «أرأيتم أن استعملت عليكم خير من أعلم منكم ثم أمرته بالعدل أقضيت ما عليَّ؟ قالوا : نعم ، قال لا : حتى أنظر في عمله أَعَمِل بما أمرته أم لا؟» .

عدل عمر :

من أبرز ما يميز الخليفة الفاروق عدله في كل شيء وفي القضاء :

١- أراد أن يحدد المهور فقامت له امرأة وقالت : ماذا تقول يا ابن الخطاب في هذه الآية من أقوال رب العالمين؟ «وآتيتم إحداهن قنطاراً»؟ فقال وهو على المنبر :« أصابت امرأة وأخطأ عمر» .

٢- كان يستقبل عماله في موسم الحج فإذا اجتمعوا خطب في الناس : «أيها الناس إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم ولا من أعراضكم ، إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم وليقسموا فيئكم ، فمن فعل به غير ذلك فليقم . فقام رجل وقال : يا أمير المؤمنين إن عاملك فلان ضربني مائة سوط قال : ففيم ضربته؟ ثم أمر الرجل أن يقتص من عامل عمر . فقام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر الاحتجاج والشكوى ، وتكون سنة يأخذ بها من بعدك . فقال عمر : أنا لا أقيد وهل رأيت رسول الله يقيد في نفسه؟ قال عمرو : فدعنا لنرضيه . قال : دونكم فارضوه . فافتدى منه بمائتي دينار عن كل سوط ديناران» .

٣- وقد أقام الحد على ولده يوم علم أن الوالي راعاه بتخفيف الضرب عنه فأذاقه ضربة وقال له : افعل هكذا .

٤- أخرج بن عساكر والبيهقي عن الشعبي قال : «كان بين عمر وبين أبيّ بن كعب رضي الله عنهما خصومة فقال عمر : اجعل بيني وبينك رجلاً

فجعلا بينهما زيد بن ثابت رضي الله عنه فأتياه فقال عمر : أتيناك لتحكم بيننا وفي بيته يؤتى الحكم . فلما دخلا عليه وسع له زيد عن صدر فراشه فقال : ها هنا يا أمير المؤمنين . فقال له عمر : هذا أول جور جرت به في حكمك . ولكن أجلس مع خصمي وليس بجانبك . فجلسا بين يديه ، فادعى أبيّ بن كعب وأنكر عمر ـ والقاعدة تقول ـ (البينة على من ادعى واليمين على من أنكر) فوجب اليمين على عمر فقال القاضي زيد لأبيّ بن كعب : اعف أمير المؤمنين من ا ليمين وما كنت لأسالها لأحد خيره . ولكن عمر حلف لهَما ثم أقسم للقاضي ، والله لا يدرك زيد القضاء حتى يكون عمر ورجل من عرض المسلمين عنده سواء .

٥ـ أرسل عمر بن الخطاب إلى امرأة غاب عنها زوجها ـ بعد أن علم أنه يُدخل عليها في غياب زوجها . فقيل لها : أجيبي عمر فقالت : يا ويلها يا ويلها . وبينما هي في الطريق فزعت فضربها الطلق ـ وجع الولادة ـ فدخلت داراً وألقت ولدها فصاح الصبي صيحتين ثم مات . فاستشار عمر أصحاب النبي ﷺ ، فأشار بعضهم أن ليس عليك شيء إنما أنت أمير ومؤدب . وصمت علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأقبل عليه عمر فقال له : ما تقول؟ قال : إن كانوا قالوا برأيهم فقد أخطأ رأيهم ، وإن كانوا قالوا في هواك فلم ينصحوا لك . أرى أن ديته عليك ، فأنت أفزعتها وألقت ولدها بسببك . فأمر عمر علياً أن يقسم ديته على قريش لأنه أخطأ «ولا يملك الدية» .

٦ـ أخرج الطبراني في الأوسط وابن عساكر والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «جاءت جارية إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت : سيدي اتهمني فأقعدني على النار حتى احترق فرجي ، فقال لها عمر : هل رأى ذلك عليك؟ قالت لا . قال : فهل اعترفت له بشيء؟ قالت : لا فقال عمر : عليّ به ، فلما حضر قال له عمر : أتعذب بعذاب الله؟ قال : يا أمير المؤمنين اتهمتها في نفسها . قال : أرأيت ذلك عليها؟ قال : لا . فاعترفت لك به؟ قال : لا . قال : والذي نفسي بيده لولا أني سمعت رسول

الله ﷺ يقول : «لا يقاد مملوك من مالكه ولا ولد من والده» لاقتدتها منك ، وضربه مائة سوط ، وقال للجارية : اذهبي فأنت حرة لوجه الله ، وأنت مولاة الله ورسوله ، أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : «من حرق بالنار أو مُثِّل به فهو حر وهو مولى الله ورسوله» .

٧ـ أخرج أبو عبيد والبيهقي وابن عساكر عن سويد بن عفلة رضي الله عنه قال : «لما قدم عمر رضي الله عنه الشام قام إليه رجل من أهل الكتاب فقال : يا أمير المؤمنين إن رجلاً من المؤمنين صنع بي ما ترى فقال : وهو مشجوج ـ مضروب ـ فغضب عمر رضي الله عنه غضباً شديداً ثم قال لصهيب رضي الله عنه : انطلق وانظر من صاحبة فآتني به . فانطلق صهيب فإذا هو عوف ابن مالك الأشجعي رضي الله عنه . فقال : إن أمير المؤمنين غضب عليك غضباً شديدا فأت معاذ بن جبل فليكلمه فإني أخاف أن يعجل إليك . فلما قضى عمر الصلاة قال : أين صهيب؟ أجئت بالرجل؟ قال : نعم وقد كان عوف أتى معاذاً فأخبره بقصته ، فقام معاذ فقال : يا أمير المؤمنين إنه عوف بن مالك فاسمع منه ولا تعجل إليه فقال له عمر : مالك ولهذا؟ قال : يا أمير المؤمنين رأيت هذا يسوق بامرأة مسلمة على حمار فنخس بها ليصرع[1]بها فلم يصرع بها فدفعها فصرعت فغشيها(٢) أو أكب عليها . فقال له : ائتني بالمرأة فلتصدق ما قلت . فأتاه عوف فقال لها أبوها وزوجها : ما أردت إلى صاحبتنا قد فضحتنا؟ فقالت : والله لأذهبن معه . فقال أبوها وزوجها : نحن نذهب فنبلغ عنك ، فأتيا عمر رضي الله عنه وأخبراه بمثل قول عوف . فأمر عمر باليهودي فصلب وقال : ما على هذا صالحناكم ، ثم قال : أيها الناس اتقوا الله في ذمة محمد فمن فعل منهم هذا فلا ذمة له» .

وكان من شروط عقد الذمة الذي عقده عمر لأهل الكتاب في الشام أن من زنى بامرأة مسلمة يصلب .

---

(١) : ليرميها على الأرض
(٢) : فعل بها فاحشة

وهكذا يا أخوتي المسلمين لا تتهاونوا في الاعتداء على أعراضكم من يهودي أو كتابي آخر .

٨ ـ وقد مر عمر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب المساجد فقال : «ما أنصفناك ، كنا أخذنا منك الجزية في شيبتك ثم ضيعناك في كبرك . . وأجرى له من بيت المال ما يصلحه .

٩ـ كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري وكان والياً : «أما بعد : فإن للناس نُفرةً من سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني وإياك ، فأقم الحدود ولو ساعة النهار . وإذا حضر أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الله فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى ، وأخف الفسّاق ـ أي مزقهم ـ عد مريض المسلمين واحضر جنائزهم وافتح بابك وباشر أمورهم بنفسك ، فإنما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً ، وقد بلغني أنه نشأ لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرتَ بواد خصب فلم يكن لها هم إلا التسمن وإنما حتفها في السمن ، واعلم أن العًامل إذا زاغ زاغت رعيته وأشقى الناس من شقيت به رعيته» .

من أقوال عمر :

١ـ قال لأبي عبيدة بن الجراح : «كنتم أقل الناس وأذل الناس فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله تعالى» .

٢ـ قال عمر بن الخطاب : «اقنع برزقك في الدنيا فإن الرحمن فضل بعض عباده على بعض في الرزق بل يبتلي به كلاً . فيبتلي به من بسط له كيف شكره وشكره أداؤه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوله» .

٣ـ قال عمر بن الخطاب : «تعلموا العلم وعلموه الناس ، وتعلموا له الوقار والسكينة ، وتواضعوا لمن تعلمتم منه ولمن علمتموه ، ولا تكونوا جبابرة العلماء» .

٤ـ قال عمر في المواعظ :

«من عرض نفسه للتهم فلا يلومنّ من أساء به الظن» .
«من كتم سره كانت الخيرة في يده» .
«عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء ، عدة في البلاء»

٥ـ عن الحسن أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى بفروة كسرى فوضعت بين يديه وفي القوم سراقة بن مالك رضي الله عنه قال : «فألقى إليه سواري كسرى بن هرمز فجعلهما في يده فبلغا منكبيه فلما رآهما عمر في يدي كسرى قال : الحمد لله سواري كسرى بن هرمز في يد سراقة بن مالك أعرابي من بني مدلج!! ثم قال : اللهم إني قد علمت أن رسولك ﷺ كان يحب أن يصيب مالاً فينفقه في سبيلك وعلى عبادك وصرفت ذلك عنه نظراً منك له وخياراً ثم قال : اللهم إني قد علمت أن أبا بكر رضي الله عنه كان يحب أن يصيب مالاً فينفقه في سبيلك وعلى عبادك فصرفت ذلك عنه نظراً منك له وخياراً . اللهم إني أعوذ بك أن يكون هذا مكراً منك بعمر ثم تلا قوله تعالى :

أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾

(المؤمنون ٥٥-٥٦)

٦ـ عن عبد الرحمن بن عوف : «لما أتى عمر رضي الله عنه بكنوز كسرى قال له عبد الله ابن أرقم الزهري رضي الله عنه : ألا تجعلها في بيت المال؟

فقال عمر : لا نجعلها في بيت المال حتى نقسمها وبكى عمر فقال له عبد الرحمن بن عوف : ما يبكيك يا أمير المؤمنين فو الله إن هذا اليوم شكر ويوم سرور وفرح؟

فقال عمر : إن هذا لم يعطه الله قوماً قط إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء» .

٧ـ أخرج البيهقي عن حسن بن حسن عن أبيه أن عمر بن الخطاب خطب أم كلثوم فقال له علي رضي الله عنه : إنها تصغر عن ذلك فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي» فأحب أن يكون لي من رسول الله ﷺ سبب ونسب ، فقال علي للحسن والحسين رضي الله عنهم : زوّجا عمكما فقالا : هي امرأة من النساء تختار لنفسها فقام علي مغضباً فأمسك الحسن بثوبه وقال : لا صبر لي على هجرانك يا أبتاه . قال فزوجاه .

(الكنز ٢٩٦/٨)

٨ ـ روى ابن مردويه عن ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما أنه كان يخطب يوم الجمعة فعرض في خطبته أن قال : (يا ساريةُ الجبلَ ثلاثاً من استرعى الذئب ظلمَ) ـ فالتفت الناس بعضهم إلى بعض فقال لهم علي رضي الله عنه : ليخرجن مما قال ، فلما فرغ سألوه فقال : وقع في خَلَدي أن المشركين هزموا إخواننا وأنهم يمرون بجبل ، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد وإن جاوزوا هلكوا فخرج مني ما تزعمون أنكم سمعتموه . قال : فجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم قال : فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا» .

(المنتخب ٣٨٦/٤)

عمر يتمنّى الشهادة :

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «سمعت النبي ﷺ

يقول : والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل» .

وأخرج البخاري عن عمر رضي الله عنه قال : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ : وأخرجه الإسماعيلي عن حفصة رضي الله عنها قالت : سمعت عمر رضي الله عنه يقول : اللهم قتلاً في سبيلك ووفاة ببلد نبيك قال : فقلت : وأنى يكون هذا؟ قال : يأتي به الله إذا شاء»

(فتح الباري ٤/٧١)

ولقد صدق الله عمر الدعاء فاستجاب الله دعاءه وجعل موته شهيداً وهو يصلي في محراب رسول الله في صلاة الفجر وهذا دليل جديد على صدق إيمان أمير المؤمنين وارتباط قلبه برب العالمين وكيف لا؟ وهو الزاهد في مال المسلمين لا يأكل إلا طيباً حلالاً ولا يلبس إلا طيباً حلالاً ولا يشرب إلا طيباً حلالاً؟ وهذه شروط استجابة الدعاء مع سلامة النية والثقة بالله .

وفاة عمر :

بعد أن حج أمير المؤمنين في السنة الثالثة والعشرين للهجرة وبعد أن وصل المدينة المنورة خطب الجمعة في الناس وقال : «أيها الناس . إني أريت رؤيا لا أراها إلا لحضور أجلي ، رأيت ديكاً أحمر نقرني نقرتين . وقال : أيها الناس قد فُرضت لكم الفرائض وسُنت لكم السنن وتركتكم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً ثم قال : اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار فإني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ويعدلوا عليهم . . الخ» .

خرج أمير المؤمنين فجر الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ ليؤم المسلمين لصلاة الفجر . فما أن كبر إذا بهذا المجوسي الخسيس (أبو لؤلؤة)

يظهر فجأة ويطعن بخنجره المسموم أمير المؤمنين ثلاث طعنات منها واحدة قاتلة فالتفت عمر إلى المصلين قائلاً : «أدركوا الكلب فقد قتلني» واستخلف عبد الرحمن بن عوف على الصلاة بالناس بعد أن استطاعوا القبض على المجوسي النصراني في حقيقة أمره الممتلئ حقداً لما حدث من هزائم متتاليات حتى انهارت الإمبراطورية الفارسية ، وأصبحت المدائن ونهاوند تحت الراية الإسلامية . . تمكن هذا الحاقد من طعن الخليفة الفاتح وأثناء فراره طعن يساراً ويميناً وقتل من الملاحقين له حتى تمكنوا منه فطعن نفسه بخنجره ومات إلى الجحيم خالداً فيها . وقبل أن تطلع الشمس صلى عبد الرحمن بن عوف بالناس صلاة خفيفة . . ولما أفاق عمر من غشيته سأل المحيطين به أصلى الناس؟ قالوا : نعم فقال «لا إسلام لمن ترك الصلاة» واسم القاتل : أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة وكان فارسياً يدعي النصرانية ، اسر في نهاوند حتى وقع في ملك المغيرة بن شعبة ، اختبأ في زوايا المسجد لهذا الغرض الإجرامي .

وقد سبق طعن عمر أمور منها وهي جديرة بالذكر :

أولها : أثناء طواف أمير المؤمنين بالسوق لقيه أبو لؤلؤة فقال : «يا أمير المؤمنين أعني على المغيرة بن شعبة فإن عليّ خراجاً كثيراً فقال له عمر : كم خراجك؟ قال : درهمان كل يوم ، قال عمر : وما صناعتك؟ قال : نجار . حداد . نقاش . قال عمر : فما أرى خراجك بكثير إذا قيس بما تعمل . ثم طلب منه عمر أن يعمل له رحى تطحن بالريح فقال له : لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب . ثم انصرف . فقال عمر : لقد توعدني العبد آنفاً .

ثانيها : جاء إلى منزل عمر في اليوم التالي كعب الأحبار من كبار أحبار اليهود في عهد النبي عليه السلام وكان يعد عمر بإعلان إسلامه حال تهدأ الأمور ويسيطر الإسلام فقال لعمر : اعهد يا أمير المؤمنين فإنك ميت في

ثلاثة أيام . واختار عمر ستة من الصحابة السابقين يختار من بينهم الخليفة بعده وهم : علي ، وعثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة ابن عبيد الله . وهؤلاء جميعاً مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض . وكان قد جعل ابنه عبد الله بن عمر لينقل له الأخبار معهم دون أن يكون له حق في الخلافة ثم دعا إليه الأنصار وحملهم الأمانة وقال لهم : «أدخلوهم بيتاً ثلاثة أيام فإن استقاموا وإلا فادخلوا واضربوا أعناقهم» ثم قال للناس «من تأمّر منكم من غير مشورة فاضربوا عنقه» .

وأخرج ابن سعد ٣/٢٤٤[1] وأبو عبيد وابن شيبة والبخاري والنسائي عم عمر بن ميمون أن عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن عمر : «اذهب إلى عائشة أم المؤمنين فسلم وقل : يستأذن عمر بن الخطاب ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم بأمير المؤمنين - إن يدفن مع صاحبيه ، فأتاها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فوجدها قاعدة تبكي فسلم ثم قال : يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه قالت : كنت والله أريده لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي فلما جاء قال عمر : ما لديك؟ قال : أذنت لك . فقال عمر : ما كان شيء بأهم عندي من ذلك ثم قال : إذا مت فاحملوني على سريري ثم استأذن فقل : يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لك فأدخلني وإن لم تأذن فردني إلى مقابر المسلمين .

فلما حمل كأن الناس لم تصبهم مصيبة إلا يومئذ فسلم عبد الله ابن عمر وقال : يستأذن عمر بن الخطاب : فأذنت له . فدفن رحمه الله حيث أكرمه الله مع النبي ﷺ وأبي بكر ، فقالوا له حين حضره الموت : استخلف فقال : لا أجد أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض . فأيهم استخلفوا فهو بعدي وسمى : علياً وعثمان وطلحة والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف . رضي الله عنهم فإن أصابت

(١) حياة الصحابة جـ٣ ص٣٢.

لإمرة سعداً وإلا فأيهم استخلف فليستعن به فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة .

وجعل عبد الله بن عمر يشاورونه معهم وليس له من الأمر شيء فلما اجتمعوا قال عبد الرحمن بن عوف : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة نفر . فجعل الزبير أمره إلى علي . وجعل طلحة أمره إلى عثمان وجعل سعد أمره إلى عبد الرحمن ، فأتمر أولئك الثلاثة حين جعل الأمر لهم . فقال عبد الرحمن : أيكم يتبرأ من الأمر ويجعل الأمر الي؟ ولكم الله علي إلا آلو عن أفضلكم وخيركم للمسلمين قالا : نعم . فخلا بعلي فقال : إن لك من القرابة من رسول الله ﷺ والتقدم ولي الله عليك لئن استخلفت لتعدلن ولئن استخلفت عثمان لتسمعن ولتطيعن قال : نعم وخلا بعثمان فقال له مثل ذلك عثمان : نعم . ثم قال لعثمان : ابسط يدك يا عثمان فبسط يده فبايعه وبايعه علي والناس» .

شهادة علي رضي الله عنه في عمر:

أخرج ابن عساكر عن أبي مطر قال : سمعت علياً رضي الله عنه يقول . «دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين وجأه أبو لؤلؤة وهو يبكي فقلت : ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فقال : أبكاني خبر السماء أيذهب بي إلى الجنة أم إلى النار؟ فقلت له : أبشر بالجنة . فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : سيد كهول الجنة أبو بكر وعمر وأنعما[2]» فقال : أشاهد أنت لي يا علي بالجنة؟ قلت : نعم وأنت يا حسن فاشهد على أبيك أن رسول الله ﷺ قال : «إن عمر من أهل الجنة»

(صحابة ٣/٥٤)

---

(٢) زادا فضلاً.

شهادة العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله في عمر :

أخرج أبو نعيم في الحلية (١/٥٤) عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : «كنت جاراً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فما رأيت أحداً من الناس كان أفضل من عمر ، إن ليله صلاة وإن نهاره صيام ، وفي حاجات الناس . فلما توفي عمر سألت الله عز وجل أن يرينيه في النوم . فرأيته في النوم مقبلاً متشحاً من سوق المدينة فسلمت عليه وسلم عليّ ثم قلت : كيف أنت؟ قال : بخير . فقلت له : من وجدت؟ قال : الآن فرغت من الحساب ولقد كاد عرشي يهوي بي لولا أني وجدت رباً رحيماً» .

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «دعوت الله سنة أن يريني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : فرأيته في النوم فقلت : ما لقيت؟ قال : لقيت رؤوفاً رحيماً ولولا رحمته لهوى عرشي» .

رؤية ابن عمر وأنصاري عمر في المنام :

ـ أخرج البيهقي في الحلية (١/٥٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : ما كان شيء أحب اليّ أن أعلمه من أمر عمر فرأيت في المنام قصراً فقلت : لمن هذا؟ قالوا : لعمر بن الخطاب فخرج من القصر عليه ملحفة كأنه قد اغتسل فقلت : كيف صنعت؟ قال : خيراً كاد عرشي يهوي بي لولا أني لقيت رباً غفوراً فقال : منذ كم فارقتكم؟ فقلت : منذ اثنتي عشرة سنة فقال : إنما انفلت الآن من الحساب .

ـ وأخرج ابن سعد (٣/٣٧٦) عن سالم بن عبد الله قال : سمعت رجلاً من الأنصار يقول : «دعوت الله أن يريني عمر رضي الله عنه في النوم . فرأيته بعد عشر سنين وهو يمسح العرق عن جبينه فقلت : يا أمير المؤمنين : ما فعلت؟ فقال : الآن فرغت ولولا رحمة ربي لهلكت» .

ـ وأخرج ابن سعد (٣/٣٧٦) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : «نمت بالسقيا[١] ، وأنا قافل من الحج فلما استيقظ قال : والله إني لأرى عمر آنفاً أقبل يمشي حتى ركض[٢] أم كلثوم بنت عقبة وهي نائمة إلى جانبي ، فأيقظها ثم ولى مدبراً فانطلق الناس في طلبه ودعوت بثيابي فلبستها فطلبته مع الناس فكنت أول من أدركه والله ما أدركته حتى حَسرت[٣] فقلت : والله يا أمير المؤمنين لقد شققت على الناس والله لا يدركك أحدَ حتى يحسر ، والله ما أدركتك حتى حسرت . فقال : ما أحسبني أسرعت ، والذي نفس عبد الرحمن بيده إنه لعمله» أي الذي سبق به الناس عمله ، رحم الله الفاروق أمير المؤمنين ، وجمعنا الله به مع صاحبيه . .

---

(١) قرية بين مكة والمدينة

(٢) ضرب برجله

(٣) تعبت

الخليفة الثالث

عثمان بن عفـان
رضي الله عنه

* عن عائشة رضي الله عنها قالت : «سمعت رسول الله ﷺ يقـول : يـا عثمـان لعل الله يقمِّصك قميصاً فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه حتى يخلعوه»

(رواه الترمذي بإسناد صحيح ، جامع الأصول جـ٨/٦٢٤ .)

* عن أبي سهلة رحمه الله قال : «سمعت عثمان رضـي اللـه عنـه يقـول يـوم الدار : إن رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً فأنا ممتثل له وصابر عليه إن شاء الله فصبر حتى قتل رحمه الله شهيداً»

(جامع الأصول ٦٤٥/٨ ، رواه الترمذي وابن ماجة وقال : حديث حسن صحيح)

* وفي حديث أبي موسى الأشعري يوم أمره الرسول بحفظ باب الحـائط فـي المدينة . «فجاء عثمان فقلت يا رسول الله : هذا عثمان يستأذن قال : افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه»

(رواه البخاري ٤٢/١٣ الفتن ، مسلم والترمذي ، جامع الأصول ج٨)

* عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنهما قال : «جاء عثمان إلى النبي بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره قال عبد الرحمن : فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره ويقول : ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم (مرتين)

(إسناد حسن ، رواه الترمذي وأحمد ، جامع الأصول جـ٨)

* وعن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه قال : «شهدت رسول الله ﷺ وهو يحث على جيش العسرة فقام عثمان بن عفان فقال : يا رسول الله عليّ مائة بعير بأحلاسها واقتابها في سبيل الله . ثم حضّ على الجيش فقام عثمان وقال : عليّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حضّ على الجيش فقام عثمان وقال : عليّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله . (قال عبد الرحمن) فأنا رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول : ما على عثمان ما فعل بعد هذه ، ما على عثمان ما فعل بعد هذه»

(جامع الأصول جـ٨/٦٣٦)

الخليفة الثالث

عثمان بن عفان رضي الله عنه

«ذو النورين»

بايعه الناس بالخلافة بعد وفاة عمر بن الخطاب وبعد دفنه بثلاث ليال، في آخر ذي الحجة سنة ٢٣ هـ واستقبل خلافته في ١ محرم ٢٤ هـ.

كان من كتاب الوحي مع رسول الله ﷺ وفي عهده حرص على توحيد الأمة على القرآن الواحد بلهجة قريش وأرسل إلى كل الأمصار نسخة نسخة وأحرق باقي النسخ باللهجات الأخرى.

ولهذا ينسب إليه قولنا «المصحف العثماني» أو «الرسم العثماني».

بشره الرسول عليه الصلاة والسلام مرات كثيرة بالجنة لما له من سابقة في الإسلام فقد أسلم على يدي أبي بكر الصدّيق وأخلص النية وصدق إيمانه وصدقت أفعاله أقواله حتى قال فيه رسول الله ﷺ «لكل نبي رفيق ورفيقي في الجنة عثمان».

وهانت عليه أمواله وتجارته أمام حبه لله ولرسوله وللمؤمنين. قال أبو هريرة رضي الله عنه: «اشترى عثمان ابن عفان الجنة من النبي ﷺ مرتين، حين حفر بئر رومة، وحين جهز جيش العسرة في غزوة تبوك بتسعمائة بعير».

كان خلوقاً حييّاً جواداً كريماً تاجراً مرموقاً ومهاجراً مضحياً بماله وراحته في سبيل الله، هاجر الهجرتين إلى الحبشة والى يثرب.

ولد في السنة السادسة من مولد رسول الله ﷺ، وهو أحد المبشرين العشرة بالجنة، و لما نزلت الآية بقوله تعالى:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾﴾

(الزمر ٩)

قال ابن عمر رضي الله عنه في المقصود بهذه الآية هو عثمان بن عفان ﷺ .

تزوج من بنات رسول الله ﷺ فأخذ منهن رقية ، ولما توفيت تزوج بأم كلثوم وقال له رسول الله ﷺ : «لو كان عندي ثالثة لزوجتكها يا عثمان» أفلا يدل هذا على حسن خلقه ودينه؟ والرسول عليه السلام يقول : «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه» .

جاهد في الله حق جهاده وفتحت في مدة ولايته البلاد في أفريقيا وفي آسيا . ودخل الأسطول الإسلامي المعارك الإسلامية وفتح قبرص وصدَّ عن الإسلام أساطيل قسطنطين وهزمها في معركة ذات الصواري بل وتابع سفن الروم على سواحل أفريقية الشمالية من طرابلس إلى طنجة واستولى على هذه المدن بعد أن عقد معهم الصلح المعهود ، وصارت الخلافة الإسلامية في عهد عثمان دولة بحرية وحميت الثغور وعزت الأمة ورفرفت رايات «لا إله إلا الله» في البر والبحر .

كتب إلى أمراء الأجناد في الثغور : «أما بعد فإنكم حماة الإسلام وذادتهم وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا بل على ملأ منا ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله بكم ويستبدل بكم غيركم ، فانظروا كيف تكونون فإني أنظر فيما الزمني الله النظر فيه والقيام عليه» .

وكتب على عمال الخراج : «خذوا الحق وأعطوا الحق به والأمانة الأمانة ، قوموا عليها ولا تكونوا أول من يسلبها . . لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد ، فإن

الله خصم لمن ظلمهم» .

وكتب إلى العامة من المسلمين بالأمصار : «أما بعد فإنما بلغتم ما بلغتم بالإقتداء والإتباع فلا تلفتكم الدنيا عن أمركم ، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم : «تكامل النعم ، وبلوغ أولادكم من السبايا ـ يعني أولاد الإماء إذا بلغوا سن الرشد ـ وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن ، فإن رسول الله ﷺ قال : «الكفر في العجمة فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا أو ابتدعوا» .

اجتمعت على الأمة الإسلامية رؤوس الحقد الأسود من اليهود والفرس وجهلاء القبائل وقطاع الأرحام من الأعراب وأصحاب الأطماع الشخصية من غيرهم والمضللون من أهل العامة في الأمصار وخاصة مصر والكوفة والبصرة . ومكائد المنافقين في المدينة المنورة واستغلوا طيبة عثمان ورقته وحسن اجتهاده فتألبوا عليه ليضربوا به الأمة الإسلامية إلى يوم الدين فثارت الفتن واختلطت الأمور وتشوهت الحقيقة حتى تمكنت الفتنة من قتل الخليفة عثمان برؤوسها الحاقدة وسيوفها التي هي سيوف الشيطان يضرب بها أتباع الشيطان رأس الدولة الإسلامية الخليفة عثمان دون أن يخشوا ربهم ولا يخافوا عاقبة أخرتهم ، ولم يرعوا للصلاة هيبتها ، ولا للقرآن قداسته ، فاجتمعوا عليه وضربوه بسيوفهم وهو بين يدي رب العرش العظيم يصلي والقرآن مفتوح أمامه . ولم يراعوا حرمة البيت فتسوروا الجدران وقطعوا أصابع زوجته وهي تذود عنه . فانتقل عثمان إلى ربه راضياً بوعد رسول الله ﷺ له بالشهادة والجنة .

ومن يومها لم تعرف أمتنا الإسلامية الاستقرار والطمأنينة حتى صرنا شيعاً وأحزاباً وفرقاً ومذاهب ومللاً ونحلاً تحلل قتل المسلمين وتستعين بسيوف الكافرين ، وصرنا ألعوبة بيد شذاذ الآفاق وأذلاء الأمم وعبيد الشعوب طمعوا فينا على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وجنسياتهم ودرنا في فلك الهرج والمرج وتنازعنا ففشلنا وذهبت ريحنا بعد أن تفرقنا ولم نعتصم بحبل الله .

خلافة عثمان :

بدأ عثمان بن عفان خلافته في الأول من محرم ٢٤ هـ بعد مبايعة الأمة له فقال في خطبته الأولى : بعد بيعته صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : «إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه . . ألآ وأن الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، واعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا ، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعونا بها طويلاً؟ ألم تلفظهم؟ ارموا الدنيا حيث رمي الله ، واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلاً فقال عز وجل : «واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً ، المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك وخير أملاً»[1] وهي خطبة تدل على تنفير الناس من دنياهم وأنها لن تدوم لأحد ومن كان في شك فليسأل عن السابقين هل لهم من باقية؟

وحثهم على الإعداد للآخرة لأنها دار المقام والحياة الدنيا مزرعتها والباقيات الصالحات خير عند ربك وخير أملاً ، وعثمان لم يكن خطيباً مفوهاً كمن سبقه ولذلك قال للناس : «أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل» . ويرجع البعض ضعف عثمان في الخطابة إلى حيائه الذي كان يمنعه من الكلام وكانت حكمته وبلاغته تكفيه .

عهده في الخلافة ومهامه :

كانت أول قضية تعرض لها الخليفة عثمان بن عفان قضية القتل الذي نفذه عبد الله بن عمر في الهرمزان وجفينة وابنة أبي لؤلؤة ولولا أن سعد بن أبي وقاص استطاع أن ينزع الثوب من يده وتمكن منه حينما طرحه على

---

(١) تاريخ الأمم حـ١ ص٢٦

الأرض وحبسه في بيته بأمر من صهيب الذي استخلفه عمر قبل أن يموت حتى يحتكم المسلمون ويتفقون على خليفة جديد. ليملأ الفراغ حتى يمتلئ بخليفة جديد. فاحتفظ بقراره في عبيد الله بن عمر حتى يعلن اسم الخليفة وينصب بعد المبايعة. فجاء المسلمون بابن عمر يريدون تنفيذ القصاص فيه وانقسم الناس بين مطالب بالقصاص والقتل وبين المخفف بحجة أن هؤلاء جماعة كانوا وراء قتل عثمان وهم الذين دفعوا أبا لؤلؤة لتنفيذ جريمته. خاصة وأن عبد الرحمن ابن أبي بكر مرّ عليهم - أثناء مناجاتهم ففزعوا وثاروا فسقط خنجر له رأسان وكان هذا الخنجر الذي طعن به أمير المؤمنين عمر. فما كان من الخليفة عثمان إلا أن تحمل الدية من ماله الخاص. وقال له بعض المؤمنين: لقد أعفاك الله من هذا الحدث لأنه حدث ولا سلطان لك على المسلمين، فقال عثمان: «أنا وليهم، قد جعلتها دية واحتملتها في مالي فكان هذا الحل خروجاً من أول فتنة أريد بها عهد عثمان رضي الله عنه.

إنجازات عثمان رضي الله عنه:

حفظ الخليفة عثمان إرادة عمر بن الخطاب وأبقى على الولاة الذين ولاهم عمر دون أن يغيرهم أو بعضهم مدة سنة وكتب إلى الولاة ما يلي:

«أما بعد فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة، وأن صدر هذه الأئمة خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء، إلّا وأنّ أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم مالهم وتأخذوهم بما عليهم، ثم تعتنوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم».

وكانت الأمصار الإسلامية التي وجدها عثمان عشراً هي: (١ - مكة، ٢ - الطائف، ٣ - صنعاء، ٤ - الجند، ٥ - البحرين وما والاها، ٦ - الكوفة، ٧ - البصرة، ٨ - دمشق، ٩ - حمص، ١٠ - مصر).

واتخذ الخليفة عثمان خاتماً له نقش عليه «آمن عثمان بالله العظيم» وتقدمت أحوال الناس في وسائل معيشتهم وزادت أرزاقهم وأعطيات الدولة لهم حتى صاروا يأكلون السمن والعسل . وبدأ الناس يعملون لدنياهم فتشغلهم وزادت أطماعهم وكثرت معالم رخائهم وتنافسوا فيها .

الفتوح في عهد الخليفة عثمان :

بعد وفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عاد الأمل لكثير من الشعوب المهزومة وحاولت أن تطل برأسها تنقض على مكاسب الدولة في غفلة انشغال الناس بعهد عثمان الجديد أو بما أذيع من بعض الأخبار عن ضعف شخصية الخليفة الجديد أو لركون الناس إلى الدنيا بعد أن وضعوا السلاح وهدأت حالة الفتوحات .

فتجرأ الروم بالانقضاض ومحاولة الاعتداء على الدولة لاسترجاع ما فقدوه من سلطان . وكذلك تحرك الفرس هنا وهناك عسى أن ينتهزوا هذه الفرصة ليضربوا ضربتهم الانتقامية التي تعيد لهم عزهم المفقود ونسوا أن رسول الله ﷺ قال وهو لا ينطق عن الهوى (إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله) فقد انتفضت أذربيجان ومنعت ما كانت صالحت عليه فغزاها أمير الكوفة الوليد بن عقبة وأعادها للطاعة ورضيت بما كانت صولحت عليه .

وفي أرمينية اجتمع فيها أطراف التمرد لمحاولة الانقضاض ، ولكن سلمان بن ربيعة الباهلي شتت شملهم وأعادها إلى الطاعة ، ومن البصرة توجهت حملات التأديب إلى كل محاولات الانقضاض من أهل فارس في عهد عبد الله بن عامر الذي قتل في عهده يزدجرد آخر ملوك الفرس وبموته انقضت الدولة الساسانية . ثم أخمد أطماع المتمردين في خراسان ونيسابور وثغر السند وكان يتبعها فتوحات وصلت إلى خوارزم . وبلاد الخزر واحتلوا أكبر مدنها (بلنجر) وبلاد الديلم وطبرستان وبلاد الشاطئ بحر الخزر .

- ومن الشام في عهد معاوية تحركت الجيوش نحو بلاد الروم حتى وصلت عمورية وتابع فتوحاته حتى وصل تفليس في أرمينية .

كما فتحت قبرص التي كان عمر بن الخطاب يأبى للمسلمين أن يركبوا البحر بعد أن سمع من عمرو بن العاص وصف البحر الذي قال فيه : «إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير إن سكن خرق القلوب ، وإن تحرك أزاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود إن مال غرق وإن نجا برق» فلما سمع عمر بن الخطاب كتب إلى معاوية : «لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً» .

وفي عهد عثمان رضي الله وافق على ركوب البحر بشرط أن يكون للمجاهدين الرغبة دون إكراه ، فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه وساروا إلى قبرص وفتحت قبرص ودفنت فيها زوجة الصحابي عبادة بن الصامت أم مرام بنت ملحان التي بشرها الرسول بأنها من الشهداء مع أناس يركبون ثبج البحر ، وطلبت منه أن تكون منهم فقال لها أنت منهم» وما زال قبرها إلى اليوم في قبرص يطلق عليه (قبر المرأة الصالحة) .

ثم تطورت سفن البحر في عهد معاوية حتى صار أسطولاً وجعل عليه أميراً عبد الله بن قيس الحارثي .

وفي مصر في عهد عمرو بن العاص تحرك الروم في الإسكندرية وانتفضوا بمساعدة أسطول الروم الذي دعم الانتفاضة . فتحرك لهم عمرو بن العاص وانتهى أمرها واستولى على كثير من مراكب الروم استخدمها في التحرك نحو أفريقيا الشمالية التي استطاع أن يصل إلى طنجة على المغرب الأقصى بعد أن طوع طرابلس بقيادة قائد الأسطول عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وقد تطور الأسطول العربي حتى استطاع أن يهزم أسطول قسطنطين المكون من ستمائة سفينة في معركة ذات الصواري ، بما استحدثه المسلمون من تجديد في أسطولهم في بلاد الشام وفي مصر .

وهكذا كانت انتصارات الإسلام في عهد عثمان رضي الله عنه في القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا ، وتمت فيها فتوحات مشهودة بعد تلقين كل من حاول أن يقوم على الإسلام من شعوب تلك البلاد بالجيوش البرية والبحرية حتى لقد بلغ من شدة ثقته بعزة الإسلام وقوة بسطته وصلابة موقفه وانتساب الأمن واستتباب الأمان في أطراف الدولة الإسلامية وبلدانها المفتوحة قديماً وحديثاً من نيسابور إلى طنجة في المغرب الأقصى واستظلاله براية الإسلام الممتدة بظلها عليه أن القائد العربي المسلم الفاتح عبد الله بن عامر حينما قال له الناس : «ما فتح الله على أحد ما فتح عليك فارس وكرمان وسجستان وعامر خراسان . قال لا جرم لأجعلنّ شكري لله على ذلك أن أحرم بعمرة من موقفي هذا» فأحرم بعمرة من نيسابور فلما أقبل على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لأمه على إحرامه من خراسان .

الفتنة السوداء :

قال رسول الله ﷺ :«يا عثمان : إنه لعل الله يقمصك قميصاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني» .

وعن أبي موسى الأشعري قال : «إن النبي ﷺ دخل حائطاً (أي بستاناً) وأمرني بحفظ باب الحائط فجاء رجل يستأذن فقال ﷺ «ائذن له وبشره بالجنة» فإذا هو أبو بكر ، ثم جاء آخر يستأذن فقال : «ائذن له وبشره بالجنة» فإذا هو عمر .

ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة ثم قال : «ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه» فإذا هو عثمان بن عفان .

(رواه البخاري جـ٤ ص٢٠٢)

وأخرج ابن عساكر عن أبي ثور الفهمي قال : «دخلت على عثمان وهو محصور ـ من أهل الفتنة ـ فقال : لقد أدخرت عند ربي عشراً ـ إني لرابع

أربعة في الإسلام ـ وجهزت جيش العسرة ـ وأنكحني رسول الله ﷺ ابنته ، فلما توفيت أنكحني ابنته الأخرى ـ وما تغنيت ــ ولا تمنيت ــ ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت رسول الله ﷺ ــ وما مرت بي جمعة منذ أسلمت إلا وأنا أعتق فيها رقبة إلا ألا يكون عندي شيء فأعتقها بعد ذلك ـ ولا زنيت في الجاهلية ولا الإسلام قط ــ ولا سرقت قط ــ ولقد جمعت القرآن ـ أي حفظه عن ظهر قلب ـ على عهد رسول الله ﷺ .

هكذا هو الخليفة عثمان بن عفان ــ ذو النورين ، والذي تستحي منه الملائكة ـ القانت العابد أناء الليل وأطراف النهار ـ الذي لم تبطره النعمة ولم تغره الدنيا ولم يفسده الغنى رغم بريقه الأخاذ الذي يعشي العيون عن الآخرة ويظلم القلوب ــ الذي عدل فيما حمل من أمانة فأغنى الناس واستغنى عن الناس إلا ببشرى رسول الله ﷺ له . أنه بشره بالجنة على بلوى ستصيبه ، فرضي بها وأيقن أنه لاحق بالرسول عليه السلام وصحبه يرى مصيره حقاً لا ريب فيه ويعلم أنه مقتول شهيداً حتى أبى أن يشرب الماء على عطشه أثناء حصاره لأنه رأى رسول الله ﷺ في منامه وسقاه بيده وأخبره أنك ستفطر معنا غداً يا عثمان ـ إيمان صدقه العمل ــ وإسلام سلمت معه السريرة ، وسلم به المسلمون من لسانه ويده ، كتب إلى امرأته في الأمصار عند توليته الخلافة ما يبرئ ساحته عند الناس وعند الله رب الناس «أما بعد فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم لهم أن يكونوا جباة ، وأن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة وليوشك أن يصيروا جباة ولا يصيروا رعاة فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء . إلا أن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم ما لهم وتأخذوهم بما عليهم ثم تعتنوا بأهل الذمة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم ، ثم العدو الذي تنتابون»[1]

---

(١) تاريخ الأمم الإسلامية ـ الدولة الأموية ص٢٦

وفي الكتاب ما يدل على صرامته في أن يكون الأمراء عدولاً مع رعيتهم يؤدون أماناتهم ولا يكونون جباة يضيع الحياء من وجوههم وتضيع الأمانة في جيوبهم وأن يحفظوا على الناس أموالهم إلا بحقها ، وأن يحفظوا للشعوب تحت رعايتهم من أهل الذمة ـ غير المسلمين حقوقهم وأموالهم إلا بحقها . ثم الحرص على الثغور ورعايتها خوف العدو . فهل هناك من مبررات للفتنة؟؟!

إلا أن أصحابها والذين قاموا بها منافقون ظلوا على يهوديتهم واحتفظوا بمجوسيتهم واعتنقوا صليبيتهم تحت لباس الإسلام ليضربوا ضربتهم في الإسلام ودولته حين حانت الفرصة ، ساقوا وراءهم أجلاف الأعراب الذين هم أشد كفراً ونفاقاً فجعلوهم أدواتهم الضاربة وجيشهم الغادر تجمع من مصر ومن الكوفة ومن البصرة بحجة الاعتمار يقودهم عبد الله بن سبأ (اليهودي اللئيم) بعد أن طاف بهم وجمع كل رؤوس النفاق والكفر الأسود ليفعلوا فعلتهم ويقتلوا الخليفة عثمان مصلياً . .

قال رسول الله ﷺ : يا عثمان انه لعل الله يقمصك قميصاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني»

إذن : يا أخي القارئ وليس بعد قول الرسول صلى الله عليه سلم قول ـ كل من وقفوا ضد عثمان رضي الله عنه في هذه الفتنة منافقون . وسنرى كيف تمت خيوط الفتنة على الخليفة عثمان لتمتد إلى الأمة إلى يوم الدين .

الفتنة الكبرى ورؤوسها :

قبل أن نستعرض الفتنة ورؤوسها لابد أن نشير إلى بعض الأمور الهامة لأنها علامات على ظهور الفتنة وسابقات لها :

١ـ **تجديد مسجد الرسول عليه السلام** : فقد اتسعت الدولة وازداد عدد المصلين في المسجد ولم يعد يتسع فأمر الخليفة عثمان بعد مشاورة الصحابة أن يبني المسجد من جديد على مساحة اكبر وبحجر يحتمل عوامل البيئة مع

بعض العناية بجمال الحجر وروعة البناء تكريما لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، فهدم المسجد وبني بالحجارة المنقوشة وأعمدته من حجارة مثقوبة وجعل فيها أسياخ الحديد وصب فيها الرصاص وسقف بالساج .

وحج عثمان في هذا العام فصلى بأصحابه ولم يقصر الصلاة فعد عثمان مبتدعاً ببناء المسجد وترك القصر في الصلاة ، هذه أولى البوادر .

٢ـ ضياع خاتم الرسول من يده : اتخذ الرسول عليه الصلاة والسلام خاتماً من فضة يختم به كتب الرسول الرسمية إلى الملوك والحكام كتب عليه «محمد رسول الله» وقد اتخذه من حديد فرفضه جبريل ثم من نحاس فرفضه أيضاً حتى عمله من فضة فأقره عليها . . وبعد وفاة الرسول عليه السلام تختم به أبو بكر الصديق الخليفة الأول ثم عمر بن الخطاب الخليفة الثاني ثم عثمان الخليفة الثالث . وفي أثناء حفر بئر أريس عند مسجد قباء سقط الخاتم من يد عثمان في البئر فبحثوا عن الخاتم بعد أن نزعوا ماء البئر كله ولم يجدوه فحزن عثمان لذلك حزناً شديداً لأنه اعتبره إشارة إلى ضياع المسلمين بعده بضياع الخلافة فريسة للفتن السوداء .

٣ـ ازدادت الفتوح الإسلامية حتى قتل فيها يزدجرد وضاع معه ملك الإمبراطورية الساسانية إلى الأبد ولم يعد بعده كسرى ولن يقوم أن شاء الله كما وعد الرسول فقال : «إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده . والذي بعثني بالحق لتنفقن كنوزهما في سبيل الله» .

وقد ضاع في عهد عثمان ملك كسرى وتقطعت أوصال قيصر في البر والبحر وبلغ بالناس أن يظنوا أن المسلمين لايموتون وانهم لايعرفون الهزائم وامتدت راية الإسلام تظل القارات حتى أحرم عبد الله بن عامر من نيسابور للعمرة . وهلكت في هذه الحروب المقدسة قيصر وقسطنطين ابن هرقل ويزدجرد ملك الفرس وآخر الأكاسرة . وجرجير القائد العظيم في افريقيا . هنا اجتمعت أركان الكفر في عبد الله بن سبأ وأخذوا يدبرون المكائد والدسائس

ويثيرون الفتن بأسلوب المنافق الجبان الذي يظهر خلاف ما يبطن . وغاظهم أن يجدوا المدينة المنورة تتلقى الانتصار تلو الانتصار وينعم الناس فيها باستقرار واطمئنان انعكس على الإمارات كلها والأمصار وشمل المسلمين الخير وأهل الذمة معهم برعاية الخليفة عثمان الرحيم الرؤوف برعيته والعادل الكريم الجواد اللين الهادئ الطبع فانتهز عبد الله بن سبأ ــ اليهودي المغضوب عليه على عدد دورات الساعة . واخذ يبث سمومه كما يلي :

١ـ عثمان بن عفان اخذ الخلافة ممن هو أحق منه وهو علي بن أبي طالب ، ونسوا أقوال علي في عثمان : «ذاك أمرؤ يدعى في الملأ الأعلى ذا النورين» وقوله في وصف عثمان : «كان عثمان أوصلنا للرحم وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين» قال الإمام ابن تيمية في ٢٢٣/٣ قول الإمام أحمد (لم يتفق الناس على بيعة كما اتفقوا على بيعة عثمان ، ولاه المسلمون بعد تشاور ثلاثة أيام وهم مؤتلفون متفقون متحابون متوادون معتصمون بحبل الله جميعاً وقد أظهرهم الله وأظهر بهم ما بعث به نبيه من الهدى ودين الحق ونصرهم على الكفار ففتح بهم» . [١]

وانتقل عبد الله بن سبأ إلى الكوفة وإلى البصرة وإلى مصر فوجد فيها ضالته واستطاع أن يغري وأن يؤثر في رجال منها . وانظر يا أخي المؤمن ما قاله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الملهم حين ارسل ابا موسى الاشعري والياً على البصرة ، قال : إني مستعملك على البصرة وابعثك إلى أرض قد باض فيها الشيطان وفرخ» وأما رأيه في الكوفة وأهلها فقد ضاق ذرعاً بهم حتى قال فيهم بعد أن تمردوا على الولاة مرات ومرات كلما بدل لهم اميراً شكوه فعزله فقال : أهل الكوفة أن استعملت عليهم القوي فجروه وان وليت عليهم الضعيف حقروه ، صدق عمر بن الخطاب فيما قال فيهم فقد خدعوا الأمراء حتى عليا قتلوه وهم اشياعه في الظاهر .

(١) العواصم من القواسم ص٥٨

وحاول أن يذهب المنافق عبد الله بن سبا إلى الشام ولكن هيهات أن يجد ثغرة ينفذ منها فأهل الشام لايزالون ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة فصدوه حتى قال أبو الدرداء حين التقى به وسمع ما يقول : من أنت؟ اظنك والله يهودياً وكشف أمره الصحابي الجليل عبادة بن الصامت وسلمه إلى معاوية .

ووقع أخيرا رؤوس الفتنة ومعهم «ابن سبأ» في حمص في دار عبد الرحمن بن خالد بن الوليد الذي اكتشف حقيقتهم وتوعدهم وأرسل بهم إلى معاوية الذي أرسلهم إلى عثمان رضي الله عنه فأخذه بلينه وتسامحه وعفا عنهم بعد أن تابوا أمامه . وكان رؤوس الفتنة هم :

عبد الله بن سبأ ـ رأس المنافقين وسمي «ابن السوداء» وفي مصر : محمد بن حذيفة وكان يتيماً في حجر عثمان وتربى عنده وطلب من عثمان أن يوليه ولكن عثمان أبى . فطلب منه الخروج فوافق عثمان وذهب إلى مصر ليكون في مقدمة المتنكرين لفضل عثمان عليه . ومحمد بن ابي بكر الذي غره أقوام فطمع . وعمار بن ياسر الذي قذف أحد الناس وعزره عثمان ـ فحقد عليه ـ وسودان بن حمدان وخالد بن ملجم وكنانه بن بشر .

وفي الكوفة : مالك بن الحارث الأشتر وثابت بن قيس النخعي وكميل بن زياد النخعي وزيد بن صوحان العبدي ـ جندي بن زهير وغيرهم .

وفي البصرة : حكيم بن جبله وكان لصاً والذي آوى ابن سبأ حين جاء إلى البصرة .

وقد لخص القاضي أبو بكر العربي في كتابه العواصم من القواصم[1] أصناف أهل الفتنة كما يلي : هم على مراتب :

- فيهم الذي غلب عليه الغلو في الدين فأنكروا الصغائر وارتكبوا من اجلها

---

(١) ص ٥٨

الكبائر .

- ومنهم الذين ينزعون إلى عصبية يمنية على شيوخ الصحابة من قريش ولم تكن لديه في الإسلام سابقة فحسدوا أهل السابقة من قريش .
- ومنهم الموتورون الحاقدون من حدود شرعية أقيمت على بعض ذويهم .
- ومنهم الحمقى الذين استغل ابن السوداء عبد الله بن سبأ ضعف عقولهم وجاهليتهم فدفعهم إلى عقيدته الضالة المضلة .
- ومنهم من أثقل كاهله خير عثمان ومعزوفه نحوه وعندما طلب منه أن يوليه بما لايستحقه من الرياسة أوقفه عثمان رضي الله عنه عند حده .

ومنهم من أصابهم من عثمان شيء من التعزير لمخالفته أدب الإسلام فاغضبهم التعزير من عثمان ولو كان أصابهم أشد منه من عمر لرضوا به طائعين .

- ومنهم المتعجلون بالرياسة قبل أن يتأهلوا لها .
- وأخيراً ما جبل به عثمان من الرحمة اطمعت الخارجين عليه فأرادوا أن يتخذوا من رحمته ولينه مطية لأهوائهم .

ولكنهم جميعاً جمعتهم ادعاءات شرعية على عثمان ثاروا عليه من أجلها ظاهريا ولكل في نفسه هواه وهدفه : ومن أهمها :

١- مخالفته السنة ببناء مسجد الرسول وتوسيعه .

٢- ضربه لعمار بن ياسر (بحجة أنه قذف أحد المسلمين وهذا عدل)

٣- ضربه لابن مسعود (وهذا غير صحيح فقد ثبت ابن مسعود وعزل سعد بن أبي وقاص تكريما لابن مسعود حينما وقع بينهما خلاف) .

٤- ابتدع في جمع القرآن واحرق المصاحف (وقد دافع عنه علي بن أبي

طالب فقال : فوالله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسول الله وقلنا : نعم ما رأيت)

٥- أجلى الصحابي أبا ذر إلى الربدة بسبب تشدده في الإسلام . فعرض عليه عثمان بقوله : يا أبا ذر لو اعتزلت فخرج ابو ذر زاهدا حسب قول رسول الله : قال : أمرني رسول الله أن أخرج من المدينة إذا بلغ البناء سلعاً . . فنزل الربده وبنى مسجدا وأقطعه عثمان صرمة من الابل ومملوكين وأجرى له رزقاً .

٦- ابطل سنة الرسول حين لم يقصر في الصلاة في موسم الحج . وهذا اجتهاد لأن الناس افتتنوا بالقصر فخاف عثمان على الفريضة .

٧- ولي معاوية وعبد الله بن عامر ومروان والوليد بن عقبة علماً أن معاوية كان من عهد أبي بكر وعمر ولم يوله عثمان وله عند الجميع حظوة .

٨- كان عمر يضرب بالدرة وضرب هو بالعصا .

٩- علا في منبره على درجة رسول الله ﷺ .

١٠- لم يحضر بدراً وغاب عن بيعة الرضوان (علماً أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الذي أمره بالتغيب عن بدر لتمريض زوجته . وفي بيعة الرضوان كان في بعثه للرسول في مكة عند قريش . وبايع عنه الرسول عليه السلام) .

١١- لم يقتل عبد الله بن عمر يوم قتل الهرمزان (وهو الذي اعطى الخنجر لأبي لؤلؤة) كما مر .

١٢- وكتب مع عبده على جمله كتاباً إلى ابن أبي سرحٍ في قتل من ذكروا فيه . (علماً أن الكتاب مزور وليس له به علم) ولم يثبت على مروان أنه كتبه وختمه بخاتم عثمان . وكان صحابياً من أقران ابن الزبير .

١٣- أنه حمى الحمى) والحمى هو مكان اختص بإبل الزكاة المرصودة

للجهاد والمصالح العامة وكانت عادة قبلية جاهلية إذا نزل الشـريف فـي أرض استعوى كلبـاً فحـوى لابلـه ولخيلـه وغنمـه مـدى عـواء الكلـب لايشركه فيه غيره . فلما جاء الإسلام أبطل هـذه العـادة وقـال الرسـول عليه السلام «لاحمى إلا لله ورسوله» وكان يتسع هذا الحمى في عهـد عمر وعثمان حسب ازدياد حاجة الدولة فـاعترضوا ذلـك واعتـبروه مـن عثمان خروجاً عن السنة . وهذا أمر مشروع حسب حاجة الأمة .

١٤ـ أخرج من الشام أبا الدرداء رضي الله عنه . لنفس ظروف أبي ذر حيث كان زاهداً وكان يعترض الناس يحملهم على التزهد . فشكاه معاوية .

١٥ ـ أعطى خمس أفريقيا لواحد .

والصحيح أنه أعطى خمس الخمس لعبد الله بن أبي سرح جزاء جهـاده المشكور ثم عاد فاسترد ه منه لما وجد اعتراضاً من وفد كان معه .

موقف عثمان :

لما كثرت الإشاعات وذاعت الأكاذيب وانتشـرت الأبـاطيل دعـا عثمـان عماله بالأمصار أن يوافوه في موسم الحـج . فاستشـارهم فـي الأمـر واجمعـوا على أن الأمر مصنوع يصنع في السر فيلقـى إلـى غـير ذي المعرفـة فيخـبر بـه ويتحدث به في المجالس . ومادواء هؤلاء إلا القتل وطالبوه بالشدة وعدم اللـين والرفق به . ولاهم لهم إلا إذاعة الأكاذيب . فقال لهم عثمان : والله إن رحـى الفتنة لدائرة فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركهـا كفكفـوا النـاس وهبـوا لهـم حقوقهم وردّ الأمراء إلى أعمالهم ولم يأمر بشيء مما أشاروا به .

وقد عرض معاوية على عثمان أن يسير معه إلى الشام فأبى وقال والله لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء وان كان فيه قطع خيط عنقي فعرض عليـه أن يرسل له جندا يقيمون معه بالمدينـة مـن الشـام للمحافظـة عليـه فـأبى وقـال قولته الشهيرة :

لا أقتر على جيران رسول الله الأرزاق بجند تساكنهم وأضيق على أهل الهجرة والنصرة . .

مقتل عثمان رضي الله عنه :

أخذ رؤوس الفتنة يهيئون أنفسهم لتنفيذ الرحيل إلى المدينة ففي مصر مثلا كان محمد بن حذيفة يؤلب الناس على عثمان ويزور الكتب على لسان أزواج النبي بطريقة خبيثة لئيمة يأخذ الابل فيضمرها ويجعل رجالاً على ظهور البيوت في الفسطاط ووجوههم إلى الشمس لتلوح وجوههم تلويح المسافر ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق الحجاز بمصر ثم يرسل رسلاً يستقبلونهم فيأتون بهم إلى جامع عمرو في الفسطاط لتقرأ كتب ادعوا أنها من ازواج الرسول في شكوى عثمان . ارأيتم أبشع من هذا الدجل والتزوير على الله وعلى رسله وعلى خلفائه وعلى خَلق الله كي يبعثوهم ضد عثمان خليفة المسلمين؟؟

ولما تكاتب رؤوس الفتنة في الأمصار الثلاثة في مصر والكوفة والبصرة اتفقوا على أن يخرجوا من ديارهم ذاهبين للعمرة فيلتقوا في المدينة لإنجاز المهمة . وخرج أهل مصر في عدد بين الستمائة والألف تحت أمره الغافقي ابن حرب العكي ومعهم ابن السوداء (ابن سبأ) وخرج أهل الكوفة في عدد مثل عدد أهل مصر بأربعة فرق بإمرة عمرو بن الأصم . . وخرج اهل البصرة بمثل أعداد الكوفة واهل مصر . وجعلوا عليهم أميراً (حرقوص بن زهير السعدي) ولما وصلوا إلى المدينة ذهب جماعة من أهل مصر إلى علي يريدون أن يطلعوه كي يكون الخليفة بعد انجاز المهمة وجماعة إلى الزبير من أهل الكوفة لأنهم يريدونه هو أن يكون الخليفة وجماعة من أهل البصرة إلى طلحة ولكن الصحابة الثلاثة رفضوا ما عرض على كل منهم على حدة فتظاهر المتمردون بالقناعة وانهم سيرجعون من حيث أتوا إلى معسكرهم . واستغلوا

غفلة أهل المدينة فإذا بهم محيطون بعثمان . وطلبوا من الناس الابتعاد قائلين «من كف يده فهو آمن» فلزم الناس بيوتهم وذهب اليهم علي بن أبي طالب وسألهم عما يدفعهم لمثل عملهم . فرد المصريون باننا فوجئنا بكتاب مع البريد يدعو عامل مصر إلى قتلنا . . واجاب اهل البصرة والكوفة : جئنا ننصر إخواننا . ولما تعقبهم علي بالكلام وكيف علم أهل البصرة والكوفة بكتاب أهل مصر ادرك أن الأمر مدبر ومرتب له فطالبوه صراحة بقولهم : فليعتزلنا . ومنهم من قال : ان الله قد أحل لنا دمه . وطلبوا منه أن يذهب معهم ليبلغوا عثمان بعزله .

ولكن عليا تركهم وخرج من المدينة فذهب إليه وفد منهم ومنعوه من الصلاة بالجماعة وحصروه في بيته . وسألوه : عن أسباب ما ورد في كتاب أهل مصر؟ فقال : اقيموا عليّ شاهدين من المسلمين وإلا فيميني بالله لا اله إلا هو ماكتبت ولا أحللت ولاعلمت .

فقالوا : احللت دمك ونقضت العهد والميثاق . وطلبوا منه أن يخلع نفسه من الخلافة وهو يأبى . واستمر الحصار على عثمان واشتد عليه الأمر حتى منعوه الماء واستمر الحصار بين ٢٢ ـ ٤٠ يوماً ثم أحرقوا باب الدار ليكون كل شيء في الدار مكشوفاً وفي النهاية أمر الخليفة عثمان المدافعين عنه بالانصراف ومنهم أبناء كبار الصحابة ويقال انه دخل عليه عبد الله ابن عمر بعد أن اخبره عثمان بما يقول هؤلاء : اخلع نفسك . قال ابن عمر أمخلداً أنت؟ قال لا؟ قال : هل يزيدون على أن يقيلوك؟ قال : لا قال : هل يملكون لك جنة أو ناراً؟ قال : لا ، قال : فلا تخلع قميص الله فتكون سنة كلما كره قوم خليفتهم خلعوه أو قتلوه .

ثم قال عثمان لابن عمر : قم يا ابن عمر وخرج معه الحسن بن علي فدخلوا فقتلوه وهو يقرأ القرآن في سورة طه . وقطعوا أصابع زوجته وانتهبوا مافي البيت . ثم إلى بيت المال وانتهبوه . وقبلها قال عثمان : رأيت رسول

الله ﷺ البارحة فقال لي : يا عثمان أفطر عندنا غـدا واصبـح رضـي اللـه عنـه صائماً وقتل في ذلك اليوم «الجمعة ١٨ ذي الحجة ٣٥ هـ» .

وهكذا صدق عثمان حين قال : أن رسـول اللـه ﷺ عهـد إلـي عهـدا وانـا صابر عليه ، وصدق رسول الله ﷺ حين أخبر الرسول عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : ذكر رسول الله ﷺ فتنةً فمرَّ رجـل فقـال ﷺ : «يقتـل فيهـا هـذا المقنع يومئذ مظلوماً» .

قال عبد الله بن عمر فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان .

وبموت عثمـان رضـي اللـه عنـه زرعـت الفـتن جذورهـا فـي وحـدة امتنـا الإسلامية التي عزت بالاعتصام بحبل الله وعدنا بعدها كفـاراً يقتـل بعضنـا بعضاً غير آبهين بتحذير رسولنا الذي لاينطق عن الهوى حين قـال : لاتعـودوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض .

آراء الصحابة في فضل عثمان[1]

عن نافع عن عبد الله بن عمر بن الخطـاب قـال : «كنـا فـي زمـن النبـي لانعدل بـابي بكـر أحـداً ثـم عمـر ثـم عثمـان ثـم نـترك أصحـاب النبـي ﷺ لانفاضل بينهم» .

قال مبارك بن فضالة : سمعت عثمان يخطب وهو يقول : يا أيها النـاس مـا تنقمون عليَّ وما من يوم إلا وانتم تقسمون فيه خـيراً . وقـال الحسـن البصـري : شهدت منادي عثمان ينـادي : يـا أيهـا النـاس أغـدوا علـى أعطيـاتكم فيغـدون ويأخذونها وافية يا أيها الناس اغدوا على أرزاقكم فيغدون ويأخذونهاوافية حتـى والله سمعته أذناي يقول : اغدوا على كسوتكم فيأخذون الحلـل . واغـدوا علـى السمن والعسل ، وقال الحسن : أرزاق داره وخير كثير .

---

(١) العواصم من القواصم.

ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمناً إلا يوده وينصره ويألفه فلو صبر الناس على الأثرة لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق ولكنهم لم يصبروا وسلوا السيف مع من سل فصار عن الكفار مغمداً وعلى المسلمين مسلولاً . .

وقال ابن سيرين : «وكان معاصراً لعثمان : «كثر المال في زمن عثمان حتى بيعت الجارية بوزنها . وفرس بمائة ألف درهم . ونخلة بألف درهم . .» .

كان علي رضي الله عنه يقول : «اللهم العن قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل . . ثم ألا فليغنِ السفهاء عن أنفسهم» .

عن أبي هريرة قال : أيها الناس قد سمعت أذناي رسول الله ﷺ يقول : («تكون بعدي فتن وأحداث فقلت : وأين النجاء منها يا رسول الله؟ قال : الأمير وحزبه ، وأشار إلى عثمان) فقال القوم : لعثمان ائذن لنا فلنقاتل فقد أمكنتنا البصائر فقال عثمان عزمت على أحد كانت لي عليه طاعة ألا يقاتل» .

قيل هذا في دار عثمان يوم الحصار الأخير وفيها الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير وابن عمر وأبو هريرة وسعيد بن العاص . .

ـ دعا عثمان رضي الله عنه عبد الله بن عباس في آخر أيام حصاره وقال له : «أنت على موسم الحج فاذهب أميراً على الحج فقال ابن عباس : والله يا أمير المؤمنين لجهاد هؤلاء أحب اليّ من الحج ، فأقسم عليه لينطلقنّ ، فانطلق ابن عباس على الموسم تلك السنة» .

دخل علي رضي الله عنه على بناته وهن يمسحن عيونهن فقال : «مالكن تبكين؟ قلن : نبكي على عثمان فبكى وقال : ابكين .

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٨/٧) كان الحصار مستمراً من أواخر ذي القعدة إلى يوم الجمعة ١٨ من ذي الحجة . فلما كان قبل ذلك بيوم قال عثمان للذين عنده في الدار من المهاجرين والأنصار ، وكانوا قريباً من

سبعمائة فيهم : عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ومروان وأبو هريرة وخلق من مواليه ولو تركهم لمنعوه «أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق إلى منزله وقال لعبيده : من أغمد سيفه فهو حر» .

عبد الله بن الزبير قال لعثمان : «إنا معك في الدار عصابة مستبصرة ينصر الله بأقل منهم فأذن لنا فقال : أذكّر الله رجلاً أراق لي دمه» .

وقال سليط : «نهانا عثمان عن قتالهم فلو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم من أقطارها .

وظلت المدينة بعد مقتل الخليفة عثمان خمسة أيام،وأميرها القاتل رأس النفاق صاحب وفد مصر (الغافقي بن حرب) يبحثون عمن يجيبهم ويقبل الخلافة من كبار الصحابة فلم يجدوا . يأتي المصريون «علياً» فيختبئ منهم ويلوذ ببساتين المدينة . فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ منهم ومن مقالتهم مرة بعد مرة . ويأتي الكوفيون إلى الزبير فلا يجدونه فأرسلوا له حيث هو رسلاً فباعدهم وتبرأ منهم ومن مقالتهم . ويأتي البصريون طلحة فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقالتهم . فبعثوا إلى سعد بن أبي وقاص وقالوا : إنك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع فأقدم نبايعك ، فبعث إليهم : إني وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لي فيها ، ثم إنهم أتوا ابن عمر فقالوا : أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر فقال : إن لهذا الأمر انتقاماً والله لا أتعرض له فالتمسوا غيري»

(تاريخ الطبري ١٥٥/٥)

وموقف علي رضي الله عنه من قتله عثمان وأسباب تعامله معهم فهم كانوا أصحاب السطوة عند مبايعته بالخلافة في المدينة ولا سطوة غيرهم ويوم انتقل من المدينة إلى العراق ليكون على مقربة من الشام انتقل معه قتلة عثمان من البصريين والكوفيين ، فازدادوا قوة بوجودهم بين أهلهم وأشياعهم وقد تبرأ منهم يوم أراد الاتفاق مع أصحاب الجمل وقد قتلوا جميعاً في

معركة الجمل عدا واحداً واما بقيتهم من الكوفيين فكان علي رضي الله عنـه في حاجة إلى بأسهم حتى لا ينقلبوا عليه حتى كان الله لهم بالمرصاد وانتقم منهم بالقتل والنكال واحداً بعد الآخـر . ومـن طـال بهـم الأجـل إلـى زمـن الحجاج فقد كانت عاقبتهم سفك دمائهم جزاءا بما قدمت أيديهم .

الخليفة الرابع

علي بن أبي طالب
رضي الله عنه

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب على المدينة في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي»

(رواه البخاري ٣٥٠٤)

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «لما آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه جاءه علي تدمع عيناه فقال له: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد قال: فسمعت رسول الله ﷺ يقول له: أنت أخي في الدنيا والآخرة».

(رواه الترمزي وقال حديث حسن/ جامع الأصول جـ٨ ص٦٤٩)

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «كان علي قد تخلف عن النبي في خيبر وكان رمداً فقال: أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ؟ فخرج فلحق بالنبي ﷺ فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله ﷺ لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله، فإذا نحن بعلي - وما نرجوه - فقالوا: هذا علي فأعطاه رسول الله ﷺ الراية «(بعد أن عالج رمد عينيه ففتح الله عليه)»
(أخرجه البخاري ومسلم)

الخليفة الرابع
علي بن أبي طالب
رضي الله عنه

عن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري قال: «خرجت مع أبي إلى ينبع عائداً لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان مريضاً بها حتى ثقل فقال له أبي: ما يقيمك بهذا المنزل؟ ولو متَّ لم يَلِكَ إلاَّ أعراب جهينة؟ احتمل حتى تأتي المدينة فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك، وكان أبو فضالة رضي الله عنه من أصحاب بدر فقال عليٌّ: إني لست ميتاً من وجعي هذا، إن رسول الله ﷺ عهد الي أن لا أموت حتى أؤمَّر ثم تخضب هذه — يعني لحيته ـ من دم هذه ـ يعني هامته»

(الكنز ٥/٥٩)

وأخرج الحميدي والبزار وأبو يعلي وابن حيان والحاكم وغيرهم عن علي رضي الله عنه قال: «أتاني عبد الله بن سلام رضي الله عنه وقد أدخلت رجلي في الفرز ـ أي الركاب ـ فقال لي: أين تريد؟ فقلت: العراق. فال: أما أنك إن جئتها ليصيبنك بها ذباب السيف ـ حد السيف — قال علي: وأيم الله لقد سمعت النبي ﷺ قبله يقوله»

(الكنز ٥/٩٥)

عن أبن سعد وابن نعيم عن أبي الطفيل قال: «كنت عند علي بن أبي طالب فأتاه عبد الرحمن بن ملجم فأمر له بعطائه ثم قال: ما يحبس أشقاها أن يخضبها من أعلاها ـ يخضب هذه من هذه وأومأ إلى لحيته»

ثم قال علي:

اشـــدد حيـــازيمك للمــــوت فــــــان المـــــوت آتيكــــــــا
ولا تجـــــزع مـــــن القتـــــل إذا حـــــــل بواديكـــــــــا[1]

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «خلّف رسول الله ﷺ علـي بن أبي طـالب فـي غزوة تبـوك فقـال: يـا رسـول اللـه تخلفنـي فـي النسـاء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنـه لا نبي بعدي؟».

(م/٧/١٢٠)

أخرج الترمزي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «آخى رسـول اللـه ﷺ بين أصحابه فجاء عليّ تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحـابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فقال رسول الله ﷺ: أنت أخي في الدنيا والآخرة»

وروى الإمام أحمد في سنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن رحى الإسلام ستزول لخمس وثلاثـين أو سـبع وثلاثـين، فإن تهلك فسبيل من هلك وأن يقم لهم دينهم يقم سبعين عاماً. قـال: قـال عمر: يا رسول الله أبما مضى أم بما بقي؟ قال: بل بما بقي».

وفيه إشارة إلى قتل عثمان في سـنة ٣٥، وفتنـة علـي ٣٦-٣٧، وملـك بني أمية يستقر سبعين سنة

(ابن كثير ٦/٢٠٦)

علي بن أبي طالب ﷺ:

قال له رسول الله ﷺ: «أنت أخي في الدنيا والآخرة» هذا هـو علـي بـن أبي طالب كرم الله وجهه أسلم وهو صبي ولـم يسجد لصنم فقالوا فيه: «كـرم

(١) حياة الصحابة جـ٣ ص٦٦

الله وجهه» عاش في كنف رسول الله عليه الصلاة والسلام وتربى في بيته الكريم ونهل من أخلاق الرسول مباشرة دون وسيط منذ نعومة أظفاره حتى وفاته . . من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله فهو الشاب الذي نشأ في طاعة الله ، وكيف لا؟ وهو الذي ضحى بروحه واستسلم لأمر رسول الله عليه السلام وهو موقن بالموت يوم نام في فراش الرسول ليلة الهجرة وتركه ليؤدي للناس أماناتهم التي كانت مودعة عند رسول الله الأمين عليه السلام فكان الفدائي الأول الذي نفذ أمر قائده عن طيب نفس ورضي وكان المؤمن الذي تغلغل الإيمان في قلبه حتى أحب الله ورسوله أكثر مما سواهما وكان المسلم الصادق الذي يقول ويفعل بشجاعة وإيمان خالص . قال له رسول الله ﷺ يوم خلفه في غزوة تبوك في المدينة : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي؟ فتح الله على يديه خيبر المنيعة الحصينة بمكائد اليهود وحرصهم على الحياة حتى طوعوا الحصون والجبال لتا ؤ عنهم بحجارتها ووعورتها . سلمه رسول الله رايته بعد أن عالجه من مرض في عينيه وقال فيه : (إنه يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله) ففتح الله على يديه . والبسه النبي عليه السلام درعه وأرسله إلى خيبر وما أدراك ما خيبر . . فما هي إلا الأيام حتى رفرفت عليها رايات الإسلام خفاقة بـــ لا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا نعبد إلا إياه .

زوجه الرسول عليه السلام ابنته فاطمة ، وقال له مبتسماً في وجهه : «إن الله عز وجل أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعة مثقال فضة . أرضيت؟ قال : قد رضيت بذلك يا رسول الله» .

جمع رسول الله ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وقرأ عليهم قوله تعالى «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» .

بعد أن أمضى في مكة ثلاث ليال سلم فيها كل ذي وديعة وديعته كان

على شوق أن يلحق برسول الله في المدينة فبدأ رحلة العـذاب والشـتاء مشـياً على الأقدام لأنه لـم يكن يملك مطية يركبها فكان يكمن في النهار ويسير في الليل وحيداً عامراً قلبه بحب الله ورسوله الذي هانت معه المشـقات وعذبـت الشدائد وطويت المسافات حتـى وصـل المدينـة ، وصلهـا منهكـاً قـد أخـذت حجارة الطريق من قدميه طاقتهما ، حتى أنه لـم يستطع أن يصل الرسول فـي المدينة فأتاه النبي عليه السلام واعتنقه وبكى رحمـة لما كـانت عليـه حالتـه وقدماه من تورم وجروح ، ومسـح عليهـا مـن ريقـه الكريـم حتـى برئـت وزال وجعها دون رجعة .

وهدأت نفسه وطابت حياته ومازالت آلامه بلقـاء حبيبـه عليـه السـلام . كيف لا يبشر علي رضي الله عنه بالجنة بعد هذه الرحلة وهذا الوفـاء لرسـول الله؟؟

جاد بطعامه وطعام فاطمة وهما في أمس الحاجة إليـه ليفطـرا عليـه مـرة لمسكين ومرة ليتيم ، ومرة لأسير ، ويكتفيـان بالماء ويواصـلان صومهمـا علـى الماء ، فعلم الرسول بذلك فيقول لهما مبشراً : «أبشرا بمغفرة اللـه ورضـاه عـن فعلكما ، فإن أمين الوحي جبريل قد جاء الي الليلة بآيـة تبشـرني بمـا فعلتمـا «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجـه اللـه لا نريد منكم جزاءاً ولا شكوراً» رضي الله عن الإمام علـي وكـرم اللـه وجهـه ، فقد تربى في بيت النبوة ، ونهل منه مكارم الأخلاق .

وكان ذا فصاحة وبلاغة وحكمة نادرة تأخذ بالألباب وتستقر في القلوب فتهدي العاصين وتغني عن الدنيـا الزاهديـن وتعمـر بـالأمل فـي اللـه قلـوب القانطين وترضي نفوس الجاحدين ، فيقبلوا على الله والإسلام قانعين هـادين مهديين .

شخصية علي بن أبي طالب :

أما عن شخصية الخليفة الرابع أمير المؤمنين علـي بـن أبـي طـالب فهـذه ملامحها تبدو من خلال أقوالـه وأفعالـه وصـدق إيمانـه وفصاحـة لسـانه فهـو المسلم الصغير يحفظ سر رسول الله الذي عاش معـه فيـه ، فيـوم دخـل علـي الصبي إلى بيت سيده رسـول اللـه ووجـده يصلـي مـع خديجـة وسـأل عمـا يفعلان؟ أخبره رسول الله عليه السلام بأنه الإسـلام للـه رب العـالمين ودعـاه إلى الإيمان وطلـب منـه أن يكتـم عنهمـا حتـى يفتـح اللـه عليـه بالإسـلام ، وأمضى (علي الصبي) ليلته في دهشة مما رأى وسمع حتـى جـاء إلـى رسـول الله خاشعاً قلبه مسلماً أمره إليه ، فأعلن إسلامه كما علمه رسول اللـه عليـه السلام . فكان الوحي يوم الاثنين وكان إسلام علـي يـوم الثلاثـاء ، وكـان أول صبي دخلت قلبه الشـهادتان وصـار مـع رسـول اللـه يصلـي جماعـة . وهـذه فضيلة لعلي رضي الله عنه سبق بها غيره .

ولقد كان علي رضي الله عنه على خلق عظيـم اسـتقاه مـن رسـول اللـه ورضع على أيدي النبي وخديجة أم المؤمنين حتى ارتضاه أخـاً لـه فـي الدنيـا والآخرة ، وجعله منه بمنزلة هارون من موسى .

ولقد كان واحداً من فرسان العرب المعدودين تشهد له الميـادين والمواقـف الخـالدة بمـا وهبـه اللـه مـن الشـجاعة وقـوة القلـب وصـدق الإيمـان وحسـن الإسلام . في معركة بدر كان علي من الثلاثة الذين انتدبهـم رسـول اللـه ﷺ لمبارزة أمثالهم من عتاولة الشرك وصنـاديد الكفـر . ومـا هـي إلا جولـة حتـى صال فيها علي رضي الله عنه على خصمه «الوليد بـن عتبـة» مثـال الشـهرة والبأس في أقرانه من قريش حتى صرعه وأرداه ذليلاً صاغراً ذلت معه قلـوب المشركين على كثرتهم وعزت به قلوب المؤمنين على قلتهم .

وفي غزوة أحد كان علي من المتصدين للدفاع عن رسول اللـه ﷺ ببسـالة

نادرة ورجولة كاملة وسطوة لا تعرف التردد وعزيمة فتاكة ولما سقط اللواء من يد مصعب بعد استشهاده سلمه رسول الله عليه السلام لعلي فتى فتيان المسلمين.فرفعه ودافع عنه ولم يسقط من يده رغم انقلاب الحال على المسلمين واختلاط الأمور واضطراب الوضع وهزيمة المسلمين ، ظل اللواء مرفوعاً بيد علي رضي الله عنه بما يبعث في نفوس المسلمين الأمل بالنصر والقدرة على الثبات . وهو يومئذ لم يبلغ العشرين من عمره .

وفي غزوة الخندق برز له من المشركين صنديد صلف لا يعرف قلبه الرحمة كأنه قطع من حجارة الجبال السوداء في مكة وهو أشد العرب بأساً وقوة وعناداً وأكثر فرسان الجزيرة شهرة فعندما أخذ يفت في عضد المسلمين ويهزمهم معنوياً : هل من مبارز؟ هل من شجاع يثق بنفسه يذوق على يدي طعم الموت؟ إنه «عمرو بن ود العامري» وما هي إلا لحظات حتى أذن رسول الله عليه السلام لفتى فتيان الإسلام علي بن أبي طالب ، وظهر له في الميدان متحدياً معتزاً بقوة الإيمان التي تتزعزع أمامها الجبال الرواسي ، وببركة دعاء النبي عليه السلام له حيث شحنه وشحذه ملبياً رغبته في التصدي لهذا الكافر وإمعاناً من عمرو بن ود في صلفه وغروره استصغر علياً واستكبر عن مبارزته ، وما هي إلا صولات بالكلام أولاً من علي استثار بها غرور هذا الصنديد حتى بدأت السيوف على التروس تقرع وأين من رشاقة الشباب وخفة حركاتهم ، حركات (ابن ود) صنديد الشرك . فمر بطلنا حوله جولات أطارت صوابه وأفقدته الثقة بنفسه فهزم من داخلها وإذا به تحت ضربات الإيمان بيد علي طريحاً على الأرض أولاً ثم صريعاً آخراً ، وكانت هذه بداية البشائر للمسلمين بالنصر على الأحزاب الذين تجمعوا من كل صقع ليضربوا ضربتهم في عقر دار الإسلام بعد حصارها مدة طويلة وخيانة اليهود من وراء المسلمين . وكانت معركة ردت للمسلمين شعورهم بعزة الله ورسوله والمؤمنين وقطعت على المشركين بأحزابهم وكثرة قبائلهم وقوة عتادهم نشوة الفخر والإعتزاز والثقة بالنصر . فكبر المؤمنون هادرين (الله أكبر صدق وعده ، وأعز

جنده ، وهزم الأحزاب وحده) .

وكان في غزوة خيبر مريضاً في عينيه ، فسأل عنه رسول الله فأخبر بأنه مريض فدعاه ومسح على عينيه وقال : «لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يده» . قال عمر : «ما أحببت الامارة إلا يومئذ وتساورت لها رجاء أن أدعى لها» .

وكان علي راضياً بقضاء الله لا يرده عنه تردد أو خوف ، فقد علم أن موته سيكون في العراق بضربة في هامته تخضب من دمها لحيته ومع كل هذا سار إلى العراق مقبلاً على الشهادة وهو موقن بمن سيقتله «عبد الرحمن بن ملجم» من الخوارج ، ورغم تحذير الناس له حتى لقي الله شهيداً راضياً مرضياً .

سأل علي رضي الله عنه رسول الله ﷺ : «من أشقى الأولين؟ قال : عاقر الناقة . قال فمن أشقى الآخرين؟ قال : قاتلك» . وكان علي كرم الله وجهه مقدراً لصاحبيه أبي بكر وعمر ، قال في ذلك : عن زيد بن وهب أن سويد بن غفلة دخل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال :«يا أمير المؤمنين إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بغير الذي هما له أهل ، فنهض فرقي المنبر فقال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما إلاّ مؤمن فاضل ولا يبغضهما إلا شقي مارق ، فحبهما قربة وبغضهما مروق ، ما بال أقوام يذكرون أخوي رسول الله ﷺ ووزيريه وصاحبيه وسيدي قريش وأبوي المسلمين؟ فأنا بريء ممن يذكرهما بسوء» .

وقال فتى من بني هاشم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حين انصرف من صفين : «سمعتك تخطب يا أمير المؤمنين في الجمعة تقول : اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين فمن هم؟ فاغرورقت عيناه ثم قال : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ـ إماما الهدى وشيخا الإسلام والمهتدى بهما بعد رسول الله ﷺ من اتبعهما هدي إلى صراط مستقيم ومن اقتدى

بهما يرشد ، ومن تمسك بهما فهو من حزب الله وحزب الله هم المفلحون»[1] .

وهذا قليل من كثير يا أخي المؤمن فإياك أن تصدق هؤلاء الحاقدين على وحدة أمتنا الإسلامية ممثلة بحب صحابة رسول الله وخلفائه الراشدين لبعضهم بحيث لا ينفذ من هذه المحبة والألفة والأخوة والتقدير والإكبار لبعضهم افتراء كذاب أو وشاية دجال مهما طالت لحيته فإنما هو بلسان الشيطان ينطق وعلي منه براء .

مبايعة علي بالخلافة :

بقيت المدينة من غير خليفة مدة خمسة أيام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ورأينا كيف أن رؤوس الفتنة كانوا مختلفين في اختيار الخليفة الذي سيحل محل عثمان رضي الله عنه فأهل مصر لعلي ، وأهل الكوفة للزبير ، وأهل البصرة لطلحة . ولكن الصحابة الأجلاء رفضوا أن يقبلوا هذه الخلافة عن يد قتلة طغاة خارجين عن وحدة الإسلام ومطلوبين للقصاص والعدالة ، وكانت المدينة قد خلت من كبار الصحابة إما هروباً من الفتنة وإما إنشغالاً بالجهاد وحماية الثغور وقليل منهم كان في المدينة ، وكثير من الباقين كان مع عثمان بقلبه ولسانه . وكان القتلة يبحثون عمن يليق بالخلافة ويصلي بالناس أميرهم الغافقي موهمين الناس أنهم قائمون على الحق لتصحيح المسيرة وليس لهم أطماع ـ خلاف الحقيقة والواقع ـ وكان هم أهل الحل والعقد وأصحاب الأمر والنهي ، وكانوا يخشون إذا طالت فترة الفراغ من «الخليفة» انقلب الناس عليهم وفتكوا بهم قبل أن يعودوا إلى مواطنهم وأمصارهم ، لذلك لجأوا إلى التهديد بقتل علي وطلحة والزبير إن لم يتفق أهل المدينة على خليفة خلال يومين . فذهب الناس إلى علي رضي الله عنه وتكاثروا عليه وأجبروه

---

(١) حياة الصحابة جـ٣ ص٤٧٠

على قبول الخلافة وانقاذ الأمة واخماد نيران الفتنة . وما زالوا به حتى استجاب علي لإلحاح المسلمين ثم أحضر أهل البصرة الزبير بن العوام والسيف على رأسه ، وأحضر أهل الكوفة طلحة والسيف على رأسه واجتمعوا أمام علي : فبايعا علياً مقرين له بأنه أحق وبايعه بقية الناس في المدينة حين اجتمعوا في المسجد ، ولم يكن أمام علي خيار آخر إلا أن أراد أن يمزق شمل الامة ويفتت انجازات الرسول علي السلام ووزيريه أبي بكر وعمر ، ولم يكن حقيقة في هذا الوقت من يصلح للخلافة غير علي رضي الله عنه ، وقد تخلت كثير من المهاجرين والأنصار عن البيعة ومنهم : سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر وصهيب بن سنان وأسامة ابن زيد والمغيرة بن شعبة وحسان بن ثابت وأبو سعيد الخدري ، ومن كان في المدينة من بني أمية وغيرههم الكثير وهذا في بادئ الأمر لكنهم بايعوه بعد استقرار الأمور إلا من كان خارج المدينة .

أول خطبة لعلي :

بعد أن بايع الناس علياً رضي الله عنه صعد المنبر وحمد الله واثنى وقال : «إن الله عز وجل أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعو الشر ، الفرائض أدوها إلى الله سبحانه يؤدكم إلى الجنة ، إن الله حرم حرماً غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالإخلاص والتوحيد المسلمين ، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق ، ولا يحلُ أذى المسلم إلا بما يحب ، بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت فإن الناس أمامكم ، وإنما من خلفكم الساعة تحدوكم ، تخففوا تلحقوا ، فإنما ينتظر الناس أخراهم ، اتقوا الله في عباده وبلاده ، إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم ، أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه ، وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض»[1]

---

(١) حياة الصحابة جـ٣ ص٤٥٧

وما أن أتمّ علي أمير المؤمنين خطبته ، ورجع إلى بيته حتى جاءه جماعة من الصحابة منهم طلحة والزبير وقالوا له : يا امير المؤمنين إن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم وكنا قد اشترطنا اقامة الحدود . فقال لهم : إني لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم ، ها هم أولاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابكم ، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا ، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا : لا . قال : إن الناس من هذا الأمر إن حرك على أمور : فرقة ترى ما ترون ، وفرقة لا ترى ما ترون ، وفرقةلا مع هذا ولا مع هذا ، اهدأوا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا [١]

وكان أمير المؤمنين على حق فيما طرح لأن رؤوس الفتنة ما زالت قائمة وازدادت بأساً وشراسة وليس له إلا أن يتعامل مع الواقع حتى تحين الفرصة ويفعل الله أمراً كان مفعولاً . وهدأت الأحوال في المدينة ليبدأ أمير المؤمنين في اتخاذ اجراءاته لتطويق الفتنة والقضاء عليها والتخلص من أخطارها فبدأ أمير المؤمنين بتغيير الولاة الذين كانوا في عهد عثمان وخاصة منهم من ذكر الناس أسماءهم في أنهم ملومون في بعض المآخذ ومن أهمهم معاوية والي الشام ، وعبد الله بن عامر والي البصرة ، وسعيد بن العاص والي الكوفة ، ويعلي بن منية والي اليمن . وكان له اجتهاده في ذلك حتى لا يكونوا مراكز فتن جديدة في المستقبل . رغم نصائح المقربين لعلي رضي الله عنه مثل المغيرة بن شعبة وعبد الله بن عباس . وأخذ علي رضي الله عنه يوجه عماله إلى الأمصار فاعتذر عبد الله بن عباس عن ذهابه إلى الشام بدلاً من معاوية ، وتوجه الباقون إلى البصرة والي الكوفة والي الشام والي مصر أما والي الشام الجديد سهيل بن حنيف فرجع إلى علي دون أن يصل الشام حيث أرجعوه من تبوك . وأما والي مصر فدخلها ولكنه وجد الناس متفرقين ولم

---

(١) محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية، الدولة الأموية ص٥٠

يستطع أن يجمع كلمتهم على أمير المؤمنين علي فكتب إليه بذلك وأما والي اليمن فقد دخلها دون منازع بعد أن وجدوا واليها السابق يلجأ إلى مكة بما جمعه الجباة من مال . وأما والي البصرة فدخلها أيضاً لأنه لم يجد بها والياً حيث خرج منها . ولكنه وجدها فرقاً متنافرة جمع منها فرقة لعلي ولم يستطع من الباقين . وأما والي الكوفة فرجع قبل أن يدخلها .

وهكذا نرى أن الأمور تنذر بخطر شديد وفتن أقوى من فتنة عثمان عندها دعا الخليفة طلحة والزبير وعرض عليهما الأمر وأوضح لهما نذر الفتن المدمرة وأخبرهما بأنه سيعالج الأمور بالحكمة واللين أولاً ، فإذا لم يفلح لجأ إلى القوة . وحصرت الأخطار في الشام حيث معاوية بن أبي سفيان وحيث تماسك جبهته وتأييد الرعية له على عكس بقية الولايات التي هدأت نوعاً ما أو كادت .

علي ومعاوية :

أرسل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رسالة إلى معاوية بالشام ، ولكن معاوية أرجأ الرد عليها ثلاثة أشهر حتى يستبين الأمور ، وبعدها أرسل بالرد مع عامله إلى علي رضي الله عنه في المدينة ، وسمع معاوية بخروج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ومعها طلحة والزبير من مكة المكرمة في جيش بلغ عدده ثلاثة آلاف مطالبين بدمٍ عثمان ، فتوجهوا إلى البصرة . وكان علي رضي الله عنه قد غير خطته بدلاً من التوجه إلى الشام توجه إلى العراق ليواجه هؤلاء الخارجين عليه . . هنا رأى معاوية أن الأمور لا تسير لصالح علي رضي الله عنه ، فرفض مبايعته وقرر المواجهة واستغل وصول قميص عثمان مضمخاً بدمه ومعه بقية أصابع زوجته نائلة فعلقها على المنبر ليستثير الناس مطالباً بأخذ القصاص من هؤلاء القتلة .

ولما علم علي رضي الله عنه باستعداد أهل الشام قال : «اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان» ، ثم أمر بالخروج إلى الشام .

وكتب إلى أمراء الأقاليم يستنفرهم لحرب أهل الشام ويحرضون الناس على الخروج لنصرة الخليفة وتجهيزهم ودعا أهل المدينة لذلك ، وجهز الخليفة جيشه دون أن يسلم أحداً من القتلة شيئاً من مناصب الجيش أو أمور الناس وهنا دخل عليه ابنه الحسن رضي الله عنه وقال له : يا أبت دع هذا فإن فيه سفك دماء المسلمين ، ووقوع الاختلاف بينهم . وكذلك حاول أهل المدينة أن يثنوا علياً رضي الله عنه عن قتال أهل الشام ، ولكن الخليفة كانت له وجهة نظر أخرى هي أن هؤلاء قد بالغوا في التأثير على الناس وأنهم قد يتجرأون على غزو المدينة ، فرأى أن يقطع عليهم الطريق ويضربهم في مهدهم .

خروج أمير المؤمنين بالجيش :

رأى الخليفة أن توجه أم المؤمنين عائشة ومعها طلحة والزبير إلى البصرة للمطالبة بدم عثمان من هناك ـ وبقيت أمهات المؤمنين في مكة ـ رأى في ذلك تهديداً عاجلاً يجب مجابهته وأعد الجيش للخروج واستخلف على المدينة تمام بن عباس وعلى مكة قثم بن عباس في آخر شهر ربيع الآخر سنة ٣٦هـ . وهنا تدخل أشراف الأنصار ودخلوا على أمير المؤمنين وقال قائلهم : إن الذي يفوتك يا أمير المؤمنين من الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ والسعي بين قبره ومنبره أعظم مما ترجوه من العراق ، فإن كنت تسير إنما تسير لحرب الشام ، فقد أقام عمر فينا وكفاه سعد زحف القادسية ، وأبو موسى زحف الأهواز وليس من هؤلاء رجل إلا ومعك مثله والرجال أشباه والأيام دول .

فقال علي رضي الله عنه : «إن الأموال والرجال بالعراق ، ولأهل الشام وثبة أحب أن أكون قريباً منها» . وأمر الجيش بالمسير .

وقد وصله نبأ دخول جيش طلحة والزبير البصرة وقتلهم عامله واستيلائهم على بيت المال فقال : «اللهم عافني مما ابتليت به طلحة والزبير من قتل المسلمين» .

وتحرك بالجيش حتى وصل الربدة ، فأرسل إلى أهل الكوفة يطلب منهم أن ينفروا إلى معاونته على المخالفين ، ولما وصلت الرسل إلى الكوفة جاء الناس إلى أميرهم أبي موسى الأشعري فخطب فيهم بأن يغمدوا السيوف حتى تنجلي الغمة وتزول شرور الفتنة ، وكان وفد أمير المؤمنين : الحسن بن علي وعمار بن ياسر . وقام القعقاع بن عمرو فخطب في الناس بأن يخرجوا مع أمير المؤمنين فأقسم الناس بين خارج وقاعد ومنتظر ماذا يكون وقال الحسن : إني خارج فمن شاء أن يخرج معي على الظهر أو الماء .

ولما أصبح الحسن وجد الناس قد خرجوا معه وكان عددهم تسعة آلاف فقط فوافوا علياً بذي قار قبل أن يرتحل وخطب فيهم : «إن يرجع اخواننا من أهل البصرة فذاك الذي نريده وإن أبوا داويناهم بالرفق حتى يبدأوا بظلمنا ولم ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه فساد» . وأرسل أمير المؤمنين القعقاع مبعوثاً إلى طلحة والزبير وأم المؤمنين واستطاع القعقاع أن يصل إلى اتفاق معهم وقالوا له : «أصبت وأحسنت فارجع فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح الأمر» فوافق أمير المؤمنين وقرر الخروج .

وخرج أمير المؤمنين وقال : «ألا وإني راحل غداً فارتحلوا ولا يرتحلن أحد أعان على عثمان بشيء من أمور الناس وليغنِ السفهاء عني أنفسهم»

معركة الجمل :

سميت المعركة (بمعركة الجمل) لأنها دارت حول جمل أم المؤمنين عائشة الذي كان يحمل هودجها ، وكانت قد ثارت على قتلة عثمان تريد اقامة الحد عليهم والانتقام من كل من شايعهم خاصة وإنهم ظلوا أحياء وكانوا دوي سلطان وسطوة وتأثير في الأحداث ، وتدخل مباشرة في الخلافة ، فخرجت من مكة ومعها طلحة والزبير يقودون ثلاثة آلاف من المهاجرين والأنصار والمسلمين متوجهين إلى البصرة فاقتحموها وقتلوا منها خلقاً كثيراً من أشياع قتلة عثمان . وكانت عائشة رضي الله عنها قد مرت

على مكان يسمى الحوأب مكان فيه ماء فلما سألت عنه الدليل قالوا لها إنه الحوأب ، فانتابها شعور بالحزن والألم وصرخت قائلة : «إنا لله وإنا إليه راجعون إني لهية» سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه : «ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب» ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته وقالت : «ردوني أنا والله صاحبة ماء الحوأب . فأناخوا حولها يوماً وليلة فقال لها عبد الله بن الزبير : «النجاء النجاء لقد أدرككم علي بن أبي طالب فارتحلوا نحو البصرة . صدق رسول الله ﷺ ما ينطق عن الهوى . فهل بعد هذا تبقى عائشة بحماسها للحرب كما كانت في مكة؟؟ لا شك أنها تغيرت في نظرتها للأمور وأنها تريد العودة إلى المدينة ولا ينبغي لها أن تكون في هذا الموقف في صراع المسلمين بعضهم بعضاً ولكن ماذا جرى؟

قبلت أم المؤمنين رضي الله عنها وقبل الزبير وقبل طلحة والمسلمون معهم بالصلح وأخذوا ينتظرون حضور علي رضي الله عنه ليتمموا المصالحة ويوقفوا سفك الدم . وحضر علي رضي الله عنه بجيش كبير ليشهد المصالحة والقضاء على الفتنة ، وكان علي رضي الله عنه قد خطب في الناس قبل أن يحضر ، وقال قولته التي تدل على تبرئته من قتلة عثمان وعدم رغبته فيمن هم معه في الجيش منهم : «إلا لا يرتحلن غداً أحد اعان على قتل عثمان بشيء في شيء من أمورالناس وليغنِ السفهاء عني أنفسهم» ، فلما سمع رؤوس الفتنة قول علي رضي الله عنه ثارت في نفوسهم الأحقاد وأدركوا أنهم سيكونون هدف الطرفين إذا تصالحوا ، وأن علياً وأم المؤمنين والمسلمين مجمعون على الإنتقام منهم ، ولكن حين تحين الفرصة ، ولن يكون هذا إلا باستقرار الأوضاع للخليفة ومعه المسلمون عامة . فتدارسوا الأمر بينهم وكان رأي ابن السوداء عبد الله بن سبأ ، هو تفويت الفرصة على المتصالحين وإشعال نار الحرب بينهم وإجبارهم على القتال دون أن يدروا إلا والنار تحرق الطرفين والسيوف تجز الرقاب . وأعدوا لذلك عدتهم بإتقان وخبث شديدين ، فلما التقى الجمعان أمير المؤمنين وطلحة والزبير وجهاً لوجه ومعهم أم المؤمنين

في هدأة القلوب وسكون النفوس ، حاول أتباع الشيطان أن يغروا طلحة باستغلال هذه الفرصة ويميلوا على قتلة عثمان فيتخلصوا منهم لأنهم كانوا مميزين بفرقة السبئية في جيش علي . ولكن الزبير وطلحة فوتا الفرصة على رأس الفتنة ولم يشاءا أن ينقضا الوعد مع أمير المؤمنين ، هذه واحدة ، واقتربت رؤوس الخيول حتى العناق ، ودار حوار هادئ بين أمير المؤمنين وطلحة والزبير بأنكما بايعتماني وأقررتما خلافتي وقال للزبير : «يا زبير نشدتك الله أتذكر يوم مر بك رسول الله ﷺ ونحن في مكان كذا فقال : (يا زبير ألا تحب علياً) فقلت : ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني؟ فقال الرسول : «يا زبير أما والله لتقاتلنه وأنت ظالم له» ، فتذكر الزبير وقال : «لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله ، والله لا أقاتلك» ورجع الزبير وطلب من ابنه عبد الله أن ينصرف معه ، ولكن عبد الله بن الزبير قال : «والله لا أرجع أو يحكم الله بيننا» .

وانصرف الزبير نحو البصرة ليتزود منها ثم يعود إلى المدينة غير راض بظلم علي إن قاتل في هذه الحرب بعد أن سمع حديث الرسول . ولما أوشك القوم أن يعقدوا الصلح كانت أركان الفتنة قد عملت سيوفها في جيش البصرة واشتعلت الحرب دون أن يدري أحد من وراءها والكل يحاول اسكاتها ، أمير المؤمنين من جانب وأم المؤمنين طلبت من القاضي كعب بن سور أن يحمل المصحف بين المتقاتلين ليوقفوا القتال ولكنهم قتلوه . ثم لما ظهرت أم المؤمنين بهودجها على جملها انهالت عليها سهام القتلة ، ولولا أن الهودج كان مدرعاً بالدروع حوله لهلكت ، واشتد أوار المعركة وأحاط الناس بالجمل يمسكون بخطامه حتى سقط العشرات من المدافعين عن الجمل ، وذهب القتلة إلى أمير المؤمنين وأقنعوه بأن ما جرى كان من جيش البصرة ، حتى أمر بعقر الجمل ، وسقطت عائشة بهودجها وسط آلاف القتلى والجرحى ومنهم الزبير وطلحة وغيرهم من حفظة القرآن وكبار الصحابة ، فحملوها إلى مكان آمن وذهب بها أخوها محمد بن أبي بكر إلى دار زارها فيها علي أمير المؤمنين بعد أن أقبل عليها وجوه الناس ومنهم القعقاع بن

عمرو . وبسقوط الجمل واختفاء أم المؤمنين من ميدان المعركة توقفت الحرب ، فكان علي رضي الله عنه ملهماً ومصيباً يوم أمر بعقر الجمل واطفاء نار الحماس بين المسلمين برؤيتهم أم المؤمنين بين مدافع عنها ومستشهد في سبيل الدفاع عن أم المؤمنين زوجة رسول الله وابنة خليفته الأول أبي بكر الصديق ، وبين حاقد عليها يرد الخلاص منها وهم القتلة الذين كانوا يرون فيها مطالباً بدمائهم وصوبوا على هودجها سهامهم حتى قيل إنه صار كالقنفذ لكثرة السهام فيه . وانتهت المعركة وقد بلغ عدد القتلى فيها من المسلمين من الجانبين عشرة آلاف قتيل ، وكان أمير المؤمنين يمر على القتلى ويقول : ﴿انا لله وانا إليه راجعون﴾ ، ويقال أن أهل المدينة عرفوا بخبر المعركة بواسطة النسور التي جاءت إليهم تحمل الأكف حتى عرفوا كف عبد الرحمن بن عتاب من خلال خاتمه المنقوش عليه اسمه .

وودع علي رضي الله عنه أم المؤمنين عائشة بعد أن جهزها بكل ما يجب من مركب وزاد ومرافقات من نساء المسلمين بلغ عددهن أربعين ومعها أخوها محمد بن أبي بكر ومن شاء أن يرجع من المسلمين الذين جاؤوا معها إلى مكة .

وعند الوداع قالت لعلي : «يا بني لا يعتب بعضنا على بعض إنه والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها وإنه على معتبتي لمن الأخيار» .

فأجابها علي : «صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة» .

وودعها إلى مكة حيث أقامت حتى موسم الحج ثم رجعت إلى المدينة في العام نفسه .

وهكذا راينا أن الجميع جانب أم المؤمنين وطلحة والزبير ومن معهم من المسلمين وجانب الإمام علي رضي الله عنه ومعه من المسلمين كل اجتهد

حرصاً منه على تصحيح الوضع وارجاع الأمور إلى نصابها وإعادة هيبة الأمة الإسلامية إلى طبيعتها بعد فتنة مقتل عثمان ، وليس لغرض دنيوي أو شخصي وحاشا لله وهم من السابقين في الإسلام وأهل البيت وأصحاب الرسول . ولكن رؤوس الفتنة هم الذين عبثوا بهذه الأمة العظيمة بخطط مدروسة ومؤامرات محكمة أدارها اليهود بقيادة ابن سبأ وأشياعه من المنافقين والأعراب حتى مزقوا الأمة وأشغلوها عن الفتوحات وانجاز النصر في كل مكان وقطعوا أوصالها وشاعت الفتنة حتى لم يدر المؤمن أين الحق؟ . كما حدث في قضائهم على خطة المصالحة بين علي أمير المؤمنين وبين أم المؤمنين وطلحة والزبير ، وكان المسلمون فيها قد ألقوا سلاحهم وملأوا قلوبهم حباً لبعضهم حتى اجتمعوا مضر البصرة مع مضر الكوفة ، وما زالت أسباب الفرقة والتقى القبائل بأطرافها وعادت للإسلام عزته لولا أن الفتنة اشتعلت بإحكام من أعوان الشيطان القتلة .

وبانتهاء المعركة وعودة أم المؤمنين بايع أهل البصرة علياً وأصبحوا طائعين بولائهم لأمير المؤمنين راضين ورضوا بأميرهم عبد الله بن عباس .

معركة صفين :

بعد انتهاء معركة الجمل بما انتهت إليه من مبايعة أهل البصرة لعلي رضي الله عنه استتبت الأمور لعلي في مكة والمدينة والعراق ـ البصرة والكوفة ـ وبقيت أمامه جبهة الشام بقيادة معاوية الأموي المطالب بثارات عثمان الأموي من قتلته ومن يشايعهم ـ وكانت جبهة معاوية متماسكة قوية لأن معاوية استطاع بسياسته أن يكسب قلوبهم وعقولهم وتأييدهم على ما أقنعهم به من الحق ضد قتلة عثمان واستثارهم بقميص عثمان معروضاً على المنبر .

وكانت معركة الجمل تجربة ماثلة في أعين المسلمين وعلى رأسهم الخليفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي تأثر كثيراً بهذه الحشود من القتلى في

نهاية المعركة دون أن تكون في وجهها الصحيح وهو قتال أعداء الإسلام وليس أبناء الإسلام . وكان المسلمون يؤيدونه في وجهة نظره هذه فاستشارهم في أمر معاوية وجيشه واتفقوا على أن يرسل له وفداً يعرض عليه الصلح وإنهاء الأزمة كما فعل مع عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير ، ولما وصله خبر أهل الشام الذين استعدوا للقتال حتى إنهم آلى رجالهم ألا يمسوا نساءهم ولا يناموا على الفرش حتى ينتقموا لعثمان ويقتلوا قتلته ومن شايعهم أو تفنى أرواحهم . خاصة بعد أن علموا أن جيش القتلة انضم لجيش علي في القتال في البصرة وهو إليهم قادم .

أدرك علي أن هؤلاء القوم لا يثنيهم عن أهدافهم مصالحة وأمر أهل العراق بالخروج لمواجهة أهل الشام والمسير إليهم حتى عسكر بـ «النخيلة» وعلم معاوية بمسير جيش علي فخرج إليهم وعبر الفرات من الرقة وتقدموا بحشودهم حتى التقى الجمعان في سهل «صفين» متواجهين . وهنا بدأت المفاوضات بينهما بالوفود قبل المعركة حتى وصلت إلى طريق مسدود .

فأهل الشام يريدون أن يسلموهم القتلة وأهل العراق مع أمير المؤمنين يريدون المبايعة من معاوية وأهل الشام ، قال أحد الوفد : «اتق الله يا معاوية ولا تخالف علياً فإنا والله ما رأينا رجلاً قط أعمل بالتقوى ولا أزهد في الدنيا ولا أجمع لخصال الخير كلها منه» . فقال معاوية : «أرأيتم قتلة صاحبنا ألستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم ـ آواهم ـ فليعدهم إلينا فلنقتلهم به ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة .

وتوادع الجيشان مدة شهرين ، كانت فيها الوفود تتحرك والناس في أمان إلا من بعض المناوضات والنزاعات واختلط الناس ودخل بعضهم في معسكر بعض سلماً حتى استأذن عبد الله بن عمر على علي رضي الله عنه فأذن له ودار بينهما حوار منه : «قال علي : قتلت الهرمزان ظلماً وقد كان أسلم على يدي عمي العباس ، وفرض له أبوك في ألفين وترجو أن تسلم مني؟ فقال

عبد الله : الحمد لله الذي جعلك تطالبني بدم الهرمزان وأنا أطالبك بدم عثمان ، فقال له علي ستجمعنا وإياك الحرب فتعلم .

وقد تدخل الصحابيان أبو الدرداء وأبو أمامة ، فقالا لمعاوية : علام تقاتل علياً وهو أحق بهذا الأمر منك؟ قال : أقاتله على دم عثمان . فقالا : أوهو قتله؟ قال : آوى قتلته فسلوه إن يسلم إلينا قتلته ، وأنا أول من يبايعه من أهل الشام .

فذهبا إلى علي فأخبراه بذلك ، فخرج من معسكر علي نحو عشرين ألف رجل وصاحوا : نحن جميعاً قتلنا عثمان .

فاعتزل أبو الدرداء وأبو أمامة الحرب ، وذهبا إلى بعض السواحل ، وفي أول صفر سنة ٣٧هـ بعد أن أمر علي مناديه أن ينادي في الناس : ألا إن أمير المؤمنين يناديكم ويقول لكم : إني قد استأنيتكم لتراجعوا الحق وأقمت علكم الحجة فلم تجيبوا وإني قد نبذت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين» .

ففرغ أهل الشام إلى أمرائهم ورؤسائهم وأخذوا يعقدون للحرب عدتها وفي يوم الأربعاء أول صفر ٣٧ هـ ابتدأت الحرب بجماعات قليلة استمرت ثمانية أيام حتى طلب منهم أمير المؤمنين الزحف بالجموع وحسم الأمر فزحفت جيوش أمير المؤمنين وزحفت جيوش معاوية وتقاتلوا قتالاً شرساً طوال النهار ثم استمرت المواجهة يقود جيش علي رضي الله عنه «الأشتر التخعي» بعد أن هيجهم للقتال واستطاع أن يكشف جيش معاوية في نهاره وفي ليله حيث اشتدت الأزمة وبلغت القلوب الحناجر يوم الخميس وليل الجمعة والأشتر يستثير الجنود وعلي يمده بالرجال والمدد المعنوي وأوشكت أن تدور الدائرة على أهل الشام فما هي إلا بالمصاحف ترفع على رؤوس الرماح من قبل أهل الشام ومناديهم يقول : «هذا كتاب الله بيننا وبينكم ، فلما رأى جيش علي من أهل العراق المصاحف مرفوعة كفوا عن القتال ، وطالبوا علياً

رضي الله عنه بأن يجيب إلى كتاب الله ، ولكنه حذرهم من خديعة معاوية وعمرو بن العاص ، وابن أبي سرح . غير أنهم شددوا عليه في طلب الإجابة لكتاب الله وهو يعارض ويحاول أن يقنعهم بمواصلة القتال حتى خرج مسعر ابن فدكي التميمي ومعه أمثاله من القراء : أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه وإلا ندفعك برمتك إلى القوم أو نفعل بك كما فعلنا بابن عفان . وطلبوا منه أن يبعث إلى الأشتر ليترك القتال ولكن الأشتر يواصل قتاله حتى قالوا مشددين ومنذرين : ابعث له فليأتك وإلا والله اعتزلناك . فلم يسعه إلا المجيء ثم أرسلوا إلى معاوية ماذا يريد؟ فقال : نرجع إلى كتاب الله يبعثون منكم رجلاً ترضونه ونبعث منا رجلاً . ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه ثم نتبع ما اتفقنا عليه . فقال الناس : قد رضينا وقبلنا . واتفق كل طرف بمن يمثله في التحكيم ، أهل الشام : قد اخترنا عمرو بن العاص . واختار جيش علي رضي الله عنه على غير رغبة منه أبا موسى الأشعري .

التحكيم ونتائجه :

كتبت وثيقة التحكيم بين الحكمين وهذا نصها :

هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما فيما تراضيا به من الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ قضية علي على أهل العراق ومن كان من شيعته من شاهد أو غائب ، وقضية معاوية على أهل الشام ومن كان من شيعته من شاهد أو غائب إنا رضينا أن ننزل عند حكم القرآن فيما حكم وأن نقف عند أمره فيما أمر ، وأنه لا يجمع بيننا إلا ذلك وإنا جعلنا كتاب الله بيننا حكماً فيما اختلف فيه من فاتحته إلى خاتمته نحيي ما أحيا ونميت ما أمات على ذلك تقاضينا وبه تراضينا ، وإن علياً وشيعته رضوا أن يبعثوا عبد الله بن قيس (أبا موسى) ناظراً ومحاكماً ورضي معاويةوشيعته أن يبعثوا عمرو بن العاص ناظراً ومحاكماً . على أنهما

أخذ عليهما عهد الله على أحد من خلقه ليتخذان الكتاب إماماً فيما بعث إليه ، ولا يعدونه إلى غيره في الحكم بما وجداه فيه سطوراً ، ومالم يجداه مسمى في الكتاب رداه إلى سنة رسول الله ﷺ الجامعة . لا يتعمدان لهما خلافاً ولا يتبعان في ذلك لهما هوى ولا يدخلان في شبهة .

ونصت الوثيقة على أن يكون الحكمان آمنين على دمائهما وأموالهما وحريمهما والأمة على ذلك أنصار . وإنه يلقي الفريقان السلاح إلى انتهاء الأجل وهو انقضاء شهر رمضان وعلى الحكمين ألا يؤخرا الأمر عن الأجل المسمى إلا عن تراضٍ منهما وعلى أن يرجع أهل العراق إلى عراقهم وأهل الشام إلى شامهم .

وحددت الوثيقة مكان الاجتماع وهو دومة الجندل وذلك لأنها مكان وسط بين العراق والشام وضمن أهل العراق الوفاء لأهل الشام وكذلك ضمن أهل الشام الوفاء لأهل العراق وشهد كل فريق على وثيقة الفريق الآخر . كتبت في يوم الأربعاء ١٧صفر ٣٧هـ ، [1] وانصرف الجيشان أهل الشام إلى الشام وأهل العراق إلى العراق حسب وثيقة التحكيم .

ويوم اجتماع التحكيم في دومة الجندل بعث كل من علي رضي الله عنه ومعاوية بعدد متساو من الرجال ومعهم ممثلهم أبو موسى الأشعري ، وعمرو بن العاص ، بين أربعمائة إلى كل طرف أو أربع آلاف في بعض المراجع ، وحضر التحكيم معاوية ولم يحضر علي رضي الله عنه لأنه لم يكن موافقاً على التحكيم في البداية ، وكان الاجتماع في رمضان سنة ٣٧هـ وحضر جماعة من الصحابة التحكيم ليكونوا شهوداً على التحكيم الذي يصدر ومنهم عبد الله بن عمرو عبد الله ابن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث والمغيرة بن شعبة وأبو جهم بن حذيفة وعبد الرحمن بن يغوث ، ورفض أن يحضر سعد بن أبي وقاص وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنه تكون

---

(١) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ص٥٧٧

فتنة خير الناس فيها التقي الخفي» والله لا أشهد شيئاً من هذا الأمر ، واجتمع الحكمان وتداولا في الأمر واتفقا على خلع علي رضي الله عنه ولكنهما اختلفا فيمن يكون بعده أهو عبد الله بن عمر كما اقترح ذلك أبو موسى الأشعري ، أم معاوية كما اقترح ذلك عمرو بن العاص .

وخرجا إلى الناس ليعلنا الحكم الذي اتفقا عليه فتقدم أبو موسى وأعلن أنهما اتفقا على أمر يرجو الله أن يصلح به أمر هذه الأمة . وكانا قد استقر رأيهما على خلع علي ومعاوية ، ثم أعلن أبو موسى بقوله : أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نرَ أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه وهو أن نخلع علياً ومعاوية وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فليولوا منهم من أحبوا عليهم وإني قد خلعت علياً ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً . .

ثم قام عمرو ووقف مقام أبي موسى وقال بعد أن حمد الله وأثنى : إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية فإنه ولي عثمان ابن عفان والمطالب بدمه وأحق الناس بمقامه .

وبهذا التحكيم وضع حد لإختلاف الناس في خليفة المسلمين وترك أمر المسلمين بين أمرين : أن يختاروا لهم خليفة يرتضونه وليس لقتلة عثمان دخل في استخلافه ، وإما أن يقبلوا بولاية معاوية خاصة وإنه ليس خليفة يومها وإنما كان والياً على الشام ارتضاه الرسول وأبو بكر وعمر وعثمان والعزل كان للخليفة وليس للوالي كما يبرر ذلك بعض أصحاب الرأي في التاريخ لهذه المرحلة كما ورد في كتاب العواصم من القواصم ص١٧٥ ، فقد جعل الاتفاق بين الرجلين المحكمين في أمر واحد هو الإقامة التي ترك أمرها إلى الناس وكبار الصحابة . أما التصرف في ادارة البلاد التي كانت تحت يد كل من الرجلين المتحاربين فبقي كما كان . علي متصرف في البلاد التي تحت

حكمه ومعاوية متصرف في البلاد التي تحت حكمه . . وهو يرى أن التحكيم بهذه النظرة ليس فيه خداع ولا مكر لأن عمراً لم يعلن في التحكيم لمعاوية إمارة المؤمنين وخلافة المسلمين وإنما أعلن تثبيته وليس خلعه ، ولم تتم الخلافة لمعاوية إلا بعد أن تنازل له عنها الحسن بن علي رضي الله عنهما وبايعه بها بعد وفاة أبيه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حقناً لدماء المسلمين ، فخلافة معاوية صحيحة تماماً .

وظهرت بعد التحكيم فرقة الخوارج التي شقت وحدة المسلمين ورأت أن علياً كفر بقبوله التحكيم ولا بد حتى يبقون في مبايعته أن يتوب من كفره ؛ وخرجوا عليه حتى اضطر لقتالهم وقضى على رؤوسهم .

وأما معاوية فقد ذهب إليه أهل الشام وسلموا عليه بالخلافة وبايعوه بها وعادوا به من دومة الجندل خليفة توجهوا به إلى مقر الخلافة الجديد في دمشق ، وأخذ يوجه الجيوش لإخضاع أطراف الدولة حتى استطاع أن يصل جيشه إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة واليمن حتى تراضى معاوية وعلياً بالمهادنة والمصالحة على أن تكون العراق لعلي والشام وما والاها لمعاوية واتفقا على وضع الحرب وعلى ألا يدخل أحدهما على الآخر بجيش ولا غارة ولا غزو سنة ٤٠هـ وفي هذا العام قتل علي رضي الله عنه في رمضان سنة ٤٠هـ .

مقتل علي أمير المؤمنين :

أخرج أبو داود في القدر وابن عساكر عن يحيى بن مرة قال : «كان علي رضي الله عنه يخرج بالليل إلى المسجد يصلي تطوعاً فجئنا نحرسه فلما فرغ أتانا فقال : ما يجلسكم؟ قلنا : نحرسك . قال : أمن أهل السماء تحرسون أم من أهل الأرض؟ قلنا : بل من أهل الأرض . قال : «إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء وليس من أحد إلاّ وقد وكل به ملكان يدفعان عنه ويكلآنه حتى يجيء قدره فإذا جاء قدره خلّيا بينه وبين قدره ، وإن عليّ من الله جُنَّه حصينة فإذا جاء أجلي كُشف عني ، وإنه لا يجد طعم الإيمان

حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه»

هذا هو إيمان علي رضي الله عنه بالقدر . وكان يعلم أنه سيقتل في العراق بضربة سيف في رأسه تخضب لحيته منها . وكان يعرف قاتله عبد الرحمن بن ملجم لأن رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى أخبره بذلك . أفلا يكون من المبشرين بالجنة؟ قرت عينك يا أمير المؤمنين برفقة رسول الله في الدنيا وفي الآخرة .

كانت الأحداث قد أخذت تتوالى على أمير المؤمنين علي بعد التحكيم حيث انشق عليه جيشه في العراق وأشياعه ووصل الأمر بالخوارج أن كفروه حين قبل بالتحكيم وقالوا : «إن الحكم لله» وطلبوا منه إن أراد أن يكونوا معه إن يعلن كفره ثم توبته ، ولكنه حاول معهم بالاقناع والحجة حتى أيس منهم فقام وخطب فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أما بعد : فإن من ترك الجهاد في الله وادهن في أمره كان على شفا هلكة إلا أن يتداركه الله بنعمة فاتقوا الله وقاتلوا من حاد الله وحاول أن يطفئ نور الله ، الخاطئين ، الضالين ، القاسطين بمعنى ـ الظالمين ـ المجرمين الذين ليسوا بقراء للقرآن ولا فقهاء في الدين ولا علماء في التأويل ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام والله لو وُلوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل . فكان أن حاربهم وقضى على رؤسائهم وأخمد نارهم ولكنهم اجتمعوا بليل شر الناس منهم ثلاثة : عبد الرحمن بن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي ، وبعد أن تذاكروا اخوانهم الذين هلكوا قال قائلهم : لو أننا شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فقتلناهم فارحنا منهم وثأرنا بهم لإخواننا . ووزعوا الأدوار بينهم وقد أعمى الشر والضلال قلوبهم وأبصارهم فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم علي بن أبي طالب ، وقال البرك : أنا أكفيكم معاوية ، وقال عمرو بن بكر : أنا أكفيكم عمرو بن العاص . وتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينقض أحد منهم عهده ، ولا ينكص منهم واحد عن رجله وصاحبه الذي توجه إليه ليقتله أو يموت دونه . وأعدوا أسيافهم وسقوها سماً وجعلوا لهم موعداً السابع عشر من رمضان سنة ٤٠هـ

فيه يثب كل منهم على صاحبه وينفذ فيه حكم الله(!!) .

وأقبل كل منهم إلى البلد الذي فيه صاحبه فخرج ابن ملجم حتى أتى الكوفة دون أن يخبر من بها من اخوانه الخارجين ، وكان فيهم امرأة على جانب من الحسن والجمال اسمها «فطام» قتل علي أباها وأخاها يوم النهر مع رؤوس الخارجين العصاة ، فلما رآها طار عقله بجمالها وخطبها فقالت : أقبل إن كان مهري ثلاثة آلاف وعبد وقينة وبشارتي بقتل علي بن أبي طالب . فقال لها وقد صادف ما طلبته مبتغاه الذي كتمه وجاء من أجله : هو لك مهراً وسأشفي غليلك كما أشفي منه غليلي وإن قتلت فما عند الله خير وأبقى من الدنيا . وأنا ما جئت إلى الكوفة إلا لهذا . ولما كانت ليلة الجمعة ١٥ رمضان سنة ٤٠هـ ترصد هو ومساعداه لعلي رضي الله عنه حتى خرج لصلاة الصبح ، فضربه ابن ملجم بالسيف المسموم على رأسه وهو يصرخ بقولتهم : «ألا إن الحكم لله ، لا لك ولا لأصحابك فهرع الذين كانوا بالمسجد على صوت علي رضي الله عنه يقول : «لا يفوتنكم المجرم» فشد عليه الناس من كل جانب حتى تمكنوا منه وأخذوه وتمكن من كان معه من الهرب في زحمة الناس وطلب علي المجرم وقال له : «أي عدو الله ألم أحسن إليك . قال : بلى . قال : فما حملك على هذا؟ قال : شحذت سيفي أربعين يوماً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه .

فقال علي كرم الله وجهه : لا أراك إلا شر خلقه مقتولاً به ثم قال علي : النفس بالنفس : إن أنا مت فاقتلوه وإن بقيت رأيت فيه رأياً . وأمرهم ألا يمثلوا به» . وظل علي حياً حتى يوم الأحد حتى خرجت روحه إلى بارئها مع المسبحين راضية مرضية ، ودفن في قصر الإمارة عند مسجد الجماعة . وصلى عليه الحسن ابن علي رضي الله عنهما . ثم طلب ابن ملجم وضربه بسيفه وأخذه الناس ثم أدرجوه في بواري ثم أحرقوه بالنار .

وكان عمر علي كرم الله وجهه يوم مات ابن ثلاث وستين سنة .

أما البرك فقد تمكن من معاوية وضربه لكنه أخطأه . وأما عمرو فقد رصد عمرو بن العاص ولكن عمراً لم يخرج إلى الصلاة يومها لمرض ، فأناب عنه خارجة بن حذيفة ليصلي بالناس الفجر فهجم عليه وضربه بسيفه فقتل وكان صاحب شرطة عمرو بن العاص . فقالوا : «أراد عمراً وأراد الله خارجة» .

وكان جندب بن عبد الله قد دخل على أمير المؤمنين فسأله :«يا أمير المؤمنين إن فقدناك ـ ولا نفقدك ـ فنبايع الحسن؟ فقال أمير المؤمنين : لا آمركم ولا أنهاكم أنتم بأموركم أبصر» . وقد مات علي كرم الله وجهه وقد خلّف من الأولاد : الحسن ، الحسين ، العباس ، جعفر ، عبد الله ، عثمان ، أبو بكر وأخوه عبد الله ، من ليلى بنت مسعود ، يحيى ومحمد الأصغر ، عمر ، محمد الأوسط محمد بن الحنفية ، وترك من البنات : زينب ، أم كلثوم ، رقية ، رملة الكبرى ، أم هانئ ، ميمونة ، زينب الصغرى ، رملة الصغرى ، أم كلثوم الصغرى ، فاطمة ، أمامة ، خديجة ، أم الكرام ، وأم سلمة ، أم جعفر ، جمانة ، نفيسة .

فضل علي رضي الله عنه :

سأكتفي بالتدليل على فضل علي كرم الله وجهه بما ورد على ألسنة بعض الصحابة رضي الله عنهم وهم كثيرون ولكن سأكتفي بالآتي :

١ـ جاء رهط إلى علي رضي الله عنه وهو بالكوفة فقالوا : «السلام عليك يا مولانا . فقال : كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا : سمعنا رسول الله ﷺ يوم غدير خم يقول : من كنت مولاه فهذا مولاه» .

وكان هذا الرهط نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري .

٢ـ دافع سعد بن أبي وقاص عن علي كرم الله وجهه أمام معاوية فقال : «أما ذكرت يا معاوية ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ ؟ لأن تكون لي واحدة

منهن أحب إلي من حمر النعيم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم خلفه على المدينة في بعض مغازيه أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنه لا نبي بعدي . وسمعته يقول يوم خيبر : لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . قال : فتطاولت لها . فقال : ادعو لي علياً . ولما نزلت هذه الآية ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾ دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً رضي الله عنهم ، ثم قال : اللهم هؤلاء أهلي» .

٣ـ أخرج أحمد عن عبد الله الجذلي قال : «دخلت على أم سلمة رضي الله عنها فقالت لي : أتسبُّ رسول الله فيكم؟ قلت : معاذ الله . قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سب علياً فقد سبني» .

من خطب علي في الشيخين :

قال سويد بن غفلة : «مررت بقوم يذكرون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وينتقصونهما فأتيت علياً رضي الله عنه فذكرت له ذلك فقال : لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل ، أخوا رسول الله ﷺ ووزيراه ثم صعد المنبر فخطب خطبة بليغة قال فيها : ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المسلمين بما أنا عنه متنزه ومما يقولون بريء وعلى ما يقولون معاقب؟ والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لا يحبهما إلا مؤمن تقي ولا يبغضهما إلا فاجر رديء . صحبا رسول الله ﷺ بالصدق والوفاء يأمران بالمعروف وينهيان ويعاقبان ، فما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله ﷺ ولا يرى رسول الله ﷺ كرأيهما رأياً ، ولا يحب حبهما حباً . مضى رسول الله ﷺ وهو عنهما راض والناس راضون ثم ولى أبو بكر الصلاة ، فلما قبض الله نبيه ﷺ ولاه المسلمون ذلك خير من بقي رأفة ورحمة وورعاً وأقدمه إسلاماً شبهه رسول الله ﷺ بميكائيل رأفة ورحمة وبإبراهيم عفواً ووقاراً فسار بسيرة رسول الله ﷺ حتى قبض رحمه الله ، ثم ولى الأمر من بعده عمر بن الخطاب واستؤمر في ذلك

الناس فمنهم من رضي ومنهم من كره . فكنت ممن رضي ، فـو اللـه مـا فـارق عمر الدنيا حتى رضي من كان له كارهـاً فأقـام الأمـر علـى منهـاج النبـي ﷺ وصاحبه يتبع آثارهما كما يتبع الفصيل أثر أمه . وكان والله خير ما بقي رفيقاً رحيماً وناصر المظلوم على الظالم ثم ضرب الله بالحق على لسـانه حتـى رأينـا أن ملكاً ينطق على لسانه ، وأعز الله بإسلامه الإسلام ، وجعل هجرته للدين قواماً وقذف في قلوب المؤمنين الحب له وفي قلوب المنافقين الرهبة له ، شـبهه رسول الله ﷺ بجبريل فظاً غليظـاً علـى الأعـداء وبنـوح حنقـاً ومغتاظاً علـى الكافرين ، فمن لكم بمثلهما؟؟ لا يبلغ مبلغهما إلا بالحبِّ لهما واتباع آثارهما فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهمـا فقـد أبغضنـي وأنـا منـه بـريء . الا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ثم اللـه أعلـم بـالخير أيـن هـو . أقـول قولي ويغفر الله لي ولكم .[1]

---

(١) حياة الصحابة جـ٢ ص٤٦٧.

الصحابي الجليل

الزبير بن العوام

رضي الله عنه

قال عليه الصلاة والسلام : «لكل نبي حواريّ وحواريّ الزبير بن العوام»

(رواه الترمذي وابن ماجة ، جامع الأصول جـ٩/٥)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فتحرك ، فقال رسول الله ﷺ : «اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» ، وعليه النبي عليه السلام وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد ابن أبي وقاص رضي الله عنهم» .

(رواه البخاري ومسلم)

عن عباد بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : «كانت على الزبير بن العوام يوم بدر عمامة صفراء معتجر بها[1] فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر» .

(أخرجه الطبراني في الكنز ٥/٢٦٨)

عن سعيد بن عبد العزيز قال : «كان للزبير بن العوام ﷺ ألف مملوك يؤدون له الخراج فكان يقسمه كل ليلة ثم يقوم إلى منزله وليس معه منه شيء» .

(أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/٩٠)

---

(١) معتجر: يلفها على رأسه ويرد طرفها على وجهه.

الصحابي الجليل
الزبير بن العوام
رضي الله عنه

هو : الصحابي الجليل الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ـ عمته خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها وأمه صفية بنت عبد المطلب ـ وكنيته أبو عبد الله . وزوجته أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين . من المبشرين بالجنة السبّاقين بالإسلام السبعة وهو أحد الستة من أهل الشورى . أسلم على يدي أبي بكر الصديق وكان غلاماً يافعاً ما أن عرض عليه أبو بكر الصديق الإسلام حتى استجاب وشهد ألا إله إلا الله محمد رسول الله أمام رسول الله ﷺ . مات أبوه العوام وهو صغير فتولى أمره عمه نوفل بن خويلد ولكن الذي رعاه وكفله بإخلاص وأمانة وصنع منه رجلاً شجاعاً وبطلاً مغواراً يهابه صناديد الكفر ويخشاه الأبطال الكماة وتحسم تحت خططه الحربية وضرباته القاضية أشرس المعَارك وأعقدها لقد كان بين يدي أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ فكانت نعم الأم العظيمة وراء الرجل العظيم حقاً وصدقاً وقولاً وعملاً ولا ينسى التاريخ دورها البطولي وشدة بأسها في الغزوات ، الحَصَانُ الرزان التي كان يحسب لها الرجال ألف حساب ، فهي أول امرأة في الإسلام قتلت مشركاً ، ففي غزوة الخندق وضع رسول الله ﷺ النساء في حصن لحسان بن ثابت وقد انشغل المسلمون في الخندق فكان من يهود بني قريظة الذين غدروا بالرسول عليه السلام أن أرسلوا وفداً عسكرياً لفض حرمة الحصن يقيناً منهم أن الرسول لم يترك فيه رجالاً يدفعون عنه .

ووجدوه غرضاً عارياً وفي نفس الوقت موجعاً للرسول لو تمّ الاستيلاء

عليه . وتقدم أحدهم في عتمة الليل فرأته صفية بنت عبد المطلب أم الزبير . وأدركت أنه إن نال غرضه كانت الفجيعة فخرجت له بحذر حتى صار في موقع ضربتها فانقضت عليه بعمودها فأصابته على أم رأسه فسقط وواصلت حتى قضت عليه . ثم أمسكت رأسه الذي حزته وألقت به إلى بقية رفاقه المنتظرين له تحت الحصن فأيقنوا وقتها أن عين رسول الله ﷺ لا تنام وأنهم لا يستطيعون معه خداعاً وعادوا أدراجهم خائبين مهزومين إلى الأبد .

هذه هي أم الزبير التي أثبتت ما قاله رسول الله ﷺ في نساء قريش : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «نساء قريش خير نساء ركبن الإبل أحناه على طفل وأرعاه على زوج في ذات يده» .

أم الزبير ربت وحيدها فأحكمت تربيته وأرضعته الحزم وجبروت العزم ونشأته على الخشونة والبأس ففاق أقرانه وسبقهم وربته على الفروسية والحرب وعودته أن تكون شغلته ولعبته بري السهام وإصلاح القسي ـ جمع قوس ـ وأزالت من قلبه معاني الخوف وغرست مكانها الجرأة والإقدام تقحمه المخاطر وتدفعه إلى المخاوف فإذا رأت فيه تردداً أوجعته ضرباً حتى كان الزبير بن العوام فارس فرسان الإسلام في معاركه ضد أعدائه من أعراب ومشركين وروم وغيرهم وكان يأبى الذل ويرفض المهانة ويعشق إنصاف المظلوم .

إسلامه :

بعد أن أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان أول الرجال المسلمين ، أخذ يتفحص ذاكرته ويستعرض رجالات قريش ومن له عليهم دالة ويلتمس الخير فيهم كهولاً وشباباً ويافعين ، فأسلم على يديه كبار الصحابة عثمان وغيره ودعا إليه هذا اليافع الشجاع الجريء الذي رجا الله أن تكون شدته وشجاعته للإسلام وعرض عليه ما أشغل الناس في مكة من نزول الوحي على رسول الله ﷺ زوج عمته خديجة بنت خويلد . فكان الشاب اليافع مهيباً يحب الحق ولا يخشى فيه لومة لائم وظن أن قد أصابه مكروه

فجرد حسامه ليفتديه بنفسه وسيفه ، وصحبه أبو بكر إلى بيت الرسول عليه السلام وهو مألوف معهود فأمه صفية عمة رسول الله عليه السلام وزوجة رسول الله خديجة عمته فنهضا دون ريب أو خشية أو رعب أو خوف ، فهو لا يعرف الخوف ، وهناك في بيت الرسول العظيم ﷺ استمع لحديث الرسول وما أكرمه الله به من كلام رب العزة والجلال والإكرام وانتعش بلقاء رسول الله عليه السلام الذي كان كلامه يستقر من الآذان إلى الوجدان فما هي إلا أن أعاد الشهادتين أمام رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق وامتزجت بهما روحه حتى القناعة واليقين .

وقد أشيع يوماً أن محمداً قُتل فما كان منه إلا أن استل سيفه وأخذ يطوف في شوارع مكة يتوعد ويتهدد ولم تهدأ ثائرته حتى لقيه رسول الله وسأله ما الأمر ، فأخبره بالحقيقة فسُرّ به رسول الله ﷺ حتى دعا له . وهذا موقف من بشائر الزبير بالجنة .

ولما أخبر عمه بإسلامه سلط عليه أنواع العذاب كي يثنيه عن الإسلام إلى دين الجاهلية من عبادة الأوثان ولكنه ذاق حلاوة الإيمان ولن يعود إلى مرارة الشرك مهما كلفه الثمن من عناء و آلام وقهر واجبار بكل وسائل التعذيب من السياط إلى النار وهو لا يدري أنه بهذه النار يطفئ في الآخرة لظى النار والجحيم التي أعدت للمشركين فكانت بئس عقبى الدار . وشدّد عليه عمه في العذاب وألوان النكال وهو صابر يتحمل في سبيل رضا الله المتعال حتى يئس عمه منه واعتذر لأهل مكة الأشرار بنفاذ ما عنده من عقاب شديد وإنذار ووعيد . ونجح الزبير بن العوام حين أُمر بالهجرة الأولى إلى الحبشة مع المهاجرين المؤمنين الأخيار فراراً بدينهم وعزة إيمانهم وكانت هذه من بشائر الجنة للزبير مع عثمان رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف وجعفر بن أبي طالب الذين بُشّروا بالجنة في الدنيا قبل الآخرة .

وقيل إن النجاشي تعرض لهجوم أثناء وجود المهاجرين الأوائل في

الحبشة فخافوا عليه وقد أكرمهم وأحسن وفادتهم وزادهم القلق عليه أن أخذوا يتحسسون الأخبار ويستطلعون الأمر بكل وسيلة فأغناهم الزبير عن هذا القلق واحتال للأمر وركب الماء على قربة نفخت له واستطلع الأمر حتى انجلت الغمة فعاد مبشراً للمسلمين بانقضاء الأمر وثباته للنجاشي ففرحوا لفرحه وجزعوا لجزعه ، واهتموا بهمه وهم الخلصاء الذين يقدرون لأهل الفضل فضلهم ولا ينكرون معروفاً . أليسوا السباقين بالإسلام ؟ أليسوا صنّاع الإمبراطورية الإسلامية التي ستنقشع عنها ظلمات الكفر لتخرج الناس إلى النور؟؟ نعم هم أولئك . . ولما أُذن لهم بالعودة إلى مكة المكرمة بعد أن أعز الله الإسلام بحمزة أسد الله وعمر بن الخطاب الفاروق ، عادوا وظلوا فيها بين عنت المشركين ومقاطعتهم وإيذائهم صابرين حتى أذن لهم بالهجرة الثانية إلى يثرب التي تزوج فيها بأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، ذات النطاقين التي كانت لها مالها من دور مبارك في الأرض وفي السماء أثناء هجرة النبي عليه السلام ومعه أبوها الصدّيق رضي الله عنه .

أدواره في الإسلام :

شارك الزبير بن العوام في الهجرتين واشترك في غزوات الرسول عليه السلام وأولها بدر التي أعز الله فيها الإسلام وقهر فيها طغاة الشرك وأساطين الكفر والضلال وقد أكرم الله فيها الزبير بن العوام أيّما إكرام حينما كان يذود عن الإسلام بكل ما أوتي من فروسية وشجاعة وبسالة نادرة يلف على رأسه عمامة صفراء رضي الله عنه بها ، وأحبته الملائكة لما أحبّه الله ورسوله فنزلت لتقاتل مع المسلمين وهي ترتدي عمائم صفراء تشبه عمامة الزبير المقدام ، كما روي عن عبادة بن عبد الله ابن الزبير رضي الله عنه قال : «كانت على الزبير بن العوام يوم بدر عمامة صفراء معتجر بها فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر»

(أخرجه الطبراني في الكنز ٢٦٨/٥)

وعن عروة قال : «نزل جبريل عليه السلام يوم بدر على سيما الزبير

معتجراً بعمامة صفراء» .

واشترك في ملاحقة المشركين الفارين من بدر مع خيلهم وخسارتهم يجرون أذيال الهزيمة والهوان حتى يقطع دابرهم عن المسلمين بعمامته الصفراء فلا يفكرون في التطلع إلى الوراء .

وفي هذا قال الشاعر عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير[1] يصف جده الزبير :

جدّي ابن عمة أحمد ووزيره	عند البلاء وفارس الشقراء
وغداةَ بدر كان أول فارس	شهد الوغى في اللامة[2] الصفراء
نزلت بسيماه الملائك نصرة	بالحوض يوم تألب الأعداء

وفي معركة بدر تابعه عمه نفيل بن خويلد يريد أن يقضي عليه ، ولكن الزبير عاجله حتى أرداه قتيلاً صريعاً .

وفي غزوة أُحد كان الزبير من الفوارس الذين شهدت ببطولتهم الأرض والسماء ، فقد أبلى بلاءً حسناً قتل فيه معنويات المشركين حين تمكن من قتل بطل من أبطال الكفر تحدى أبطال الإسلام وهو (طلحة ابن طلحة العبدري) الذي دأب على تحدي الفرسان المسلمين طالباً منهم المبارزة فما هي إلا جولات حتى تمكن الزبير بطعنة سقط على إثرها صريعاً سقطة هزت قلوب المشركين فكبر الزبير وكبر معه المسلمون . وفي آخر النهار ساعة انقلب الحال ودارت الدائرة على المسلمين لمخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ تحول دور الزبير إلى مدافع بكل شراسة عن رسول الله ﷺ واختلطت الدماء وبلغت

(١) الاصطفا في سيرة المصطفى حـ ١ ص١٣١

(٢) اللامه: أداة الحرب كلها من رمح، وبيضة وعمه، وسيف، ودرع، وغيرها.. وفي هذا إشارة الى عمامته الصفراء.

القلوب الحناجر في ظل الارتباك الذي أصاب المسلمين ، وسقوط القتلى بلا هوادة حتى استطاع أن يرد كيدهم وهجمتهم الشديدة ويكسرها ويبعدها عن رسول الله ﷺ بكل عزيمة وشراسة أرعبت المشركين مع انتصاراتهم واستلامهم زمام المبادرة وكان الزبير في قلة من المدافعين منهم طلحة رضي الله عنه وثلة من المحبين لرسول الله من فرسان الإسلام المرموقين . وبعد انتهاء المعركة رأى رسول ﷺ أن يرعب المشركين بعد مغادرتهم أرض المعركة فأرسل لهم طليعة من فرسان الإسلام في سبعين رجلاً منهم أبو بكر الصديق والزبير بن العوام لملاحقتهم وتعقبهم حتى لا يظنوا أن الهزيمة المؤقتة نالت من المسلمين فيطمعوا فيهم مرة أخرى والحرب سجال .

وفي هذه المعركة أثنى عليه الرسول ﷺ فقال : «إن لكل نبي حوارياً وحواريّ الزبير» .

وقال عليه السلام لما صرع الزبير طلحة العبدري : «لو لم يبرز إليه لبرزت أنا إليه لما رأيت من إحجام الناس عنه» البداية (٤/٢٠) وفي الخندق ذكر يونس عن ابن إسحاق قال : «خرج نوفل بن عبد الله ابن المغيرة المخزومي ـ أي يوم الخندق ـ فسأل المبارزة فخرج إليه الزبير بن العوام رضي الله عنه فضربه فشقه باثنتين حتى فلّ في سيفه فلاًّ ـ كسراً ـ وانصرف وهو يقول :

إني امرؤ أحمي وأحتمي — عن النبي المصطفى الأمي

وقد أخرج بن جرير عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : «أقبل رجل من المشركين وعليه السلاح حتى صعد على مكان مرتفع فقال : من يبارز؟ فقال رسول الله ﷺ لرجل من القوم أتقوم إليه؟ فقال الرجل : إن شئت يا رسول الله ، فأخذ الزبير رضي الله عنه يتطلع فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال : قم يا ابن صفية فانطلق إليه حتى استوى معه فاضطربا ، ثم عانق أحدهما الآخر ثم تدحرجا فقال رسول الله ﷺ : أيهما وقع الحضيض أولاً

فهو المقتول . فدعا النبي ﷺ ودعا الناس فوقع الكافر ووقع الزبير رضي الله عنه على صدره فقتله»

الكنز (٩٥/٥)

وفي اليرموك كان للزبير دور بارز في بعث الحمية والحماسة في نفوس المسلمين حيث كان يخترق صفوف الروم بطل بسالة وعنفوان كالسهم المارق يضرب بسيفه ذات اليمين وذات الشمال وقتل عدداً كبيراً من فرسانهم ثم عاد إلى المسلمين بعزة الفوز ضارباً لهم المثل في خواء قلوب هؤلاء الروم وأن كثروا وعظمت أسلحتهم مما زاد في بأس المسلمين مع وجود قائدهم المظفر سيف الله المسلول خالد بن الوليد الذي رتب الصفوف واستلم القيادة وأعاد الثقة فانتصر المسلمون انتصاراً حاسماً في معركة اليرموك كان سبيلاً لفتح بلاد الشام أذرعها للمسلمين حرباً أو سلماً وما زالوا وراء الروم حتى خرج هرقل عظيم الروم من سوريا مودعاً الوداع الأخير مهزوماً مدحوراً .

وفي الجبهة الأفريقية في مصر : وبعد أن تقدم عمرو بن العاص بجيشه إلى مصر بعد فتح القدس وانتصارات المسلمين في الشام وجد عمرو استعدادات الروم كبيرة وكانت قواته متواضعة في عددها رغم انتصاراتها فأرسل إلى الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يمده بمدد فأجابه أمير المؤمنين وأرسل إليه أربعة آلاف جندي وعلى رأسهم أربعة من القيادات المتمرسة وقال له : «لقد أمددتك بأربعة آلاف عليهم الزبير بن العوام وعبادة بن الصامت والمقدار بن الأسود ومسلمة بن مخلد .

هؤلاء الأربعة كل واحد منهم بألف رجل .

ويكفينا هنا أن نركز على دور الزبير في مصر لأننا بصدد الحديث عنه فقد كان بألف رجل حقاً في حصن بابليون الذي حصنه الروم وتحصنوا فيه في وجه المسلمين حصانة تغنيهم شقاء المسلمين وترد عليهم صبرهم مهما

طال الحصار حتى يدب اليأس في قلوبهم فيعودوا أو ينقض عليهم الروم بمدد من خارج الحصن وداخل الحصن فيقضوا عليهم قضاءً تاماً .

وهنا تتجلى عبقرية الزبير ويضع خطته لاقتحام الحصن بإعجاز لا يصدق إلا من جيش المسلمين وفيه قائد مثل الزبير فقد قال الزبير : «إني أهب نفسي لله وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين ووضع سلماً إلى جانب الحصن ثم صعد وأمر المسلمين إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعا . وتمكن الزبير من الصعود إلى أعلى السور وكبر تكبيرة اهتز لها أركان الحصن فدب الله الرعب في قلوبهم والتقت تكبيراته بتكبير المسلمين وأخذ المسلمون يتسابقون إلى السلم ليصعدوا حتى كان الزبير ومن معه يهبط الحصن ويقتحم باحثين عن باب الحصن حتى فتحوه ودخل المسلمون ظافرين وجنود الروم المهزومين الذين أخذتهم المفاجأة ودب في قلوبهم الرعب فصادوا صيداً ثميناً ، أعداداً كبيرة وأسروا منهم أعداداً كثيرة وبهذا صنع الزبير فتحاً جديداً من فتوحاته التي كان مع كل فتح منها يفتح له باباً في الجنة حتى بشر بالجنة مع المبشرين وهم أحياء .

الزبير والفتنة الكبرى :

هال الصحابي الجليل الزبير بن العوام ما أصاب الخلافة في عثمان رضي الله عنه فلقد كان المصاب جللاً والمصيبة طامة والمعايير مقلوبة والظلم مسيطراً والأشرار قادة وأهل شورى وأهل الخير مطاردين وكبار الصحابة مقهورين بعد أن كانوا بفضلهم مكرمين وبخليفتهم قانعين وعلم أن هذا الأمر إذا لم يجابه بكل أصناف القوة المادية والمعنوية فإنه سيصبح شرعة للظالمين الأشرار في ظل سطوتهم وسلاحهم وتؤامرهم يؤمرون من يشاءوا ويخلعون من يشاءوا وليس على هذا اتفق المسلمون فالخلافة بعد أبي بكر كانت بالبيعة العامة لمن ارتضاه أهل الشورى والحل والعقد ممن مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، فكان أبو بكر بالبيعة خليفة رسول الله ، وكان الفاروق عمر بالبيعة

أميراً للمؤمنين ، ولما قتله المجوسي أبو لؤلؤة بالتآمر الخفي مع الهرمزان المجوسي الذي أصبح مغلفاً مجوسيته بالإسلام ومعهما جفينة الحاقد أوصى أن يكون الخليفة بعده في أحد من الستة الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ثم يبايع بالخلافة من عامة المسلمين وهكذا كانت ، فقد تم اختياره برضى الستة أهل الشورى ثم بويع من المسلمين البيعة العامة . أما أن يأتي السبئيون رؤوس النفاق والشرك المبطن بهذه الهمجية والغوغائية من مصر خفية وهم لا يمثلون أهلها لأن أهلها طيبون يأبون الغدر والختل ويأبون أن يكونوا ألعوبة في أيدي اليهود ممثلين بابن السوداء عبد الله بن سبأ ومن شايعه في الغدر بالخلافة والقضاء على وحدة الأمة مع المنافقين الأشرار من أهل البصرة وأهل الكوفة في تآمر حاقد أسود فكان البطل الصحابي المبشر بالجنة لصدق إيمانه وحبه لله ولرسوله ولأصحاب رسول الله على رأس المتصدين لهذه المؤامرة والجهاد لإحقاق الحق وإقامة الحد الشرعي عليهم والقضاء على فتنتهم بقوة السلاح واستئصال شافة القتلة تماماً من موقع الصدارة والتأثير في القرار الإسلامي . فتحرك من مكة المكرمة مع طلحة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حملة إلى البصرة للبدء من هناك لملاحقة القتلة في عقر دارهم مربض الفتنة والمعصية الكبرى والخطر الأشر . وهناك استطاعوا بقوة الإيمان وسطوة الحق أن يدخلوا البصرة ويقضوا على من فيها من القتلة ويخلصوها من شرار الناس ويجمعوا حولهم الجموع لملاحقة القتلة في الكوفة «التي باض فيها الشيطان وفرّخ» .

وكان الإمام علي كرم الله وجهه قد اختير خليفة تحت راية القتلة بعد أن خرج كبار الصحابة من المدينة وسار مع القتلة في جيش للتصدي لأهل الشام ثم تحول سيرهم إلى البصرة لمواجهة جيش الصحابة القادم من مكة المكرمة بقيادة صاحبة الجمل أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ، ولما عسكر الجانبان في العراق ـ علي الذي يقود جيشاً قادته من القتلة وأم المؤمنين التي تقود جيشاً بقيادة كبار الصحابة ـ المطالبين بإنصاف الحق وإعزاز الإسلام

بإقامة الحد الشرعي على الجناة على وحدة المسلمين من اليهود والمجوس ورؤوس النفاق من الأعراب .

وتمت المفاوضات بينهم بحقن دماء المسلمين وإجراء المصالحة التي أقضت مضاجع القتلة فكادوا للإسلام هذه المرة بإشعال نار الفتنة بين المسلمين في معركة الجمل المشهورة وفوتوا الفرصة على تنفيذ المصالحة بين أمير المؤمنين علي وأم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير بعد أن كادوا أن يوقعوا المصالحة ويلأموا الجراح ويصونوا وحدة الأمة لولا أن هؤلاء القتلة أشعلوا نار الحرب بين الطرفين بأسلوب شيطاني غادر وفاتك ، كما سبق أن ذكرنا في معركة الجمل ، وكان اللقاء بين علي رضي الله عنه والزبير وطلحة وأم المؤمنين قبل معركة الجمل قد انتهى بأن ذكّر علي رضي الله عنه الزبير بقول رسول الله عليه السلام له «يا زبير أما والله لتقاتلنه وأنت ظالم له» وعندها قال الزبير قولته المشهورة «الآن ذكرته- والله لا أقاتلك» ، ورجع إلى المدينة بعد أن اقنع ابنه عبد الله أن يصحبه في العودة . ويأبى ولده عبد الله إلا البقاء لإحقاق الحق وإرجاع العزة الإسلامية إلى ما كانت عليه . فيودع ابنه والمسلمين ويترك ساحة اللقاء قافلاً إلى المدينة بعد أن يعرج على البصرة ليتزود منها للطريق .

وفي مكان يسمى (وادي السباع) انقض عليه غادر من أنصار القتلة اسمه : عمرو بن جرموز - وهو يصلي - وهكذا لقي القائد الصادق الزبير بن العوام مصرعه ناجياً من نار الفتنة ليقع فريستها مغدوراً بسيوف ثلة من هؤلاء المفتونين بالقتلة كانوا مع القاتل يشدون أزره عند الجريمة . ولما جاء قتلة الزبير على علي رضي الله عنه ليبشروه بما فعلوا قال لمن حمل له سيف الزبير : «إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ لا تأذنوا لمن قتله برؤيتي وبشروه بالنار» وكانت وفاته رحمه الله سنة ٣٦ هـ وقال فيه شاعر الرسول حسان بن ثابت هذه الأبيات : ... *من كتاب (العشرة المبشرون بالجنة)*

أقـام علـى عهـد النبـي وهديــه	حواريّـه والقـول بـالفعل يعــدل
أقــام علــى مناهجــه وطريقـــه	يوالي ولـي الحـق والحق أعـدل
هو الفارس المشـهور والبطـل الـذي	يصـول إذا مـا كـان يـوم محجـل
له من رســول اللـه قربـى قريبـة	ومن نصرة الإسلام مجـد مؤثـل
فكـم كربــة ذب الزبــير بســيفه	عن المصطفى والله يعطي ويجـزل

غيرته على زوجته :

أخرج ابن سعد (٢٥٠/٨) عن أسماء بنت أبي بكر رضــي الله عنهمـا قالت : تزوجني الزبير رضي اللـه عنـه ومالـه فـي الأرض مـال ولا مملـوك ولا شيء غير فرسه ، قالت : فكنت أعلف فرســه وأكفيـه مؤونتـه وأسوسـه وأدق النوى لبعيره وأعلفه وأسقيه الماء وأعجــن . ولـم أكـن أحســن أن أخـبز فكـان يخبز لي جارات من الأنصار ، وكن نسوة صدق ، قالت : وكنت أنقـل النـوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي علـى ثلثـي فرسـخ قالت : فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيـت رسـول اللـه ﷺ ومعـه نفـر مـن أصحابه فدعاني ثم قــال جملـه : إخ . . إخ ليحملنـي خلفـه فاسـتحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته ، وكان من أغير الناس . فمضى الرسول عليه السلام فجئت الزبير فقلت : لقيني رسـول اللـه ﷺ وعلـى رأسـي النـوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب معه فاستحييت وعرفت غــيرتك فقـال : والله لحملك النوى كان أشد عليّ من ركوبك معه قالت : حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك بخادم فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني» .

وعن عكرمة أن أسماء بنت أبي بكر كانت تحت الزبير بن العوام وكان شـديداً عليها فأتت أباها فشكت ذلك إليه ، فقال لها : «يا بنية اصبري فـإن المرأة إذا كـان لها زوج صالح ثم مات عنها فلم تتزوج بعد جمع الله بينهما في الجنة» .
(حياة الصحابة جـ٢ ص٢٩٣) .

الزبير راوي حديث رسول الله ﷺ :

روى الزبير بن العوام عن رسول الله ﷺ أحاديث ليست بالقليلة كما هو وارد في كتب الحديث المتعددة ومما روى عن الزبير ما يلي :

أخرج البزاز عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : «عرض رسول الله ﷺ سيفاً يوم أحد فقال : من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام أبو دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه فقال : يا رسول الله أنا آخذه بحقه . قال : فأعطاه إياه فخرج واتبعته فجعل لا يمر بشيء إلا أفراه ـ أي شقه ـ وهتكه حتى أتى نسوة في سفح الجبل ومعهن هند وهي تقول :

نحن بنات طارق	نمشي على النمارق[1]
والمسك في المفارق	إن تقبلوا نعانق
أو تدبروا نفارق	فراق غير وامق[2]

قال : فحملت عليها فنادت في الصحراء فلم يجبها أحد . فانصرفت عنها فقالت له : كل صنيعك رأيته فأعجبني غير أنك لم تقتل المرأة . قال : فإنها نادت فلم يجبها أحد فكرهت أن أضرب بسيف رسول الله امرأة لا ناصر لها» .

وعن ابن هشام كما في البداية (١٦/٤) قال : «حدثني غير واحد من أهل العلم إن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة رضي الله عنه وقلت : أنا ابن صفية عمته ومن قريش ، وقد قمت إليه فسألته إياه قبله

(١) الوسائد
(٢) غير محب

فأعطاه أبا دجانة وتركني ، والله لأنظرن ما يصنع؟ فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه وأخذ يقول :

أنا الذي عاهد لي خليلي	ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر غير الكيول[1]	أضرب بسيف الله والرسول

وصيته لولده عبد الله :

أخرج البخاري عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : «لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقمت إلى جنبه فقال : يا بني لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم وإني لا أراني إلا سأقتل اليوم مظلوماً وإن من أكبر همي تدبني ـ دين عليه ـ أفترى يُبقي دَيْنُنا من مالنا شيئاً؟ وقال : يا بني بع ما لنا فاقض ديني ـ وأوصى بالثلث لبنيه ـ فإن فضل بعد قضاء الدين فثلثه لولدك وجعل يوصيني بدينه ويقول : يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه مولاي قال عبد الله : فو الله ما دريت ما أراد حتى قلت : يا أبت من مولاك؟ قال : الله . قال : فو الله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت : يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه .

فقتل الزبير ولم يدع ديناراً ولا درهما إلا أرضين منها الغابة ـ موضع قرب المدينة ـ وإحدى عشرة داراً بالمدينة ودارين بالبصرة وداراً بالكوفة وداراً بمصر ، قال وإنما كان دينه الذي عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه فيقول الزبير : لا ولكنه سلف فإني أخشى عليه الضيعة وما ولي إمارة قط ولا جباية خراج ولا شيئاً إلا أن يكون له في غزوة مع النبي عليه السلام أو مع أبي بكر وعثمان رضي الله عنهم ، قال عبد الله بن الزبير : فحسبت ما عليه من الدين فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف ، قال : فلقي حكيم بن حزام عبد الله

(١) الكيول: آخر الصفوف في الحرب.

بن الزبير رضي الله عنهم فقال : يا ابـن أخـي كـم علـى أخـي مـن الديـن؟ فكتمه فقال : مائة ألف ، فقال حكيم والله ما أرى أموالكم تسع لهذه ، فقـال له عبد الله : أفرأيت إن كانت ألفي ألف ومائتي ألف؟ قال : ما أراكم تطيقـون هذا ، فإن عجزتم عن شيء منــه فاستعينوا بـي . قـال : وكـان الزبـير اشـترى الغابة بسبعين ومائة ألف فباعها عبد الله بألف ألف وسـبعمائة ألـف ثـم قـام فقال : من كان له على الزبير حق فليوافينا بالغابة ، فأتاه عبد اللـه بـن جعفـر رضي الله عنهما ـ وكان له على الزبـير أربـع مائـة ألـف فقـال لعبـد اللـه : إن شئتم تركتها لكم قال عبد الله : لا . قال : فـإن جعلتموهـا فيمـا تؤخـرون إن أخرتم . فقال له عبد الله : لا . قال : فاقطعوا لي قطعة فقال عبد الله : لك من ها هنا إلى هناك . قال : فباع منها فقضى دينه فأوفاه وبقي منها أربعـة أسـهم ونصف فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان والمنذر بن الزبير وابن زمعـة رضي الله عنهم فقال له معاوية : كم قومت الغابة؟ قال : كل سهم مائة ألـف قال : كم بقي؟ قال : أربعة أسهم ونصف فقال المنذر بن الزبـير : قـد أخـذت سهماً بمائة ألف وقال عمرو بن عثمان : قد أخذت سهماً بمائة ألف وقـال ابـن زمعة : قد أخذت سهماً بمائـة ألـف فقـال معاويـة : كـم بقـي؟ فقـال : سـهم ونصف قال : أخذته بخمسين ومائة . قال : وباع عبد اللـه بـن جعفـر نصيبـه من معاوية بستمائة ألف . قال : فلما فرغ ابن الزبير من قضاء ديـن أبيـه قـال بنو الزبير : أقسم بيننـا ميراثنـا قـال : لا واللـه لا أقسـم بينكـم حتـى أنـادي بالموسم أربع سنين : إلا من كان له دين علـى الزبـير فليأتنـا فلنقضـه . قـال : فجعل كل سنة ينادي بالموسم فلما مضى أربع سنين قسم بينهم قال : وكـان للزبير أربع نسوة ورفع الثلث فأصاب كل امرأة ألف ألـف ومائتـا ألـف فجميـع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف» . وهذه من ملامح بشارات الزبير بالجنة .

رحم الله الزبير بن العوام أبى أن يقابل الله وعليـه ديـن وفـي ذمتـه حـق الناس فكان حرصه أن يوصي ولده بالقضاء عنه .

ورحم اللـه عبد الله بن الزبير البار بوالديه الذي نفـذ مـا أوصـى بـه أبـوه

بكل أمانة وحرص ولكنها شفافية الإيمان تعمل في القلوب ما لا تعمل السيوف البتارة تؤدي الأمانات بقناعات لا تترك معها درهماً واحداً في ذمة صاحب الإيمان .

ورحم الله صحابة الزبير فقد هيأوا له بيع الغابة وتحملوها حتى مكّن الله عبد الله بن الزبير بتطهير ذمة أبيه أمام رب العالمين بعد رحيله إلى رب العرش العظيم .

الصحابي الجليل

طلحة بن عبيد الله
رضي الله عنه

عن علي رضي الله عنه قال : «سمعت أذناي من في ـ فم ـ رسول الله ﷺ يقول : «طلحة والزبير جاراي في الجنة»

(جامع الأصول جـ٨ ص٥٦٥)

وعن جابر عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله» (رواه الحاكم وصححه .

(جامع الأصول جـ٩/٣)

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فتحرك فقال رسول الله ﷺ :«اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» وكان عليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص .

(رواه الترمزي ومسلم ٢٤١٧ جامع الأصول جـ٨)

ابتاع طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه بئراً بناحية الجبل وأطعم الناس فقال رسول الله ﷺ :«إنك يا طلحة الفياض» .

عن أبي هريرة قال : «لما وضعت الحرب أوزارها افتخر أصحاب رسول الله ﷺ : بأيامهم وطلحة ساكت لا ينطق وسماك بن خرشة أبو دجانة ساكت فقال رسول الله ﷺ لقد رأيتني يوم أحد وما في الأرض قربي مخلوق غير جبريل على يميني وطلحة عن يساري» .

الصحابي الجليل
طلحة بن عبيد الله
رضي الله عنه

هو : طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم ابن مرة بن كعب بن لؤي القرشي يصل في نسبه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام فيلتقيان في مرة بن كعب ويلتقي مع أبي بكر الصديق في كعب بن سعد .

وخاله العلاء الحضرمي فأمه : الصعبة بنت عبد الله بن ربيعة الحضرمي التي أدركت الإسلام فأسلمت .

كان من السباقين إلى الإسلام حيث كان أحد الثمانية من الرجال الذين أسلموا ودخل الإسلام قلوبهم وضحوا من أجله مبكراً ولما انشرح صدره للإسلام دخل مع عثمان بن عفان على رسول الله ﷺ فقرأ عليهما القرآن وأنبأهما بحقوق الإسلام ووعدهما الكرامة من الله فآمنا وصدقا فقال عثمان : يا رسول الله قدمت من الشام فلما كنا في معان ونحن كالنيام إذا منادٍ ينادينا : أيها النيام هبوا فإن أحمد قد خرج بمكة فقدمنا فسمعنا بك .

وكان إسلام عثمان وطلحة على يدي أبي بكر الصديق قبل لقائهما بالنبي عليه الصلاة والسلام . فقد ذكر طلحة بن عبيد الله قصة إسلامه فقال : «حضرت سوق بصرى ـ الشام ـ فإذا راهب في صومعته يقول : سلوا أهل هذا الموسم أفيهم أحد من أهل الحرم؟ قال : قلت : نعم . أنا . فقال الراهب : : هل ظهر أحمد بعد؟ قلت : ومن أحمد؟ قال : ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي خرج فيه وهو آخر الأنبياء . مخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخل وحرة وسباخ فإياك أن تُسبق إليه . قال طلحة : فوقع في

قلبي ما قال فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت : هل كان من حَدَث؟ قالوا : نعم محمد بن عبد الله الأمين تنبأ وقد تبعه ابن أبي قحافة . قال : فخرجت حتى دخلت على أبي بكر رضي الله عنه فقلت : اتبعت هذا الرجل؟ قال : نعم فانطلق إليه وأدخل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق فأخبره طلحة بما سمع من الراهب فخرج أبو بكر بطلحة ودخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب فسر رسول الله عليه السلام .

ويبدو أن طلحة وعثمان التقيا عند رسول الله ﷺ مع أبي بكر .

ويروى أنه لما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تميم وكان نوفل بن خويلد يدعى «أسد قريش» ولذلك سمي أبو بكر وطلحة «القرينين» حتى دعا رسول الله ﷺ فقال : «اللهم اكفنا شر بن العدوية» .

وقد صدق إيمانه وتحمل الأذى في سبيل الله دون تحول حتى رضي الله عنه ورسوله وبشر بالجنة مع المبشرين بالجنة . وقد رافق الرسول حتى كان من رواة الحديث عنه فقد روى عن الرسول كثيراً من الأحاديث النبوية الشريفة .

وكان من أهل الشورى الستة وكنيته : «أبو محمد» وأطلق عليه رسول الله ﷺ : في يوم أحد : (طلحة الخير) وفي يوم حنين (طلحة الجواد) وفي غزوة العشيرة (طلحة الفياض) .

فقد أخرج الحسن بن سفيان وأبو نعيم في المعرفة عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : «ابتاع طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه بئراً بناحية الجبل وأطعم الناس فقال رسول الله ﷺ : إنك يا طلحة الفياض» .

مآثره في الإسلام :

كانت أدوار الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله أكثرها عسكري يبلي

فيها بلاء حسناً في معارك الإسلام ضد خصومه فقد شهد الوقائع كلها مع رسول الله وبعده إلا بدراً حيث كان فيها في مهمة استطلاعية في طريق الشام يرقب فيها تحرك المشركين وأخبارهم . وحينما نزل قوله تعالى «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً» ، تلا الرسول هذه الآية ونظر إلى أصحابه رضي الله عنهم فقال : وهو يشير إلى طلحة بن عبيد الله «من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله» .

وعن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما طلحة : أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي : «سله عمن قضى نحبه ، فسأله الأعرابي فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ـ ثم إني طلعت من باب المسجد وعليّ ثياب خضر فلما رآني رسول الله ﷺ قال : أين السائل عمن قضى نحبه؟ قال : أنا يا رسول الله . قال : هذا ممن قضى نحبه» ، وأخرج الطيلسي في مسنده عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ : «طلحة من قضى نحبه» . وهذا يدل على تأكيد شهادة طلحة في سبيل الله وإنه لا مجال للشك في ذلك . والتعبير بالماضي يدل على تأكيد الإخبار بالمستقبل كما قال تعالى يخبر عن هزيمة الروم ولم يكونوا دخلوا المعركة مع الفرس بعد . قال تعالى في سورة الروم «ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون» فقد غلبت الروم من الفرس ثم أعيدت الكرة على الفرس فعاد للروم نصرهم على الفرس وهزموهم بعد سنوات .

١ـ طلحة يوم بدر :

لم يشترك طلحة بن عبيد الله في معركة بدر لأن الرسول عليه السلام لما تحين وصول عير قريش من الشام بعث طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد قبل خروجه من المدينة بعشر ليال يتجسسان خبر العير فخرجا حتى بلغا الحوراء فلم يزالا يقيمان هناك حتى مرت بهما العير وبلغ رسول الله الخبر قبل

رجوعهما فندب أصحابه وخرج يطلب العير فتساحلت وساروا الليل والنهار ورجع طلحة وسعيد ليخبرا فوصلا المدينة يوم المعركة فسألا الرسول عليه السلام فوجداه قد ضرب لهما سهماً مثل المحاربين فيها .[1]

٢ـ طلحة يوم أحد :

كانت معركة أحد معركة اشترك فيها سلاح الثأر وحب الانتقام مع السلاح المادي وقد حشد لها المشركون وجاءوها بقلوب تقطر أحقاداً ونفوس مشحونة بحب الانتقام وشفاء الغليل بعد أن ذاقوا مرارة الهزيمة ولعقوا جراحهم ورجعوا يجرون أذيال الخيبة المهينة . وكان رسول الله ﷺ قد ألح في أوامره على الرماة في الجبل ألا يغادروا مواقعهم مهما شاهدوا من نهاية المعركة نصراً للمسلمين وهزيمة للمشركين أو العكس ، وكانت المعركة في صالح المسلمين وقد رأى الرماة المشركين يفرون ويخلون الميدان تاركين وراءهم ما جاءوا به من معدات مغرية سال لرؤيتها لعاب الرماة فتركوا المواقع واثقين بالنصر للمسلمين وهنا أراد رب العالمين أن يعلم المسلمين درساً لا ينسوه وهو ألا يتركوا مواقعهم الحربية لغرض دنيوي مهما كان مغرياً وألا يخالفوا أمر قائدهم وإلا حلت بهم الهزيمة المرة فرأى خالد بن الوليد الرماة قد تركوا مواقعهم وكشفوا بذلك ظهور المسلمين لينتهز الفرصة خالد بن الوليد وكان وقتها في صفوف المشركين ويفاجئ المسلمين بالهجوم مع من بقي معه من فرسان المشركين فينقلب نصر المسلمين هزيمة وفرحهم جراحاً وآلاماً وقتلى وفراراً من الميدان حتى لم يبق مع الرسول إلا المؤمنون الصادقون الذين دافعوا عن الرسول بأرواحهم ومنهم طلحة بن عبيد الله الذي أبلى بلاءً حسناً منقطع النظير فقد فيه يده التي شلت وقطعت أصابعها فيقول في ذلك رسول الله ﷺ لأصحابه : «أوجب طلحة» أي استحق الجنة ووجبت له .

أخرج النسائي من حديث يحيى بن أيوب وآخر عن عمارة بن غزيّة عن ابن

(١) سير أعلام النبلاء ص٢٥

الزبير عن جابر قال : «لما كان أحد وولى الناس كان رسول اله في ناحية في اثني عشر رجلاً منهم طلحة فأدركه المشركون فقال النبي عليه السلام من للقوم؟ قال طلحة : أنا . قال : كما أنت ـ أي اثبت مكانك ـ فقال رجل : أنا . قال : أنت فقاتل الرجل حتى قتل . ثم التفت فإذا المشركون فقال : من لهم؟ قال طلحة : أنا . قال : كما أنت فقال رجل من الأنصار : أنا . قال : أنت . فقاتل حتى قتل . فلم يزل كذلك حتى بقي مع النبي عليه السلام طلحة فقال : من للقوم؟ قال طلحة : أنا . فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى قطعت أصابعه فقال رسول الله ﷺ لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون ، ثم رد الله المشركين . وقال له رسول الله في هذه المعركة : «إنك طلحة الخير» . .

وتروى عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر وصف هذا اليوم فقالت : «كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد يقول : ذلك كله كان يوم طلحة ، كنت أول من جاء النبي ﷺ فقال لي ولأبي عبيدة بن الجراح دونكم أخاكم ، ونظرنا وإذا به بضع وسبعون بين طعنة وضربة ورمية وإذا أصابعه مقطوعة ، فأصلحنا من شأنه» .

هذه بعض لمحات من حياة طلحة في خدمة الإسلام والدفاع عن رسول الله عليه السلام حتى صار من المبشرين بالجنة . روى الترمزي عن علي بن أبي طالب قال : «سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول : طلحة والزبير جاراي في الجنة» .

وأخرج ابن عساكر عن طلحة رضي الله[1] عنه قال : «لما كان يوم أحد ارتجزت بهذا الشعر :

نحن رماة غالب ومالك	نذبُّ عن رسولنا المبارك
نضرب عنه القوم في المعارك	ضرب صفاح الكوم[2] في المبارك

(١) حياة الصحابة جـ١ ص٥٤٦.
(٢) الكوم: جمع كوماء وهي الناقة الضخمة السنام.

وما انصرف رسول الله ﷺ حتى قال لحسان ابن ثابت رضي الله عنه «قل في طلحة» فقال :

وطلحة يوم الشِّعْب آسى محمداً ... على ساعة ضاقت عليه وشُقَّت
يقيه بكفيه الرماح وأسلمت ... أشاجعه[1] تحت السيوف فشُلَّت
وكان أمامَ الناس إلا محمداً ... أقام رحى الإسلام حتى استقلَّت

وقال فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

حمى بني الهدى والخيل تتبعه ... حتى إذا ما لقوا حامى عن الدين
صبراً على الطعن إذ ولت ... والناس من بين مهدي ومفتون
يا طلحة بن عبيد الله قد ... لك الجنان وزُوِّجْتَ المها العينَ

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

حمى نبي الهدى بالسيفِ ... لما تولى جميع الناس وانكشفوا

قال : فقال النبي ﷺ : «صدقت يا عمر»

(منتخب الكنز ٥/٦٨)

■ أخرج الطبراني عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أنه صلى بقوم فلما انصرف قال : «إني نسيت أن أستأمركم قبل أن أتقدم ، أرضيتم بصلاتي؟ قالوا : نعم ومن يكره ذلك يا حواريّ رسول الله ﷺ . قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : أيما رجل أمّ قوماً وهم له كارهون لم تَجُزْ صلاته أذنيه» ـ أي لم تتجاوز أذنيه .

---

(١) الأشاجع: عروق الأصابع

■ **أخرج الحاكم في المستدرك (٥١٢/٣)** عن أبي أنس مالك بن أبي عامر الأصبحي قال : «كنت عند طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فدخل عليه رجل فقال : يا أبا محمد ، والله ما ندري هذا اليماني أعلم برسول الله ﷺ أم أنتم؟ تقوَّل على رسول الله ﷺ ما لم يقل؟ يعني أبا هريرة رضي الله عنه . فقال طلحة : والله ما نشك أنه سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع وعلم ما نعلم ، إنا كنا قوماً أغنياء لنا بيوت وأهلون ، كنا نأتي رسول الله ﷺ طرفي النهار ثم نرجع ، وكان أبو هريرة مسكيناً لا مال له ولا أهل ولا ولد ، إنما كانت يده مع يد النبي ﷺ ، وكان يدور معه حيث ما دار ، ولا نشك أنه قد علم وسمع ما لم نسمع ، ولم يتهمه أحد منا أنه تقوَّل على رسول الله ﷺ ما لم يقل[1]» .

■ **حدثنا هشام بن يوسف عن عبد الله** بن مصعب أخبرني موسى بن عقبة ، سمعت علقمة بن وقاص الليثي قال : «لما خرج طلحة والزبير وعائشة للطلب بدم عثمان عرجوا عن منصرفهم بذات عرق فاستصغروا عروة بن الزبير وأبا بكر بن عبد الرحمن فردوهما ، قال : ورأيت طلحة وأحب المجالس إليه أخلاها ـ يعني يحب الخلوة ـ وهو ضارب بلحيته على زوره فقلت : يا أبا محمد إني أراك وأحب المجالس إليك أخلاها ، إن كنت تكره هذا الأمر فدعه ، فقال : يا علقمة لا تلمني ، كنا بالأمس يداً واحدة على من سوانا فأصبحنا اليوم حبلين من حديد يزحف أحدنا على صاحبه . ولكنه كان مني شيء في أمر عثمان مما لا أرى كفارته إلا سفك دمي وطَلَبَ دمه . قلت : الذي كان منه في حق عثمان تَمغفلٌ وتأليب فعله باجتهاد ثم تغير عندما شاهد مصرع عثمان فندم على ترك نصرته رضي الله عنهما» .

وكان طلحة أول من بايع علياً ، أرهقه قتلة عثمان وأحضروه حتى بايع .

■ **قال ابن سعد في طبقاته (١٥٨/١/٣)** عن حكيم بن جابر قال :

---

(١) حياة الصحابة جـ٣ ص١٨٩.

«قال طلحة : إنا داهنّا في أمر عثمان فلا نجد اليوم أمثل من أن نبذل دماءنا فيه اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى»

(أعلام النبلاء ص٣٥)

■ **عن أبي حبيبة مولى طلحة قال** : «دخلت على علي رضي الله عنه مع عمران بن طلحة بعد وقعة الجمل فرحب به وأدناه منه ثم قال : إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك ممن قال الله فيهم :

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ

(الحجر ١٥)

يا ابن أخي إن كان لك حاجة فأتنا»

(ابن كثير ١٦٤/٤)

■ **أخرجه أحمد** (١٦١/١) من طريق أسباط عن مطرف عن عامر عن يحيى بن طلحة عن أبيه طلحة قال : «رأى عمر طلحة بن عبيد الله ثقيلاً فقال : ما لك يا فلان لعلك ساءتك إمرة ابن عمك . قال : لا . إلا أنني سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً ما منعني أن أسأله عنه إلا القدرة عليه حتى مات . سمعته يقول : إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا أشرق لها لونه ونفس الله عنه كربته . قال : فقال عمر رضي الله عنه : إني لا علم ما هي؟ قال : وما هي؟ قال : تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت؟ لا إله إلا الله . قال طلحة : صدقت هي والله هي» .

■ **روى سعيد بن عامر الضبعي عن المثنى بن سعيد قال** : «أتى رجل عائشة بنت طلحة فقال : رأيت طلحة في المنام فقال لي : قل لعائشة تحولني من هذا المكان فإن النزّ قد أذاني فركبت في حشمها فضربوا عليه بناءاً واستثاروه قال : فلم يتغير منه إلا شعيرات في إحدى شقي لحيته . وكان بينهما بضع وثلاثون سنة» وهكذا هم الشهداء الأبرار .

إنفاقه في سـبيل اللـه :

كان طلحة بن عبيد الله تاجراً له من الثراء الكثير وكان جواداً يبذل ما له في سبيل الله في الحرب وفي السلم وكم لـه مـن مواقف مشـهودة فـي هـذا المجال شهد له بها الأصحاب وغيرهم فكيف لا يبشر بالجنة من يطفيء غضب الله بالصدقات؟؟ لقد كان طلحة رضي اللـه عنه طعاماً للنـاس فعّـالاً للخير سباقاً للأجواد . يصف جابر بن عبد اللـه جوده فيقول :

«ما رأيت أحداً أعطى لجزيل مال من غير مسألة من طلحة بن عبيد الله» وكان من أكثر الناس براً بأهله وذويه فكان يعولهم مهما كثروا حتى قيـل فيـه كان لا يدع أحداً من بني تميم عائلاً إلا كفـاه مؤونتـه ومؤونـة عيالـه ــ وكـان يزوج أياماهم ويقضي دين غارمهم» وقال السائب بن زيـد : «صحبت طلحة بن عبيد الله في السفر والحضر فما وجدت أحـداً أعـم سـخاءاً علـى الدرهـم والثوب والطعام من طلحة» وكان بين الحرب والحـرب ينمـي تجارتـه ويضـرب في الأرض يبتغي من فضل اللـه وكـانت ثروتـه فـي خدمـة الديـن الحنيـف والإسـلام المجيد ينفق منها بغير حسـاب فينميهـا اللـه كـل حبـة بسـبعمائة حبة .

عن سعدى امرأة طلحة رضى الله عنهما قالت : لقد تصدق طلحـة يومـاً بمائة ألف درهم ثم حبسه عن الرواح إلى المسـجد أن جمعـت لـه بـين طرفـي ثوبه» تعني تصدق بهذا المال الكثير وثـوبه يحتاج إلى إصلاح .

أخرج أبو نعيم في الحلية (٨٨/١)

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : ابتاع طلحة بن عبيـد اللـه رضـي الله عنه بئراً بناحية الجبل وأطعم الناس فقال رسول الله ﷺ : «إنك يـا طلحـة الفياض» .

■ وأخرج الحاكم (٣ / ٣٧٨) عن سعدى امرأة طلحة رضي اللـه عنهمـا قالت :

دخل عليّ طلحة فوجدته مغموماً فقلت : مالى أراك كالح الوجه أرابك من أمرنا شيء؟ قال : لا والله ما رابني من أمرك شيء ولنعم الصاحبة أنت ، ولكن مالا اجتمع عندي قالت : فابعث إلى أهلك وقومك فاقسم فيهم قالت : ففعل فسألت الخازن كم قسم؟

فقال : أربعمائة ألف .

أتاه مال من حضرموت يقدر بسبع مائة ألف فبات ليلته يتململ فقالت له زوجته : مالك؟ قال : تفكرت منذ الليلة فقلت : ما ظن رجل بربه ببيت وهذا المال في بيته؟ قالت : فأين أنت عن بعض أخلائك فإذا أصبحت فادعُ بجفان وقصاع فقسمه : فقال لها : رحمك الله ، إنك موفقه بنت موفق ـ وهي أم كلثوم بنت الصديق رضي الله عنهما فلما أصبح دعا بجفان فقسمها بين المهاجرين والأنصار وبعث إلى علي منها بجفنة فقالت له زوجته : أين نصيبنا أبا محمد؟ فال : أين كنتِ؟ شأنكِ بما بقي

قالت : فكانت حرة فيها نحو مائة ألف درهم .

ـ وفدى طلحة بن عبيد الله عشرة من أسارى بدر بماله .

ولهذا كان الرسول عليه السلام يدعوه بهذه الأسماء : الصبيح والمليح ـ والفصيح ـ يا صبيح ـ يا مليح ـ يا فصيح .

ـ وقد روي أن رسول الله ﷺ مرّ في غزوة (ذي قرد) على ماء مالح يقال له : «بيسان» فغير الرسول اسمه وقال : هو نعمان وهو طيب . . فلما سمع طلحة ذلك من رسول الله ﷺ ذهب على الفور واشتراه وتصدق به على المسلمين فقال له رسول الله ﷺ : «ما أنت يا طلحة إلا فياض» .

دور طلحة بن عبيد الله والفتنة : ومقتله :

كان طلحة بن عبيد الله في مكة يوم قتل عثمان رضي الله عنه فأخذه هول الجريمة كما أخذ كبار الصحابة الزبير ابن العوام وأم المؤمنين عائشة رضي

الله عنها والتي ألقت خطاباً هاماً بهـذه المناسـبة فـي مكـة المكرمـة حشـدت حولها الحشود وتحرك الجيش إلى البصرة حيث رأس الفتنة وفي معركة الجمل وعندما رأى علي بن أبي طالب الزبير وطلحة قال للزبير :

يا زبير : نشدتك اللـه أتذكر يوم مر بك رسول الله ﷺ ونحن بمكان كـذا؟ فقال : يا زبير : ألا تحب علياً؟ فقلت : ألا أحب ابن خالي وابن عمي ومن هو على ديني؟ فقال : لك يا زبير «أما والله لنقاتلنه وأنت ظالم له»

فتذكر الزبير الحديث وقال لعلي رضي الله عنـه : قـد نسـيته ، واللـه لـن أقاتلك» ورجع ليستشهد في طريق عودته إلى المدينة .

ثم قال علي لطلحة : أما سمعت يا طلحة رسول الله ﷺ يقول «اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه» وأنت أول من بايعني ثم نكثت وقـد قـال اللـه عـزَ وجل «فمن نكَث فإنما ينكث على نفسه» .

فتراجع طلحة وخرج دون أن يحارب عليـاً أو يشـترك فـي المعركـة ولكنـه أصيب بسهم أصابه في مقتل مات به سنة ٣٦هـ ومما يـروى ويقـال أن عليـاً رضي الله عنه لما رأى طلحة ملقـى فـي واد نـزل فمسـح الـتراب عـن وجهـه وقال : «عزيز عليَّ يا أبا محمد أن أراك مجدلاً في الأودية تحت نجـوم السـماء إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري»

قال الأصمعي : معناه سرائري وأخراني التي تموج في جوفـي ويـروى أن علياً قال «بشروا قاتل طلحة بالنار» رحم الله أبا محمد طلحة بـن عبيـد اللـه المجاهد بماله ونفسه حتى قال فيه رسول الله صلى الله كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : «لقد رأيتني يوم أحد وما قربي أحد غير جبريل عـن يميني وطلحة عن يساري»

الصحابي الجليل

سعد بن أبي وقاص
رضي الله عنه

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدنية ليلةً فقال : «ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة ، قالت : فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح فقال : «من هذا؟ قال : سعد بن أبي وقاص فقال له رسول الله ﷺ : ما جاء بك؟ فقال : وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه . فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام .

مسلم ١٢٥/٧

قال له رسول الله ﷺ يوم أحد : «ارمِ فداك أبي وأمي»

روى أبو هريرة رضي الله عته أن النبي ﷺ قال : «يا سعد أنت ناصر الدين حيث كنت»

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ قال : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلع سعد ابن أبي وقاص حتى إذا كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك فطلع سعد .

دعا له رسول لله ﷺ بقوله : «اللهم سدد رميته وأجب دعوته»

الصحابي الجليل
سعد بن أبي وقاص
رضي الله عنه

هو : أبو اسحاق سعد بن مالك أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف ابن زهرة . وأحياناً يقال عنه : سعد بن مالك الزهري ـ سعد بن وهيب ولكن أشهرها : سعد بن أبي وقاص .

وجده أهيب بن عبد مناف أخو وهب بن عبد مناف أبى آمنة أم النبي عليه السلام فهو من أخوال الرسول عليه الصلاة والسلام وكان الرسول عليه السلام يفخر بهذا النسب حين قال له وهو بين أصحابه «هذا خالي فليرني أمرؤ خاله»

وأمه «جمنة» من بني أمية . .

إســـلامه :

كان سعد بن أبي وقاص من السباقين باعتناق الإسلام على يد أبي بكر الصديق . فقد استجاب لدعوة أبي بكر له للإسلام وهو في السابعة عشرة من عمره عن حب ويقين صادق بعد رؤيا رآها في منامه رقت قلبه للإسلام وجذبت روحه للإيمان فوفرت عليه قلق التفكير ونزعة الشك وأرق التردد يقول سعد في هذا : «رأيت في المنام قبل أن أسلم كأني غارق في ظلمات بعضها فوق بعض إذ أضاء لي قمر فاتبعته فرأيت نفراً قد سبقوني إلى ذلك القمر : رأيت زيد بن حارثة وعلي بن أبي طالب وأبا بكر فسألتهم : متى أنتم ها هنا؟ فقالوا : الساعة .

ولما طلع النهار بحثت حتى لقيت أبا بكر فعلمت أن الرسول عليه السلام

يدعو مستخفياً فذهبنا إلى رسول الله في شعب جياد وكان قد صلى العصر فأسلمت بعد أن سمعت منه القرآن . ولم يسبقني أحد إلى الإسلام سوى هؤلاء النَّفر الذين رأيتهم في منامي .

وقد تعرض سعد لابتلاء كبير بعد إسلامه . فلقد كان باراً بأمه يحنو عليها ويسمع مطيعاً . فلما سمعت بخبر إسلامه قالت : يا سعد ما هذا الدين الذي تركت به دين أمك وأبيك؟ وأصرت عليه مستنكرة وحالفة : أن يدعه أو تترك الطعام والشراب حتى تموت فيعيِّره الناس ما عاش «لتدعن هذا الدين أو لأدعن الطعام والشراب حتى أموت فَيُعيِّرك الناس ما حييت» واسترضاها يوماً وليلة وهي ماضية حتى جهدت ، ولكنه لما يئس من ذلك قال لها في إصرار المؤمن الذي ذاق حلاوة الإيمان فأصبح اللهُ ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما قال لها قولته المشهورة :

«يا أماه : والله لو كان لك ألف نفس فخرجت منك نفساً بعد نفس ما تركت ديني» فلما أيقنت أنه لا محالة ماض أذعنت وسلمت بالأمر الواقع فأكلت وشربت وهي عليه غاضبة وفيه نزلت الآية الكريمة :

وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ

(لقمان ١٥)

مآثره في الإسلام :

كان سعد بن أبي وقاص من رواة الحديث النبوية الشريف فقد روى كثيراً من أحاديث الرسول عليه السلام وكان ثقة وقريباً من رسول الله ﷺ ، له في الصحيحين خمسة عشر حديثاً وانفرد البخاري له بخمسة أحاديث

وانفرد مسلم له بثمانية عشر حديثاً .

اخرج الطبراني عن سعد بن أبي وقاص أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد : ألا تدعو الله؟ فخلوا في ناحية فدعا سعد فقال : يا رب إذا لقيت العدو فَلَقِّني رجلاً شديداً بأسه شديداً حرده أقاتله ويقاتلني ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وآخذ سلبه فأمَّن عبد الله بن جحش ثم قال : اللهم ارزقني رجلاً شديداً حرده شديداً بأسه أقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك غدا قلت : من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول : فيك يا رب وفي رسولك فتقول : صدقت .

قال سعد : كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي . لقد رأيته آخر النهار وان أنفه وأذنه لمعلقان في خيط

البيهقي ٢٠٧/٦

ولم يكن يدري بطلنا سعد بن أبي وقاص أن الله ادَّخر له دعوته ليجيبه بها في رستم المجوسي ويزدجرد ملك الفرس

وكان سعد أول من رمى في سبيل الله بسهم . فقد أخرج ابن عساكر عن الزهري قال : بعث رسول الله ﷺ سرية فيها سعد ابن أبى وقاص رضي الله عنه إلى جانب من الحجاز يدعى رابغ ، فانكفأ المشركون على المسلمين فجاءهن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يؤمئذ بسهامه وكان أول من رمى بسهم في سبيل الله وكان هذا أول قتال في الإسلام وقال سعد رضي الله عنه في رميه :

ألا هل أتى رسولَ الله أني ... حميت صحابتي بصدور نبلي

أذود بها أوائلهم ذياداً ... بكل حزونة[1] وبكل سهل

فما يعتد رام في عدو ... بسهم يا رسولَ الله قبلي[2]

---

(١) الارض الغليظة

(٢) حياة الصحابة جـ١ ص٥٥٠

وقد قتل ثلاثة بسهم واحد :

فقد أخرج ابن عساكر عن ابن شهاب قال : قتل سعد رضي الله عنه يوم أحد بسهم واحداً ثلاثة رمى به فردوه عليه فرمى به الثانية فقتل فردوه عليه فرض به الثالثة فقتل . فعجب الناس بما فعل سعد رضي الله عنه فقال : إن النبي ﷺ أنبلنيه . . قال : وجمع له رسول الله ﷺ فقال : (إرم فداك أبي وأمي) .

هاجر سعد مع رسول الله ﷺ مضحياً بكل شيء في سبيل الله وحب رسوله . وقال له رسول الله ﷺ «يا سعد أنت ناصر الدين حيث كنت»

وقد دعا له رسول الله ﷺ فقال : «اللهم سدد رميته وأجب دعوته»

فقد كان سعد مسدد الرمية كما رأينا وكان مستجاب الدعاء كيف لا؟ وهو لا يأكل إلا طيباً ولا يلبس إلا طيباً ولا يشرب إلا طيباً .

أخرج الطبراني عن عامر بن سعد قال : بينما سعد رضي الله عنه يمشي إذ مر برجل وهو يشتم علياً وطلحة والزبير رضي الله عنهم فقال له سعد : انك تشتم أقواماً قد سبق لهم منك ما سبق والله لتكفَنَّ عن شتمهم أو لأدعَونَّ الله عز وجل عليك . فقال الرجل :

يخوفني كأنه نبي فقال سعد : «اللهم أن كان يشتم أقواماً قد سبق لهم منك ما سبق فاجعله اليوم نكالاً» فجاءت ناقة نافرة تجري نحو الرجل من بين الناس فتخبطته حتى هلك . فلحق الناس يتبعون سعداً يقولون : «استجاب الله لك يا أبا إسحاق» .

وقد ربى أخاه على الشجاعة في سبيل الله فقد روى سعد رضي الله عنه قال : رأيت أخي عمير ابن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتوارى فقلت : مالك يا أخي؟ قال : إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني فيردني وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة قال :

فعرض على رسول الله ﷺ فرده فبكى فأجازه فكان سعد رضي الله عنه يقول : كنت أعقد حمائل سيفه من صغره فقاتل حتى استشهد .

وكما اشترك في بدر اشترك مع الرسول عليه السلام في غزوة أحد كان سعد أحد القلائل الذين ثبتوا يدفعون عن رسول الله ﷺ فكان يرمي السهام فتصيب المقاتل من الأعداء فترديهم قتلى .

ولما رآه رسول الله ﷺ أخذ يحضه ويقول له : «إرمِ سعد . . . . إرمِ فداك أبي وأمي» ولم يجمع رسول الله عليه السلام لأحد قبله بأمه وأبيه .

وفي القادسية التي أدخر الله تعالى لسعد دعوته فيها فقد كان الأسد المرتجى في نظر أصحاب أمير المؤمنين عمر وخاصته المستشارين . فعندما قرر أن يرسل الجيوش لمجابهة العدو الفارسي المجوسي في ذلك الوقت المتغطرس استدعى الأمصار لتأتيه بالمدد البشري والسلاح فأخذت الجيوش تتوافد على المدنية يقودها خيرة أبطال المسلمين ملبين دعوة أمير المؤمنين وكان الفاروق قد عزم أن يكون هو قائد هذه الجيوش ضد ملك كسرى لما لها من أهمية في مستقبل الإسلام . ولكن الصحابة رضوان الله عليهم أشاروا عليه بأن يبقى هو في المدينة ويختار لها رجلاً لا يقل عنه في العزيمة . حتى اهتدوا إلى سعد ابن أبي وقاص ذلك الذي وصفه الصحابة : بقولهم : إنه الأسد في براثنه نعم هو الأسد المغوار .

وكان أمير المؤمنين عمر قد قال «والله لأرمين العجم بملوك العرب» وكتب عمر إلى الأمراء في ذي الحجة سنة ١٣هـ : «لا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة ولا تدعوا رئيساً ولا ذا رأي وشرف وبسطةٍ ولا خطيباً ولا شاعراً إلا وجهتموه إليَّ» .

وأخذ الناس القريبون من العراق يتوجهون مباشرة إلى المثنى بن حارثة والقريبون من المدينة يتوجهون إلى المدينة . ولما أكملت الاستعدادات جمع أمير المؤمنين الصحابة وأخبرهم بعزمه لقيادة الجيش ولكنهم أبوا عليه ذلك

لأن وجوده في المدينة لا يكفيه غيره وعنده من الرجال من يكفي مكانه على قيادة الجيش . فقال : ومن هو؟ قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه هو يا أمير المؤمنين الأسد في براثنه سعد بن مالك الزهري . فسر عمر بهذا الاختيار الموفق وبعث إليه أن يحضر من نجد حيث كان على صدقات هوزان فحضر سعد وأولاه الخليفة عمر الإمارة على الجيش المتوجه إلى العراق في أخطر المهمات التي ليس لها رجل إلا الشجاع المكيث المجرب الممارس وأوصاه فقال له : «يا سعد سعد بني وهيب . لا يغرنّك من الله أن قيل خال رسول الله وصاحب رسول الله ﷺ فإن الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله ﷺ عليه منذ بعث إلى أن فارقنا فإنه الأمر ، هذه عظتي إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من ا لخاسرين»[1] .

وسار سعد أميراً للجيش على بركة الله ومعه في جيشه تسعة وتسعون بدرياً وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت لهم صحبة في بيعة الرضوان وما بعدها . وثلاثمائة ممن شهدوا فتح مكة ، وسبعمائة من أبناء الصحابة[2] ، والآخرون من المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ووصل سعد العراق حتى عسكر في القادسية ليقابل هناك الفرس بعظمتهم وقائدهم المشهور رستم .

رسائل سعد إلى رستم وكسرى :

وصل من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كتاب إلى سعد جواباً على كتاب منه يقول له فيه ويوجهه للتعامل مع حشود الأكاسرة في القادسية :

---

(١) الطبري ٤٨٣/٣

(٢) صور من حياة الصحابة ١١٨/٤.

«لا يكربنك ما تسمع منهم ولا ما يأتونك به واستعن بالله وتوكل عليه وابعث إليه رجالاً من أهل النظر والرأي والجلد يدعون إلى الله واكتب اليّ في كل يوم» .

فنفذ سعد وصية أمير المؤمنين وأخذ يرسل الرسائل إلى رستم قائد جيش الأكاسرة في حرب المعنويات التي تهزم المتحاربين قبل هزيمتهم بالسلاح .

ذكر ابن كثير في البداية (٣٨/٧) أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعث جماعة من حكماء المسلمين يدعون رستم إلى الله عز وجل فقال لهم رستم : «ما أقدمكم؟ قالوا جئنا لموعود الله إيانا أخذ بلادكم وسبى نسائكم وأبنائكم وأخذ أموالكم فنحن على يقين من ذلك» .

وقد رأى رستم في منامة كأن ملكاً نزل من السماء فختم على سلاح الفرس كله ودفعه إلى رسول الله ﷺ فدفعه رسول الله إلى عمر رضي الله عنه» .

وهنا يصدق فيهم قول الرسول عليه السلام «نصرت بالرعب من مسيرة شهر» .

ولما تواجه الجيشان بعث رستم إلى سعد رضي الله عنه أن يرسل إليه برجل عاقل عالم بما أسأله عنه . فبعث إليه المغيرة بن شعبة ، فلما وصل إليه جعل رستم يقول : «إنكم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونكف الأذى عنكم فارجعوا إلى بلادكم ولا تمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا . فقال له المغيرة : إنا ليس طلبنا الدنيا وإنما همنا وطلبنا الآخرة وقد بعث الله إلينا رسولاً قال له : إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني فأنا منتقم بهم منهم واجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلا ذل ولا يعتصم به أحد إلا عز . قال له رستم : فما هو؟ فقال : أما عموده فشهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإقرار بما جاء من عند

الله . قـال رستم : وأي شيء؟ قـال : وإخـراج العبـاد مـن عبـادة العبـاد إلـى عبادة الله .

قال وأي شيء؟ قال : والناس بنو آدم فهم إخوة لأب وأم .

قال رستم : أرأيت أن دخلنا في دينكم أترجعـون عـن بلادنـا؟ قـال : أي والله ثم لا نقرب بلادكم إلا في تجارة أو حاجة» .

قال سيف بن حجر التميمـي الـذي نقـل عنـه الطبري : «فلمـا خـرج المغيرة من عنده ذاكر رستم رؤساء قومه في الإسلام ولكنهم أنفوا ذلـك وأبـوا أن يدخلوا فيه قبحهم الله وأخزاهم ، وقد فعل .

ثم بعث إليه سعد رضي الله عنه رسولاً آخر هو ربعي ابـن عـامر فدخـل عليه وقـد زينـوا مجلسـه بالنمـارق المذهبـة والزرابـي الحريـر وأظهـر اليواقيـت واللآلئ الثمينة والزينة العظيمة وعليه تاجه وقد جلس على سرير من ذهب . ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة ولم يزل راكبها حتـى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد وأقبـل عليـه بسلاحه ودرعه وبيضته على رأسه . فقالوا له : ضع سلاحك . فقـال ربعـي : إني لم آتكم وانما دعوتموني فان تركتموني هكذا والا رجعت . فقال رستم : ما جاء بكم؟ قال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلـى عبـادة اللـه ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جـور الأديـان إلـى عـدل الإسـلام فأرسـلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم فمن قبل ذلك قبلنـا منـه ورجعنـا عنـه ومـن أبـى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله قال : وما موعود الله؟ قال : الجنة لمـن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقي . فقـال رسـتم : لقـد سـمعت ، فهـل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال : نعم كم أحب إليكم؟ يوماً أو يومين قال : لا . بل حتى تكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا فقال ربعـي : ما سنّ لنا رسولنا عليه السلام أن نؤخر الأعداء عنـد اللقـاء أكـثر مـن ثـلاث فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعـد الأجـل فقـال : أسـيدهم

أنت؟ قال : لا . ولكن ، المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهـم ، فاجتمع رستم برؤساء قومه فقالوا : معاذ الله أن نميل إلى الشيء وتـدع دينـك إلى هذا الكلب» .

وفي اليوم التالي بعث سعد رضي الله عنه بالمغيرة بن شـعبة رضـي اللـه فتكلم بكلام حسن طويـل . وقـال رسـتم : إنما مثلكـم فـي دخولكـم أرضنـا كمثل الذباب رأى العسل فقال من يوصلني إليـه ولـه درهمـان . فلمـا سـقط عليه غرق فيه فجعل يطلب الخلاص فلا يجده وجعل يقول : مـن يخلصنـي وله أربعة دراهم؟ ومثلكـم كمثـل ثعلـب ضعيـف دخـل جحـراً فـي كـرم رآه صاحب الكرم ورحمه فتركه ، فلما سمن أفسد شيئاً كثـيراً ، فاسـتعان عليـه بغلمانه فذهب ليخرج فلم يستطع لسمنه الـذي ضيـق عليـه جحـره فتمكـن منه حتى قتله ، وهكذا حالكم في بلادنا . ثـم قـال رسـتم : قـد أمـرت لكـم بكسوة ولأميركم بألف دينار وكسوة ومركوب وتنصرفون عنا .

فقال المغيرة : أبعد أن أوهنّا ملككم وضعفنا عزكم؟ ولنا مدة نحو بلادكم ونـأخذ الجزيـة منكـم عـن يـد وأنتـم صـاغرون وسـتصيرون لنـا عبيـداً علـى رغمكم . فاستشاط رستم غضباً وقال : «أقسم بالشمس لأقتلنكم غداً» .

وبعث سعد رضي الله عنه بوفد من أصحابه إلى كسرى يزدجرد للدعـوة قبل معركة القادسية ، ولما وصلوا خرج أهل البلد يتعجبون كيـف مثـل هـؤلاء يقهرون جيوشهم مع كثرة عددها وعدتها؟ ولما استأذنوا على يزدجـرد أذن لهـم وأجلسهم بين يديه . فقال لهم : «ما الذي أقدمكم هذه البلاد؟ أظننتم أننا لما تشاغلنا بأنفسنا اجترأتم علينا؟ فرد عليه النعمان بن مقرن كلاماً طويلاً نـأخذ منه : نحن ندعوكم إلى ديننا فإن أجبتم إلى ديننـا خلّفنـا فيكـم كتـاب اللـه وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشـأنكم وبلادكـم وإن أتيتمونا بالجزية قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم . فتكلم يزدجـرد وقـال : إنـي لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عـدداً ولا أسـوأ ذات بـينٍ منكـم ،

وقد كنا نوكل بكم قرى الضواحي ليكفوناكم . . . فإن كان عددكم كثر فلا يغرَّنكم منا . وإن كان الجهد قد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم . . فقام المغيرة بن شعبة وقال : أيها الملك : إن هؤلاء هم أشراف العرب ورؤوسهم : هم أشراف وإنما يكرم الأشراف الأشراف وأنا الذي أبلغك ويشهدون عليَّ ذلك لقد شهدنا أن رسولنا جاء بالحق من عند الحق وقال لنا : من تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم ومن أبى وأعرض فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه ما تمنعون منه أنفسكم ومن أبى فقاتلوه ، فمن قتل منكم دخل الجنة ومن بقي أعقب النصر على من ناوأه . فاختر إن شئت الجزية وأنت صاغر وإن شئت فالسيف أو تسلم فتنجي نفسك . فقال يزدجرد لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم لا شيء لكم عندي وقال : ائتوني بوقر من تراب فاحملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من أبيات المدائن .

وقال للعرب : ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه إني مرسل إليه رستم حتى يدفنه وجنده في خندق القادسية وينكل به وبكم من بعد . ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور[1] ، ثم قال : من أشرفكم؟ فقال عاصم بن عمرو : أنا أشرفهم أنا سيد هؤلاء فحملنيه . فقال : أكذلك؟ قالوا : نعم . فحمله على عنقه فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلته فحمله عليها ثم انجذب في السير ليأتوا به سعداً وسبقهم عاصم فمر بباب قُدّيس ـ قصر في القادسية ـ فقال : بشروا الأمير بالظفر ظفرنا إن شاء الله تعالى ثم مضى وجعل التراب في أرض العرب ثم دخل على سعد رضي الله عنه فأخبره الخبر فقال : أبشروا فقد ـ والله ـ أعطانا مفاتيح ملكهم»[2] .

(عن ابن جرير الطبري بتصرف)

---

(١) سابور ذو الأكتاف كان معذب العرب وينزع أكتافهم.
(٢) ابن جرير الطبري ٩٤/٤

وقد خطب سعد رضي اللـه عنـه يـوم القادسـية وهـو مصـاب بالدمـامل المقيحة التي انتشرت في جسمه انتشار الحمى فلم يجد مكاناً من جسمه إلا أصيب حتى أنه لم يستطع أن يمتطي الجواد أو يرقد أو يضطجع فقال : بعد أن حمد الله وأثنى عليه : «إن الله هو الحق لا شريك له في الملك وليس لقوله خلف قال الله جل ثناؤه :

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾

(الأنبياء ١٠٥)

إن هذا ميراثكم وموعود ربكم وقد أباحها لكم منـذ ثـلاث حجج فـأنتم تطعمون منها وتأكلون منها وتقتلون أهلها وتجبرونهم وتسبونهم إلـى هـذا اليـوم بما نال منهم أصحاب الأيام منكم ـ أمثال خالد بن الوليد ـ وقد جاءكم منهم هذا الجمع وأنتم وجوه العرب وأعيانهم وخيار كل قبيلة وعز من وراءكـم فـإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة ولا يقـرب ذلك أحداً إلى أجله وإن تفشـلوا وتهنـوا وتضعفـوا تذهـب ريحكـم وتوبقـوا ـ تهلكوا ـ آخرتكم»

(ابن جرير الطبري ٤/٤٤)

وكان سعد رضي الله عنه قد خاض دجله ، أثناء تقدمه في أرض العراق ليصل إلى مفاجأة الأعداء الأكاسرة فيغنمهم على غرة . وأخرج أبو نعيم فـي الدلائل ص٢٠٩ ، عن أبي بكر بن حفص بن عمر قال : «كـان الـذي يسـاير سعداً في الماء سلمان الفارسي رضـي اللـه عنـه فعـامت بهـم الخيـل وسـعد يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزمنّ الله عدوه إن لم يكن في الجيش بغي ـ ظلم ـ أو ذنوب تغلب الحسنات فقـال

له سلمان : إن الإسلام جديد ذللت ـ والله ـ لهم البحار كما ذلل لهم البر ، أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجُنَّ منه أفواجاً كما دخلوا فيها أفواجاً فطبقوا الماء حتى ما يرى الماء من الشطين ـ مثنى شط ـ ولهم فيه أكثر حديثاً منهم في البر لو كانوا فيه فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفقدوا شيئاً ولم يغرق منهم أحد» وهذه دعوة الرسول لسعد حين قال : «اللهم أجب دعوة سعد» فقد سخر الله لهم دجلة .

وهكذا رأينا كيف أن سعداً رضي الله عنه قد جاهد في الله حق جهاده وفي مجابهة الاكاسرة وكيف كانت القادسية فتحاً مبيناً لما بعدها من مدن فارس الحصينة بعتادها وأعدادها حتى وصلوا إلى المدائن والى إيوان كسرى فحملوا تاجه وسواره غنيمة وفيئاً إلى المدينة المنورة حيث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي ألبس سوار كسرى إلى سراقة ابن مالك الذي كان وعده رسول الله ﷺ بأن يلبس سوار كسرى وهم في طريق الهجرة إلى المدينة ـ صدق الله وصدق رسوله .

وقد حارب سعد بالسيف وبالكلمة وبالدعاء وبالنهر حيث سخر له دجلة يعبرها بخيله .

وإن كان قد أصيب في جسمه بالقروح النازفة والدمامل الموجعة والجراح المؤلمة حتى لم يبق في جسمه ما يسمح له بالجلوس أو الاضطجاع . وكان يمتطي صهوة جواده واقفاً حتى أنهك يوم معركة القادسية فوقف في شرفة داره يوجه الجند ينظر إليهم وقد وضع تحت صدره وسادة وقد خطب فيهم قائلاً : «الزموا مواقفكم ولا تحركوا شيئاً حتى تصلوا الظهر فإذا صليتم فإني مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا وأعلموا أن التكبير لم يعطه أحد قبلكم وأعلموا إنما أعطيتموه تأييداً لكم ثم إذا سمعتم الثانية فكبروا ولتسْتَتِمَّ عدتكم ، ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشِّط فرسانكم الناس ليبرزوا وليطاردوا ، فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم وقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله» .

وقد قال فيه أحد المسلمين قولاً يوم القادسية ظاناً أنه كان مستريحاً في داره :

نقاتل حتى ينزل الله نصره وسعد بباب القادسية معصم
رجعنا وقد آمت [1] نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فبلغ ذلك سعداً فدعا الله قائلاً : «اللهم كف لسانه ويده عني بما شئت ، فرمي بسهم يومها قطع لسانه وقتل ، ثم خرج سعد إلى الناس وكشف عن ظهره وقروحه في جسمه ليعذره الناس .

موقفه من الفتنة :

كان موقف سعد بن أبي وقاص من الفتنة موقفاً مميزاً يدل على إيمان صادق وإسلام قوي يسلم معه المسلمون من لسانه ويده . ولما قتل عثمان رضي الله عنه فقد لزم الحياد واعتزل الناس فلم يكن مع القتلة ولا كان مع المطالبين بدم عثمان ، ولما سئل أجاب : «لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان فيقول : هذا مؤمن لا أقتله ، وهذا كافرة أقتله» .

فقد جاء عامر بن سعد بن أبي وقاص أباه وقال له أبوه : «أي بني أفي الفتنة تأمرني أن أكون راساً؟ لا والله حتى أعطى سيفاً إن ضربت به مسلماً نبا عنه وإن ضربت كافراً قتله . سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله يحب الغني الخفي التقي» .

وعن عامر بن سعد قال في المسند (١٧٧/١) كان سعد بن أبي وقاص في إبله فجاءه ابنه عمر فلما رآه سعد قال : «أعوذ بالله من شر هذا الراكب يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره وقال : اسكت سمعت رسول

(١) آمت: مات زوجها.

الله ﷺ يقول : إن الله يحب التقي الغني الخفي» .

روى عن حسين بن خارجة الأشجعي : قال : «قلت : لقد رأيت رؤيا فأتيت سعداً فقصصتها عليه فما أكثر فرحه وقلت : مع أي الطائفتين أنت؟ قال مع واحد منهما . قلت فما تأمرني؟ قال : هل لك من غنم؟ قلت : لا . قال : فاشتر غنماً فكن فيها حتى تنجلي» .

وقد ذهب إليه ابن أخيه هاشم بن عقبة بن أبي وقاص وقال له : «يا عم ها هنا مائة ألف سيف يرونك أحق بهذا الأمر فيجيبه سعد رضي الله عنه : أريد من مائة ألف سيف سيفاً واحداً إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئاً وإذا ضربت به الكافر قطع» .

وحين انقطع الأمر لمعاوية واستقرت بيده مقاليد الحكم سأل سعداً : «مالك لم تقاتل معنا؟ فأجابه : إني مررت بريح مظلمه فقلت إخ . إخ ، وأنخت راحلتي حتى انجلت عني . فقال معاوية : ليس في كتاب الله إخ . إخ ، ولكن قال الله تعالى ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله**﴾ وأنت يا سعد لم تكن مع الباغية على العادلة ولا مع العادلة على الباغية؟ فأجاب سعد : ما كنت لا قاتل رجلاً ـ يعني علي بن أبي طالب ـ قال له رسول الله ﷺ أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»[1] .

هذه نزاهة سعد في موقفه من الفتنة فهو لم يقف مع علي رضي الله عنه مع أنه يعلم مكانة علي من رسول الله ﷺ ولم يقف مع أم المؤمنين وطلحة والزبير المطالبين بدم عثمان لأنه يعلم أن المسلمين إذا إلتقيا بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار ، وفي هذه الحال فليس له إلا العزلة .

---

(١) سيرة أعلام النبلاء ص١٢٠

موته :

توفي سعد رضي الله عنه بالعقيق في قصره قرب المدينة المنورة ودفن بالبقيع سنة ٥٥ هـ عن عمر يناهز الثانية والسبعين عاماً ، وكان قد أوصى بأن يكفن في جبة بالية من الصوف احتفظ بها تبركاً بها وقال : «كفنوني بها فإني لقيت المشركين فيها يوم بدر وهي عليّ ، ولذا فأنا أحبها» .

رحم الله سعد بن أبي وقاص فقد استحق أن يكون من المبشرين بالجنة بأقواله وأفعاله وما كذب على نفسه ولكنه كان نزيهاً يتقي الشبهات حتى يلقى الله بقلب سليم .

الصحابي الجليل

عبد الرحمن بن عوف

رضي الله عنه

قال عليه الصلاة والسلام :
«عبد الرحمن بن عوف أمين في السماء أمين في الأرض»

عن أم بكر بنت المسور أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه باع أرضاً له بأربعين ألف دينار فقسمها في بني زُهرة وفقراء المسلمين والمهاجرين وأزواج النبي ﷺ فبعث إلى عائشة رضي الله عنها بمال من ذلك فقالت : «من بعث هذا المال؟ قلت : عبد الرحمن بن عوف . قالت : قال رسول الله ﷺ : لا يحنو عليكن من بعدي إلا الصابرون ، سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة» .

(أخرجه الحاكم/ جامع الأصول جـ٩/١٩)

جاء النبي ﷺ وقد صلى عبد الرحمن بن عوف بالناس فصلى خلفه وأتم ما فاته فقال : «ما قبض نبي حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته»

(حياة الصحابة جـ٢)

شهد النبي لعبد الرحمن بن عوف فقال عليه الصلاة والسلام : «أما إنَّ الملائكة تقاتل معه»

(حياة الصحابة حـ٢ أخرجه الطبراني)

الصحابي الجليل

عبد الرحمن بن عوف

رضي الله عنه

هو : عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زُهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ، وأمه الشفاء بنت عوف التي كانت قابلة الرسول عند ولادته ، وهو من قريش ومن السابقين في الإسلام آمن بالله وصدق رسوله قبل أن يبلغ رجال الإسلام عشرة . وله من المآثر في الإسلام ما جعله من المبشرين بالجنة العشرة ، ومن المقدمين في الشورى الستة وأحد المستشارين بالفتوى الأوائل ، صدق إيمانه فحسن إسلامه وأفلح عمله ، جاهد بنفسه وماله فهاجر الهجرتين وتحمل في ذلك العنت والغربة ووحشة الدار وذل الحال وقسوة المآل بالبعد عن الديار والآل . وجاهد في سبيل نشر الإسلام وحمايته بالنفس والنفيس والغالي والرخيص ، فأنفق من ماله ليفك عسرة المؤمنين . وهانت في عينيه ثروته ليدخل الجنة قائماً لا حبواً إن شاء الله . وجاهد مع رسول الله ﷺ وسلم الوقائع كلها حتى كانت له فيها مشاهد تحكى وأمثال تضرب والملائكة تقاتل معه . وجاهد الفقر وأبى أن يعيش عالة في هجرته الثانية ليكون بتجارته وسعيه من كبار الأغنياء بالله والمال وادخر لنفسه بما له وثروته لآخرته ودنياه حتى استحق أن يدعو له رسول الله ﷺ فيقول : «بارك الله لك فيما أعطيت وبارك الله لك فيما أمسكت» .

إسلامه :

أسلم عبد الرحمن بن عوف في مكة على يد الصديق أبي بكر وبعد أن أسلم الصديق بيومين والإسلام سراً قبل الأرقم بن أبي الأرقم الذي فتح داره للمسلمين يجتمع بهم رسول الله عليه السلام ، حيث انطلق مع أول

المسلمين على يد أبي بكر - الزبير بن العوام وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص - إلى رسول الله ﷺ فعرض عليهم حقيقة الإسلام وأسمعهم من القرآن الكريم فاطمأنت به قلوبهم وثبت إيمانهم وأرسله رسول الله ﷺ في سرية إلى دومة الجندل ليعرض عليهم الإسلام وأذن له رسول الله ﷺ أن يتزوج من ابنة رأسهم وسيدهم الأصبع بن عمرو الكلبي ، وكان يدين بالنصرانية فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل وهو حصن وقرى بين الشام والمدينة فدخلها وأقام فيهم ثلاثة أيام فأسلم سيد القوم ورئيسهم الأصبع بن عمر ، وعرض عليه أن يتزوج ابنته فقبل فقيل وتزوج منها فأنجبت له وصدق رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى .

وقد شهد له رسول الله ﷺ فقال : «عبد الرحمن بن عوف أمين في السماء أمين في الأرض» وقد روى عن رسول الله الكثير من أحاديثه كما هو في البخاري ومسلم وكتب الحديث لقربه منه .

ثروته وإنفاقه :

لما قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة ولحق بهم رسول الله عليه السلام كان قد جمع الرسول عليه السلام شملهم في الإسلام فآخى بين المهاجرين والأنصار الذين استقبلوهم خير استقبال وأحسنوا وفادتهم ورفادتهم فآخى رسول الله بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعيد بن الربيع رضي الله عنه فقال له سعيد : «أي أخي أنا أكثر أهل المدينة مالاً فانظر شطر مالي فخذه وتحتي امرأتان فانظر أيتهما أعجب إليك حتى أطلقها فقال عبد الرحمن بن عوف : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلوني على السوق ، فدلوه فذهب واشترى وباع فربح فجاء بشيء من أقط - جُبن - وسمن ثم لبث ما شاء الله إن يلبث ثم جاء وعليه زعفران ، فقال رسول الله ﷺ : «مهيم» - كلمة يمانية بمعنى ما أمرك؟ - فقال عبد الرحمن يا رسول الله تزوجت امرأة قال : وما أصدقتها؟ قال : وزن نواة من ذهب . فقال له الرسول عليه السلام : أولم ولو

بشاة . قال عبد الرحمن : ولقد رأيتني ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهباً وفضة» ولقد أثرى عبد الرحمن من التجارة ثروة طائلة حتى كان من المقدمين فيها وأصحاب الشهرة .

وكان عبد الرحمن منفقاً ماله في سبيل الله في غزوة تبوك وغيرها . فقد سمع رسول الله ﷺ يقول : «تصدقوا فإني أريد أن أبعث بعثاً . فجاء عبد الرحمن رضي الله عنه فقال : يا رسول الله عندي أربعة آلاف : ألفان أقرضتهما ربي وألفان لعيالي فقال رسول الله ﷺ : بارك الله لك فيما أعطيت وبارك لك فيما أمسكت» .

وبات رجل من الأنصار فأصاب صاعين من تمر فقال : «يا رسول الله إني أصبت صاعين من تمر صاع لربي وصاع لعيالي فلمزه - عابه - المنافقون وقالوا : ما أعطى مثل الذي أعطى ابن عوف إلا رياءاً فأنزّل الله الآية التالية :

ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

(التوبة ٧٩)

وأخرج ابو نعيم في الحلية (٩٩/١) عن الزهري قال :

«تصدق عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف ثم تصدق بأربعين ألف فضة ثم تصدق بأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله . وكان عامة ماله من التجارة» .

وأخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : بينما عائشة رضي الله عنها

في بيتها إذ سمعت صوتاً في المدينة فقالت : «ما هذا؟ قالوا : عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شيء قال : وكانت سبعمائة بعير . قال : فارتجت المدينة من الصوت فقالت عائشة رضي الله عنها : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قد رأيت عبد الرحمن ابن عوف يدخل الجنة حبواً . فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال : لئن استطعت لأدخلنها قائما فجعلها بأقتابها وأحمالها في سبيل الله عز وجل»[1]

وأخرج الحاكم (٣/٣١٠) عن أم بكر بنت المسور أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه باع أرضاً له بأربعين ألف دينار فقسمها في زهرة وفقراء المسلمين والمهاجرين وأزواج النبي ﷺ فبعث إلى عائشة رضي الله عنها بمال من ذلك فقالت : من بعث هذا المال؟ قلت : عبد الرحمن بن عوف . قال : وقص القصة . قالت : قال رسول الله ﷺ : لا يحنو عليكنّ من بعدي إلا الصابرون سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة»

(أخرجه أحمد في مسنده ٦/١٠٤)

وهل ترى يا أخي المؤمن ابن عوف رضي الله عنه إلا اشترى من الله الجنة بنفسه وماله؟ والله يقول : ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة**﴾ . فهو إلى جانب جهاده بماله جاهد بنفسه في بدر وفي أحد وغيرها من المعارك الحربية حتى أنه خرج من معركة أحد وفيه بضعة وعشرون جرحاً .

ولقد أخرج الطبراني عن محمود بن لبيد قال : «قال الحارث ابن الصمة رضي الله عنه : سألني رسول الله ﷺ وهو في الشعب : هل رأيت عبد الرحمن بن عوف؟ قلت : نعم يا رسول الله رأيته على جر الجبل ـ أي أسفله ـ وعليه عسكر من المشركين فهويت فرأيتك فعدلت إليك فقال النبي ﷺ :

---

(١) حياة الصحابة جـ٢ ص١٦٦

أما إن الملائكة تقاتل معه . قال الحارث : فرجعت إلى عبد الرحمن فأجده بين نفر سبعة صرعى فقلت له : ظفرت يمينك أكل هؤلاء قتلت؟ قال : أما هذا - لأرطاه بن عبد شرحبيل وهذان فأنا قتلتهما وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره . قلت صدق رسول الله .

ومع كل ما رأينا من إخلاص عبد الرحمن بن عوف في الجهاد دفاعاً عن الإسلام بنفسه وماله إلا أنه كان يبكي على بسط الدنيا له وامتداد ثروته ونعيم الغنى والثراء .

فقد روى أنه كان يحاسب نفسه على هو ما فيه من نعيم . «أتي يوماً بطعام وكان صائماً فقال : قتل مصعب بن عمير وهو خير مني كفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه ، وإن غطى رجلاه بدا رأسه ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وقد خشينا أن تكون حياتنا قد عجلت لنا وأخذ يبكي حتى ترك الطعام»

(أخرجه أبو نعيم في الحلبة ١/١٠٠) .

أحاديث رواها عبد الرحمن بن عوف :

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : «كان لا يفارق رسول الله ﷺ منا خمسة أو أربعة من أصحاب النبي عليه السلام لما ينويه من حوائجه بالليل والنهار قال : فجئته وقد خرج فاتبعته فدخل حائطاً - بستاناً - من حيطان الأشراف فصلى فسجد فأطال السجود فبكيت وقلت : قبض الله روحه قال : فرفع رأسه فدعاني فقال : ما لك؟ قلت : يا رسول الله أطلت السجود فقلت : قبض الله روح رسوله لا أراه أبداً قال : سجدت شكراً لربي فيما أبلاني في أمتي ، من صلى عليّ صلاة من أمتي كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات»[1]

(١) حياة الصحابة جـ٣ ص٣١٢.

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «دخلت على أبي بكر رضي الله عنه في مرضه الذي توفي فيه فسلمت عليه فقال: رأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل وهي جائية وستتخذون ستور الحرير ونضائد الديباج وتألمون ضجائع الصوف كأن أحدكم على حسك السّعدان[1] والله لأن يقدم أحدكم فيضرب عنقه في غير حد خير له من أن يسبح في غمرة الدنيا»

(الحلية ١/٣٤)

أخرج الشيخان عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «إني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وشمالي إذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانها تمنيت أن أكون بين أضلع منهما ـ أقوى منهما ـ فغمزني أحدهما فقال: يا عماه أتعرف أبا جهل؟ فقلت: نعم وما حاجتك إليه؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي[2] سواده حتى يموت الأعجل منا.

فتعجبت لذلك فغمزني الآخر فقال لي أيضاً مثلها فلم ألبث أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه فابتدراه بسيفهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى النبي ﷺ فأخبراه فقال: أيكما قتله؟ قال كل منهما: أنا قتلته قال: وهل مسحتما سيفيكما؟ قالا: لا قال: فنظر النبي عليه السلام في السيفين فقال: كلاهما قتله وقضى بسلبه لهما».

وعن النضر بن شيبان قال: قلت لأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف حدثني بشيء سمعته عن أبيك يحدث به عن رسول الله ﷺ فقال: حدثني أبي في شهر رمضان قال: قال رسول الله ﷺ: «فرض الله عليكم شهر

(١) السعدان: نوع من الشوك.

(٢) شخصي شخصه.

رمضان وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه»

(أخرجه ١٩/١ أحمد في مسنده)

وعن ابن عباس قال : «جلسنا مع عمر فقال : هل سمعت عن رسول الله ﷺ شيئاً أمر به المسلم إذا سها في صلاته كيف يصنع؟ فقلت : لا والله أو ما سمعت أنت يا أمير المؤمنين من رسول الله شيئاً؟ فقال : لا والله . فبينا نحن في ذلك أتى عبد الرحمن بن عوف فقال : فيم أنتما؟ فقال عمر : سألته فأخبره . فقال له عبد الرحمن : لكني قد سمعت رسول الله ﷺ يأمر في ذلك فقال له عمر : فأنت عندنا عدل فما سمعت؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا سها أحدكم في صلاته حتى لا يدري أزاد أم نقص فإذا كان شك في الواحدة والثنيتين فليجعلها واحدة وإذا شك في الثنيتين أو الثلاث فليجعلها ثنتين وإذا شك في الثلاث والأربع فليجعلها ثلاثاً حتى يكون الوهم في الزيادة ثم يسجد سجدتين وهو جالس قبل أن يسلم ثم يسلم»

(أخرجه أحمد ١٩٠/١)

ويروى عن عبد الله بن دينار الأسلمي عن أبيه قال : «كان عبد الرحمن ابن عوف ممن يفتي في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر بما سمع من رسول الله ﷺ .

(المنتخب ٧٥/٥)

وقد روى عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله ﷺ أكثر من خمسة وستين حديثاً وكان عدلاً لمقاربته الرسول عليه السلام .

عبد الرحمن بن عوف من أهل الشورى :

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد اختار ستة من كبار الصحابة الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ومنهم عبد الرحمن بن عوف . وكان له

موقف نزيه يليق بعدالته التي استحق بها أن يبشر بالجنة ، فقال لأهل الشورى يوم أرادوا أن يختاروا من بينهم خليفة عمر بعد طعنه : «هل لكم أن أختار لكم وأنفصل منها؟ قال علي رضي الله عنه : نعم أنا أول من رضي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنك أمين في أهل السماء أمين في أهل الأرض»

(أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/٩٨)

وجعل الصحابة الآخرون الأمر إلى عبد الرحمن ، فلما ولوه أمرهم أخذ يشاور الناس ثم شاور سعداً والزبير رضي الله عنهما ، وشاور علياً رضي الله عنه ثم شاور عثمان رضي الله عنه .

وكان عمر قد استخلف عندما حضره الموت : علياً وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وقال : «إن أصابت الإمرة سعداً فذاك وإلا فأيهم استخلف فليستعن به» .

وكان عبد الرحمن قد طلب من الصحابة الستة أن يحصروها في ثلاثة وسحب منها نفسه فبقيت محصورة بين علي وعثمان رضي الله عنهما فخلا بعلي وقال له : إن لك من القرابة من رسول الله والتقدم ولي عليك لئن استخلفت لتعدلَنَّ ، ولئن استخلفت عثمان لتسمعن وتطيعن قال : نعم . وخلا بعثمان فقال له مثل ذلك . فقال عثمان : نعم . فلما صلى الناس الصبح واجتمع الصحابة أهل الشورى معهم عند المنبر أرسل عبد الرحمن إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار وإلى أمراء الأجناد الذين كانوا قد حضروا موسم الحج مع عمر رضي الله عنه فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال : أما بعد ياعلي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلاً وأخذ بيد عثمان رضي الله عنه وبايعه قائلاً : أبايعك على سنة الله وسنة رسوله والخليفتين من بعده فبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون العامة .

وقد اجتمع يوماً علي وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص . فقالوا لعبد الرحمن : وكان أجرأهم على مخاطبة عمر «ياعبد الرحمن لو كلمت أمير المؤمنين للناس فإنه يأتي الرجل طالب الحاجة فتمنعه هيبتك أن يكلمك في حاجته حتى يرجع ولم يقض حاجته . فدخل عليه عبد الرحمن وقال له : يا أمير المؤمنين لن للناس فإنه يقدم القادم إليك حتى إذا صار بين يديك منعته هيبتك أن يكلمك في حاجته حتى يرجع ولم يكلمك . فأدركها عمر وقال : ياعبد الرحمن نشدتك الله أعلي وعثمان وطلحة والزبير وسعد أمروك بهذا؟ قال : اللهم نعم . فقال : ياعبد الرحمن والله لقد لنت للناس حتى خشيت الله في اللين ثم اشتددت عليهم حتى خشيت الله في الشدة فأين المخرج؟ فقام عبد الرحمن يبكي ويجر رداءه وهو يقول : «إفٍ لهم بعدك أفٍ لهم بعدك[1]» .

ولما قتل أبو عبيد بن مسعود في جبهة العراق اجتمع أهل فارس على رجل من آل كسرى فنادى عمر في المهاجرين والأنصار وخرج بهم حتى أتى إلى بئر قرب المدينة تسمى «صرار» وجعل الراية إلى طلحة بن عبيد الله وجعل على ميمنته عبد الرحمن بن عوف وعلى ميسرته الزبير بن العوام رضي الله عنهم واستخلف علياً على المدينة وقرر أن يقود الجيش بنفسه ليجابه الفرس واستشار الناس فكلهم أشار عليه بالسير إلى فارس . ولكن عبد الرحمن بن عوف قال لعمر مخالفاً رأيه في السير إلى فارس وطالباً منه البقاء في المدينة : بأبي وأمي يا أمير المؤمنين «اجعل عجزها بي»[2] وأقم في المدينة وابعث جنداً فقد رأيت قضاء الله لك في جهودك قبل وبعد فإنه إن يهزم جيشك ليس كهزيمتك وانك تقتل أو تهزم في أول الأمر خشيت ألا يكبر المسلمون وألا يشهدوا ألا إله إلا الله أبداً .

---

(١) الطبقات (٣/٢٠٦)

(١) ان قال الناس عجز عمر فقل لهم هذا رأي عبد الرحمن

وبينما هو في ذلك الموقف أتى إلى عمر كتاب من سعد بن أبـي وقـاص الذي كان على صدقات نجد فقـال عمـر : فأشـيروا علـيَّ برجـل . فقـال عبـد الرحمن : وجدته ياأمير المؤمنين قال : من هو؟ قال : الأسد فـي براثنـه سعد بن مالك ، فوافقه أولـو الـرأي وكلـف سـعداً بقيـادة الجيـش وبقـي عمـر فـي المدينة . فنعم المشير ونعم المستشير وكل منهما بالحق ينطق .

وكان عبد الرحمن قد تصدق بمائتي أوقية من الذهب يوم جيش العسـرة فقال عمر بن الخطاب للنبي عليه السلام : إني أرى عبد الرحمـن إلا مرتكبـاً إثماً فما ترك لأهله شيئاً . فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : هـل تركـت لأهلك شيئاً يا عبد الرحمن؟ فقال : نعم يارسـول اللـه تركـت لهـم أكـثر مما أنفقـت وأطيـب . قـال : كـم؟ قـال : مـاوعد اللـه ورسـوله مـن الـرزق والخـير والأجر .

أرأيت يا أخـي المؤمـن كيـف وصـل عبـد الرحمـن إلـى درجـة المبشـرين بالجنة؟ بالثقة في الله يجود بما عنـده وعلـى اللـه البـاقي بتكفـل أهلـه . وقـد وصل عبد الرحمن إلى درجة كبيرة عند رسول الله ﷺ فكان أقـرب الصحابـة إلى نساء الرسول أمهـات المؤمنـين وقـد جعـل عبـد الرحمـن يقضـي حوائـج أمهات المؤمنين ويتكفل أمر شؤونهن بعد أن انتقل رسول الله ﷺ إلـى الرفيـق الأعلى ينهض بواجباتهن ويخرج معهن اذا خرجن ويحج معهن اذا حججـن ويجعل على هوادجهن الطيالسة وهي أكسية خضراء وينزل بهن في الأمـاكن التي تسرهن . وصدق رسول الله ﷺ حين قال : «لايحنـو عليكـن مـن بعـدي إلا الصابرون . سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة» .

ولقد روي عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال :« كان أهل المدينة عيـالاً على عبد الرحمن بن عوف ثلث يقرضهم ماله وثلـث يقضـي دينهـم ويصـل ثلثاً ببره وعطائه» .

ولقد كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيئاً فشكاه خـالد

إلى الرسول عليه السلام : فقال رسول الله ﷺ :«دعوا أصحابي أو أصيحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً لم يدرك مد أحدهم ولا نصيفه» أخرجه مسلم وابن باجة

وفاته :

توفي رضي الله عنه في السنة الحادية والثلاثين من الهجرة وذلك في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه الذي صلى عليه ودفن في البقيع . وشيعه علي رضي الله وهو يقول : لقد أدركت صفوها وسبقت زيفها يرحمك الله . وحمل جنازته خال رسول الله سعد بن أبي وقاص ومات في عمر يناهز الخامسة والسبعين عاماً .

الصحابي الجليل

أبو عبيدة بن الجـراح
رضي الله عنه

قال تعالى :

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾

(المجادلة ٢٢)

نزلت هذه الآية في أبي عبيدة يوم قتل أباه المشرك في بدر

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال :« قيل يارسول الله أي النـاس أحـب اليك؟ قال : عائشة ، قيل : ومن الرجال؟ قال : أبو بكر ، قيـل : ثـم مـن؟ قـال : أبـو عبيدة» .

(المنتخب ٣٥١/٤)

وعن أنسٍ أن رسول الله ﷺ قال : إن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيـدة الجراح

أخرجه أحمد ١٣٣/٣ والبخاري ٣٧٤٤ ومسلم والحاكم

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو أدركت أبا عبيدة ابن الجراح لاستخلفته وما شاورت ، فإن سئلت عنه قلت : استخلفت أمين الله وأمين رسوله

سير أعلام النبلاء جزء ١ ص ١٠

وعن انس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إن لكل أمة اميناً وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة ابن الجراح .

(أخرجه البخاري ومسلم جامع الأصول جزء٩ /٢٠)

الصحابي الجليل

أبو عبيدة بن الجـراح

رضي الله عنه

لقد بُشِّر أبو عبيدة ابن الـجراح بالجنة لما يحمله في قلبه من إيمان صـادق تحكم في كل شؤون حياته فلا يقول إلا خيراً أو ليصمـت ولا يفكـر فـي أذى الناس وإلا كان آثماً . وهو المسلم الذي أسلم وجهه إلى الله وهو محسن فلقي الله راضياً مرضياً ، عمله صدق قوله ، وقوله أيد فعله حتى كان الحق إذا قـال والحق إذا فعل والحـق إذا تدبـر وتـأمل . وهـو الصـابر الصبـور والمصـابر يمشـي الساعات جندياً ويغيش على تمـرة يمتصهـا تمامـاً كمـا يفعـل بجنـوده لايتمـيز عنهم بشيء وإذا رأيتهم لاتكاد تميزه عن أقلهم رتبة لما يتحلى بـه مـن تواضـع جم . ومن تواضع لله رفعه . ومن صبر فإن اللــه مـع الصـابرين . . وهـو الـذي أحبَّ الله ورسوله عما سواهما حتى دفّعه إيمانه إلى أن يجابه مـن حـاده اللـه ورسوله ولو كان أباه فيقتله . دفاعاً عن رسول الله حتى قال اللـه فيـه «أولئـك كتب في قلوبهم الإيمان» وهو الذي هاجر الهجرتين إلى الحبشـة والـى المدينـة حفاظاً على دينه ووفاءاً لأوامر ربه ورسوله . وهاجر الهجرة الثالثـة حـين هجـر حبَّ الدنيا فلم تغره بمناصبها ولا كان يومـاً لشـيطانها إلا رادعـاً ومـن مفاتنـه مستعيذاً . وإلا لما استحق أن يقول عنه الرسول عليه السلام «إنــه أمـين حـقٌ أمين إنه أمين حقٌ أمين» . ولقد بلغت به الأمانة أن يتعداهـا مـن نفسـه إلـى ربه والى رسوله والى الناس أجمعين فقال فيه عليه السلام :«لكـل أمـة امـين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة الجراح» ولقد اكتسب ثقة الخلفاء بعد رســول اللـه حتى قال فيه عمر أمير المؤمنين يوم طُعن واحتار النـاس فـي مـن يخلفـه «لـو

أدركت أبا عبيدة لاستخلفته وما شاورت فإن سألني ربي لم استخلفته؟ قلت : «لأنه أمين الأمة وأمين رسول الله» كان نزيهاً في قوله شريفاً في فعله يحمل براءة الأنبياء بين جنبيه . . ولقد جاهد في الله حق جهاده الجهادين الأصغر والأكبر . فحارب أعداء الله حتى قضى على حكم قيصر في بلاد الشام وطرد هرقل منها وهو يقول مودعاً : سلام عليك ياسوريا سلاماً لارجعة بعده وهو الذي أحبَّ فيه الناس رحمته فمالوا اليه وسلموا وأسلموا له مدينتهم وفتحوا أبوابها له بعد أن فروا من سيف خالد اليه في دمشق الشام ، فمنهم من أسلم على يديه ومنهم من رضي بدفع الجزية راضياً بدينه . وهو الذي يلتزم بأمر الخليفة للطاعون فلا يخرج حتى لايؤذي به الآخرين فيموت بالطاعون في عمواس مع من مات . وهو الذي يتنازل لخالد ابن الوليد وعمرو بن العاص وحتى بقيادتهما له وهو الذي كان قائداً لجيش فيه أبو بكر وعمر جنديين يقول له عمر وهو خليفة وأمير للمؤمنين «عمر وآل عمر في طاعة أبي عبيدة» ويأتي عمر الخليفة إلى الشام ليسأل عنه : أين أخي فقيل له من أخوك؟ قال : أبو عبيدة قالوا : يأتيك الآن فلما أتاه نزل عن راحلته واعتنقه ولما دخل عليه بيته فلم يرَ فيه إلا سيفه وترسه ورحله ويقول له : الا اتخذت ما اتخذ أصحابك يا أبا عبيدة؟ فيرد أبو عبيدة ويقول : «يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقيل» .

وصفه عبد الله بن عمر رضي الله عنهم أجمعين بإيجاز فقال : «ثلاث من قريش إن حدثوك لم يكذبوك وان حدثتهم لم يُكذِّبُوك . «أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان وأبو عبيدة بن الجراح» .

أتي رسول الله ﷺ بقدح فيه شراب فناوله رسول الله ﷺ أبا عبيدة فقال أبو عبيدة : أنت أولى به يانبي الله فقال نبي الله ﷺ «اشرب فإن البركة مع أكابرنا فمن لم يرحم صغيرنا ويجل كبيرنا فليس منا» .

هذا هو أبو عبيدة المبشر بالجنة وهذه بإيجاز مكانته وصفاته سباقاً

بالإسلام ، أميناً مع اللـه ورسـوله ومـع النـاس . وقـائداً محبوبـاً مغـواراً يقـول ويفعل ويفعل ولا يقول متواضعـاً أكـرم اللـه الجيـش ببركتـه حـين نصـر اللـه فنصرهم الله .

نسبه وإسلامه :

هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أصيـب بـن ضبـة ابن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . من بطـون قريـش . يلتقـي مع رسول الله ﷺ في «فهر» ولد في مكـة بعـد مـيلاد الرسـول عليـه السـلام باثنتي عشرة سنة . وأمه أمية بنت عنم بنت جابر بن عبـد العـزى بـن عـامر وقد أدركت الإسلام وأسلمت .

من السباقين إلى الإسلام شهد له النبي بالجنة وسماه أمين الأمة . عـن عائشة رضي الله عنها قالت : خرج أبو بكر يريد رسول الله ﷺ وكـان صديقـاً في الجاهلية فلقيه فقال : يا أبا القاسم فقدت مـن مجـالس قومـك واتهمـوك بالعيب لأبائها وأمهاتها . فقال رسول الله ﷺ «إني رسول الله أدعوك إلى الله» فلمـا فـرغ مـن كلامـه أسـلم أبـو بكـر فـانطلق عنـه رسـول اللـه ﷺ ومـا فـي الأخشبين أحد أكثر سروراً منه باسلام أبي بكر ، ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة ابن عبيـد اللـه والزبـير ابـن العـوام وسـعد بـن أبـي وقـاص فأسلموا ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبي سلمة ابن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقـم فأسـلموا رضـي الله عنهم» ثم ذهبـوا إلـى رسـول اللـه فعـرض عليهـم الاسـلام وقـرأ عليهـم مايتيسر من القرآن فثبت إيمانهم وحسن إسلامهم ومن هنـا بـدأت رحلتهـم . أخذ يجتمع مع رسول الله في دار الأرقم بن أبي الأرقم يتعلمـون منـه القـرآن ويتذوقون الاسلام على حقيقته والايمان من منبعـه محمـد رسـول اللـه خـاتم الأنبياء والمرسلين ولما اشتد أذى المشركين بالمسـلمين وهـم قلـة أمرهـم رسـول

الله ﷺ بالهجرة الأولى إلى الحبشة حيث النجاشي المؤمن بالله فهاجر مع من هاجر من كبار الصحابة والمسلمين . ولما أذن لهم بالعودة واستقر حال الاسلام في نفوس المسلمين فلم يعودوا يبدلونه ولو نشرهم المشركون بالمناشير أو وضعوا على بطونهم وظهورهم الصخر وقت الهجير . عاد المهاجرون إلى مكة المكرمة ليكونوا بجوار رسول الله الأمين يدفعون عنه ويشدون على من تصدى لهِ ووقف في وجهه ، ولما يأذن الله لهم بالقتال ، وكان عمر بن الخطاب وحمزة قد أسلما فعز الله بهما الاسلام وظهر المسلمون على الملأ عياناً مكبرين مهللين طوافين بالبيت العتيق . وصبروا وصابروا حتى أذن الله بالهجرة الثانية إلى المدينة المنورة (يثرب) بعد اسلام اهلها بعد بيعتهم . هاجر أبو عبيدة مع من هاجر من المسلمين وكبار الصحابة وأغاظ المشركين هذه الهجرة لما علموا بقبول أهل يثرب عليهم واسلامهم بل ومؤاخاتهم بالمهاجرين بعد أن وصل رسول الله وصاحبه أبو بكر الصديق وبني المسجد تأسيساً لدولة الإسلام التي لن تنهار إلى قيام الساعة . واحتد المشركون وحاولوا الاعتداء على المهاجرين إلى الله ورسوله وضيقوا عليهم الخناق وشددوا وساوموهم على السماح لهم بالهجرة وأخذ مالهم فتركوا لهم مايملكون وما يكنزون وهاجروا إلى الرسول وأصحابه الميامين ثم طمع الكفار المشركون ورؤوس الجهالة والضلالة في ملاحقة المسلمين في المدينة والتقوا في معركة بدر ، التي أعز الله فيها المستضعفين وأذلَّ فيها المشركين وأنزل الله معهم الملائكة لينصر جنده . . هنا تتجلى في أبي عبيدة بن الجراح عظمة الإيمان وحلاوة الإسلام في وجه مرارة الكفر والطغيان الذي كان أبوه يقاتل تحت رايتها . ويعمل جاهداً على قتل المسلمين حتى لحق بولده أبي عبيدة بن الجراح بإلحاح أجبر أبا عبيدة أن يثأر للمسلمين ويوجه طعنته لأساطين الكفر ومنهم أبوه فيقتله صريعاً مع قتلى المشركين وهنا يخلد الله تعالى لأبي عبيدة هذا الموقف ويسجله في القرآن الكريم الشاهد على الناس يوم الدين فيقول :

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾

(المجادلة ٢٢)

هذه يا أخي المؤمن شهادة سماوية بإيمان أبي عبيدة التي تجعل له مقاماً علياً بين المبشرين بالجنة يذكره الرسول عليه السلام في الصحابة وأبو عبيدة صامت قد ملأ وجهه حياء الإيمان الذي هو شعبة من شعب الإيمان .

وفي أُحد حيث المعركة التي خالف فيها الرماة أمر الرسول عليه السلام بعد هزيمة المشركين فتحول خالد ابن الوليد إلى مكان الرماة ليفاجىء المسلمين من الخلف فينقلب نصر المسلمين هزيمة لهم ويشتد الأذى بهم وبالرسول عليه السلام البطل الشجاع الذي كان يحتمي الصحابة به اذا حمي الوطيس واشتدت المعركة خطورة فيخترق أبو عبيدة الصفوف ليصل اليه مدافعاً عنه ومفدياً اياه بروحه حتى اذا أصيب الرسول عليه الصلاة والسلام في وجهه بضربة التصقت بوجنته حلقتان من حلق المغفر الذي يضعه الرسول فوق رأسه أقبل أبو عبيدة ينزعهما من وجنتي الرسول ﷺ فتسقط مع الأولى ثنية «سنه» وتسقط مع الحلقة الثانية ثنية أخرى ـ يعني سقط سنان من أسنانه ـ ليخلص الرسول من أذى إصابته ويصير أبو عبيدة «أثرم إذا تكلم» . . وهذان أيضاً وسامان من أوسمة الإيمان الذي يبشر صاحبه بالجنة في الدنيا قبل الآخرة .

وقد قاد سرية من ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً في غزوة «الخبط» بكل صبر وجلد فعلم جنده الصبر والجلد على الجوع وقد نفذ منهم جراب التمر في غمرة السفر الصعب حتى مروا على شجر فأخذوا يقطعون الخبط ـ أي

ورق الشجر ويسحقونه ويسنونه ويشربون عليه ماءً ولم يثنهم جوعهم إلى هذا الحد الذي كان يخففه عنهم صلابة أميرهم حتى أنفذوا مهمتهم وعادوا ظافرين بحمد الله . وهكذا الجند يكونون إذا كان قائدهم . وبهذا استحق الجنة بقوله تعالى :﴿**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾ .

مكانتـه بيـن الصحـابة :

لقد بلغ أبو عبيدة شأواً عظيماً في الاسلام ومكانة ذكرت له في السماء وفي الأرض وتبقى متجددة إلى يوم الدين . فقد كان من الثمانية السباقين إلى الاسلام الذين شدوا أزر رسول الله ولبوا نداء السماء فحفظ الله لهم ذلك وبشرهم بالجنة على لسان رسوله الكريم .

فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال :« أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير بن العوام في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة في الجنة» .

ونزل فيه قوله تعالى :

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ

(المجادلة ٢٢)

وذلك حين قتل أباه في معركة بدر الذي أكثر من أذى المسلمين ومتابعة ولده أبي عبيدة ليتخلص منه حتى لم يبق لأبي عبيدة إلا أن قتله . وقد وصفه رسول الله ﷺ أمام وفد نجران حين سألوه أن يرسل معهم من يعلمهم القرآن والسنة والإسلام فقال : «لأبعثنّ معكم رجلاً أميناً حقّ أمين . حقّ أمين حقّ أمين» ، ولما سمع الصحابة هذا من رسول الله ﷺ تمنى كل منهم أن يكون هو حتى قال عمر بن الخطاب : «ماأحببت الإمارة قط حبي إياها إلا يومها رجاء أن أكون صاحبها» . وقد أمره الرسول عليه السلام على جيش فيه أبو بكر وعمر ، حين استمد عمرو بن العاص من رسول الله عليه السلام المدد في غزوة ذات السلاسل ، فأرسل له أبا بكر في سراة من المهاجرين وأمر نبي الله عليهم أبا عبيدة .

وقد أوصى أبو بكر به يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهم فقال : «أوصيك بأبي عبيدة بن الجراح خيراً فقد عرفت مكانة من الإسلام وأن رسول الله ﷺ قال :(لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح فاعرف له فضله وسابقته) . وفي سقيفة بني ساعدة يوم اجتمع الأنصار ليختاروا خليفة لرسول الله عليه السلام يوم وفاته أو اجتمعوا ليتشاوروا جاء أبو بكر وعمر وأبو عبيدة إليهم فقال لهم : رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر وأبا عبيدة ، أبو بكر يرشحه ويرتقيه خليفة لرسول الله عليه السلام وعمر أمير المؤمنين يقول له : عمر وآل عمر في طاعة ابي عبيدة ويقول يوم طعن : لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح لاستخلفته وما شاورت فإن سألني ربي عنه قلت : استخلفت أمين الأمة وأمين رسول الله .

وقد ولاه أمير المؤمنين الإمارة في الشام بعد أن نزعها من خالد ابن الوليد بمجرد توليته خليفة . وقد كان ولاه أبو بكر أميراً على جيش المسلمين في الشام . فلما تأخر النصر في اليرموك أرسل أبو بكر رضي الله عنه أمراً لخالد بن الوليد كي يتوجه إلى الشام بجيشه ويترك جبهة العراق . ولما وصل رأى خالد أن يوزع القيادة فكان الأمر لخالد حتى انتهت المعركة بسحق الروم في

اليرموك وجاء كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعزل خالد قائلاً : يرحمك الله يا أبا عبيدة مامنعك أن تخبرني حين جاء الكتاب؟ فيرد أبو عبيدة بقوله :«ما سلطان الدنيا نريد ولا للدنيا نعمل كلنا في الله إخوة» .

وقد تقدمت الجيوش الإسلامية في الشام بقيادة أبي عبيدة قائداً بارعاً حتى وصل حمص وضيق عليها حتى فتحت ذراعيها ثم حماه بعدها ففتحها ثم إلى معرة النعمان ففتحها ثم إلى قنسرين وحلب واستولى عليها . ثم توجه إلى اللاذقية إلى الساحل فاستولى عليها وتوجه إلى المناطق الجبلية بانياس وطرطوس ومنها إلى أنطاكية ـ التي هي تحت حكم تركيا ـ وطارد فلول الروم ومعه خالد بن الوليد حتى خرج منها نهائياً آخر جنودهم صاغراً .

من أقواله ووصاياه :

كان يسير في عسكره فقال :«ألا ربّ مبيض لثيابه مدنس لدينه ، ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين ، ادرأوا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات فلو أن أحدكم عمل من السيئات مابينه وبين السماء ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تقهرهن .

لما أصيب بالطاعون في الأردن دعا من حضره من المسلمين فقال : إني موصيكم بوصية إن قبلتموها لم تزالوا بخير أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا شهر رمضان وتصدقوا وحجوا واعتمروا وتواصوا وانصحوا لإمرائكم ولا تغشوهم ، ولا تهلككم الدنيا فإن امرءاً لو عمّر ألف حول ماكان له بد من أن يصير إلى مصرعي هذا الذي ترون ، إن الله كتب الموت على بني آدم فهم ميتون وأكيسهم أطوعهم لربه وأعملهم ليوم معاده والسلام عليكم ورحمة الله .

لما تولى عمر الخلافة كتب له أبو عبيدة ومعاذ بن جبل : من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب

سلام عليك : أما بعد فإنا عهدناك وأمر نفسك لك مهم [1] فأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها يجلس بين يديك الشريف والوضيع والعدو والصديق ولكل حصته من العدل فانظر كيف أنت عند ذلك ياعمر فأنا نحذرك يوماً تعني[2] فيه الوجوه وتجف فيه القلوب وتنقطع فيه الحجج لحجة ملك قهرهم بجبروته فالخلق داخرون[3] له ، يرجون رحمته ويخافون عقابه وإنا كنا نحدّث أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكونوا اخوان العلانية أعداء السريرة وانا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا إليك سوى المنزل الذي نزل في قلوبنا فإنما كتبنا به نصيحة لك والسلام عليك .

فكتب اليهما عمر رضي الله عنه :

من عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ سلام عليكما :

كتبتما تحذراني ماحذرت منه الأمم قبلنا وقديماً كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد ويأتيان بكل موعود حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة أو النار . كتبتما تحذراني : أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية أعداء السريرة ولستم بأولئك وليس هذا بزمان ذاك ، وذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرهبة تكون رغبة الناس بعضهم إلى بعض لصلاح دنياهم .

كتبتما تعوذاني بالله أن أنزل كتابكما سوى المنزل الذي نزل من قلوبكما وقد كتبتما لي نصيحة لي وقد صدقتما فلا تدعا الكتاب اليّ فإنه لاغنى بي عنكما والسلام عليكما .

(الكنز ٨/٢٠٩)

---

(١) تهتم بنصيحة نفسك وتقويمها.

(٢) تخضع وتذل

(٣) أذلاء

عن مولى عبد الله بن عامر عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال : ذكر من دخل عليه فوجده يبكي فقال : مايبكيك ياأبا عبيدة؟ قال : نبكي ان رسول الله ﷺ ذكر يوماً مايفتح الله على المسلمين ويفيء عليهم حتى ذكر الشام فقال : إن ينسأ في أجلك ياأبا عبيدة فحسبك من الخدم ثلاثة : خادم يخدمك وخادم يسافر معك وخادم يخدم أهلك . وحسبك من الدواب ثلاثة : دابة لرحلك ودابة لنقلك ودابة لغلامك . ثم هذا أنا انظر إلى بيتي قد امتلأ رقيقاً وانظر إلى مربطي قد امتلأ دوابَّ وخيلاً فكيف ألقى رسول الله بعد هذا؟ وقد أوصانا رسول الله ﷺ فقال : «إن أحبكم إليّ وأقربكم مني من لقيني على مثل الحال الذي فارقني عليها»

(المنتخب ٧٣/٥)

خطبته يوم أصيب بالطاعون في عمواس :

أخرج ابن اسحاق عن شهر بن حوشب عن رابة ـ رجل من قومه قال : لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة رضي الله عنه في الناس خطيباً فقال : أيها الناس إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وأن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم لأبي عبيدة حظه فطعن فمات» .

وقد كتب اليه عمر بن الخطاب يوم سمع بتفشي الطاعون وأراد انقاذه منه وهو بالشام : وقال له قد عرضت حاجة عندنا ولا غنى فيها عنك فإذا أتاك كتابي هذا فإني أعزم عليك إن أتاك كتابي ليلاً أن لاتصبح حتى تركب وإن أتاك نهاراً ألا تمسي حتى تركب إليّ . فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب عرف مقصد أمير المؤمنين ثم قال : يرحم الله عمر أنه يريد أن يستبقي من ليس بباق ثم كتب إليه يقول : «قد عرفت حاجتك التي عرضت لك فخلني من عزمتك يا أمير المؤمنين فاني في جند المسلمين لا أرغب بنفسي عنهم» .

فلما وصلت رسالة أبي عبيدة لأمير المؤمنين قرأها وبكى وانهال الدمع من عينيه وهذا وسام من أوسمة أد عسدة للبشرى بالجنة فهو لم يفضل

نفسه على جنده حتى لو كان بإمكانه أن يفر وينجو .

وفاتـــــه :

لما طعن أبو عبيدة رضي الله عنه قال : يامعاذ صَلِّ بالنـاس فصلـى معـاذ بالناس ثم مات أبو عبيدة بن الجراح فقام معاذ في الناس فقـال : أيهـا النـاس توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحاً فإن عبد الله لايلقى الله تائباً من ذنبه إلا كان حقاً على الله أن يغفر له ثم قال : إنكم أيها الناس قد فجعتـم برجـل والله ماأزعم أني رأيت من عباد الله عبداً قـط أقـل غمـراً ولا أبـرأ صـدراً ولا أبعد غائلة ولا أشـد حبـاً للعاقبـة ولا أنصـح للعامـة منـه فـترحموا عليـه ثـم اخرجوا للصحراء للصلاة عليه فوالله لايلي عليكم مثله أبداً .

فاجتمع الناس وأخرج أبو عبيدة رضي الله عنه وتقـدم معـاذ رضـي اللـه عنه فصلى عليه حتى اذا قبره دخل قبره معاذ بن جبـل وعمـرو بـن العـاص والضحاك بن قيس فلما وضعوه في لحده وخرجوا فشـنوا عليـه الـتراب فقـال معاذ بن جبل : (يا أبا عبيدة لأثنين عليك ولا أقول باطلاً أخاف أن يلحقنـي بها من الله مقت :« كنت والله ماعلمت من الذاكرين الله كثيراً ومـن الذيـن يمشون على الأرض هوناً واذا خاطبهم الجـاهلون قـالوا سـلاماً ومـن الذيـن اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلـك قوامـاً وكنـت واللـه مـن المخبتـين الخاشعين المتواضعـين الذيـن يرحمـون اليتيـم والمسـكين ويبغضـون الخـائنين والمتكبرين» وكان أبو عبيدة رحمه الله ورضـي عنـه وأرضـاه قـد أوصـى قبـل موته فقال : «ادفنونـي حيـث قضيـت فـإني أتخـوف أن تكـون سـنة بعـدي» وانتقلت روحه إلى الرفيق الأعلى سنة ١٨هـ ودفن بغور الأردن وقبره معـروف يزوره كثير من الناس . ومات عن عمر يناهز الثامنة والخمسين .

الصحابي الجليل

سعيد بن زيد
رضي الله عنه

هو: الصحابي الجليل المبشر بالجنة لما كان له من سبق بالإسلام وتحمل الأذى والشدائد في سبيل ذلك ويكفيه ما لقيه من عمر بن الخطاب الهائج يوم أعلم أنه الإسلام في بيت أخته وزوجها فذهب غاضباً ساخطاً فقرع الباب وإذا بالصحيفة التي يقرأآن فيها القرآن ملقاة بعد أن اختبأ من كان معهما من الصحابة فأمسك بخناقه وضربه حتى تقدمت أخته فاطمة لتصد وترد عنه فشجها بمفتاح كان بيده . ويصرّان سعد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب على الإسلام قائلين : نعم أسلمنا ونشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ويرفضان بإباء أن يدلاه على مكان محمد حتى علما أنه رق قلبه بالإسلام بعد أن قرأ الصحيفة وهدأت ثورته وتبدلت حاله .

ويكفيه قرباناً لله أن الله تعالى استجاب لدعاء الرسول عليه السلام في بيته حيث قال : «اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين» فقد أعز الله الإسلام في بيت سعيد بن زيد بدخول الإسلام قلب عمر وخضوعه لقرآن الله وكتابه العزيز ، فخرج له صحابيان كانا مختبئين في أطراف المنزل ليدلاه على مكان الرسول عليه السلام . وهو القرشي البدري من الذين رضي الله عنهم ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ : فكان له أجر الشهداء يدخر ذلك عند الله حتى يلقاه مرضياً .

ولقد كان دعوة أبيه زيد بن عمرو الذي كان حنيفاً ترك مكة ليبحث عن دين إبراهيم في الشام فلما لم يجد إلا راهباً نصحه بأن يعود إلى بلده حيث

سيبعث الله فيها من يجدد دين إبراهيم . وبينما كان في طريق عودته وهو مشتاق لرؤية نبي الله الذي سيبعث في بلاده لقيه جماعة من الأعراب فقتلوه . وهنا بقلب مملوء بالثقة بالله وحب الله وقبل أن يفقد أنفاسه يضرع إلى الله قائلاً : «اللهم إن كنت حرمتني من هذا الخير فلا تحرم منه ابني سعيداً» ، ولقد كانت دعوة صادقة من قلب خاشع تلقتها السماء فكانت الخير كله لسعيد بن زيد الذي سابق إلى الإسلام مع السباقين فكان من النفر الأول الذين لم يتجاوزوا العشرة رضي الله عنهم جميعهم .

وكان من المجاهدين بأنفسهم في معركة اليرموك مع أبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد فكان البادئ بالهجوم مثبتاً للمسلمين أن نصر الله لا يعتمد على الكثرة وإنما على اليقين والثبات ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ .

فكان هجومه على ألوف الروم وقد ساروا بجيش لجب مهاب كاد منظره أن يقتلع قلوب المسلمين لولا ما قام به سعيد بن زيد من عزمة صادقة وكلمة واعدة : «عباد الله انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، عباد الله اصبروا فإن الصبر منجاه من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار وأشرعوا الرماح واستتروا بالتروس والزموا الصمت إلا من ذكر الله عز وجل في أنفسكم» بهذا خاطب أبو عبيد المسلمين أمام زحوف الروم المرعبة . عندها كانت عزمة سعيد حين قال لأبي عبيدة : «إني أزمعت على أن أقضي أمري الساعة» ، ويمتشق حسامه ويتقدم بقلب فرغ من حب الدنيا واشتاق للقاء الرسول عليه السلام بين يدي رب العالمين . وكان الفتيلة التي فجرت في قلوب المؤمنين حب الله ، وطلب الشهادة صابرين وإنما النصر صبر ساعة ، تقدم سعيد المشتاق للقاء ربه ورسوله الكريم بطل الأبطال الذي كان يحتمي به الأبطال المسلمون إذا اشتد الوطيس كما قالوا : «كنا إذا اشتد الوطيس نحتمي برسول الله» . نعم من رسول الله عليه السلام تعلم سعيد بن زيد البطولة والثبات والرسوخ في الميدان يوم بلغت القلوب الحناجر وزلزلت الأقدام بهذه الروح

النادرة وثب سعيد بن زيد على مقدمة جيوش الروم في اليرموك فطعن أول فارس مدجج دفع المسلمين بعده إلى الهجوم على الروم بنفس الروح الرسولية التي تشربتها أرواحهم من رسول الله عليه السلام ، وما زالوا بالروم ولزحوفهم مشتتين حتى كتب الله لهم النصر المبين ولم يشأ الله لسعيد أن يموت رغم الموت الذي فتح فاه وذراعيه ولكن لأعداء الله وصدق أبو بكر الذي تعلم مبدأ الحروب من رسول الله فتعلمه جنوده في اليرموك «احرص على الموت توهب لك الحياة» .

ولقد كان سعيد بن زيد طالب الشهادة أول الولاة المسلمين على دمشق الشام بعد أن مَنّ الله على المسلمين بفتحها وخروج الروم منها . هكذا كان سعيد بن زيد رضي الله عنه صادقاً في قوله صدوقاً بفعله حتى نال البشارة بالجنة مع المبشرين بها من السابقين بالإسلام بأفعالهم وأقوالهم ونياتهم .

■ **أخرج أبو نعيم في الحلية (١/٩٥)** عن رباح بن الحارث : «أن المغيرة رضي الله عنه كان في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره فجاء رجل يدعى سعيد بن زيد فحياه المغيرة وأجلسه عند رجليه على السرير فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسب ، فقال سعيد : من يسب هٰذا يا مغيرة؟ قال : سب علي بن أبي طالب . فقال : يا مغيرة بن شعبة ـ ثلاثاً ـ ألا اسمع أصحاب رسول الله ﷺ يسبون عندك لا تنكر ولا تغيِّر! وأنا أشهد على رسول الله ﷺ بما سمعت أذناي ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ ، فإني لم أكن أروي عنه كذباً يسألني عنه إذا لقيته ـ أنه قال : أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن في الجنة وسعد بن مالك في الجنة وتاسع المؤمنين في الجنة ولو شئت أن أسميه لسميته قال : فرجّ أهل المسجد يناشدونه : يا صاحب رسول الله من التاسع؟ قال ناشدتموني بالله والله عظيم ، أنا تاسع المؤمنين ورسول الله العاشر ، ثم اتبع ذلك يميناً فقال : لمشهدٌ شهده رجل مع رسول الله ﷺ يغبِّر وجهه مع رسول الله ﷺ أفضل من عمل

أحدكم ولو عُمِّر مثل نوح» .

رضي الله عنك يا سعيد بن زيد فقد كانت كنيتك (أبو الأعور) وما ذلك إلا لأنك أعور عن عيوب الناس زاهد في مغريات الدنيا ومفاتنها ، متعجلاً لمغريات الجنة ورضوانها ونعيمها .

نسبه :

هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزّى بن رباح بن قرط بن زراح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب أبو الأعور القرشي العدوي ، يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ في كعب بن لؤي .

وأمه : فاطمة بنت بعجة بن أمية بن خويلد بن خالد بن العز بن حيان .

وهو كما ترى من نسبه ابن عم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وزوجته فاطمة بنت الخطاب ابنة عمه وأخت عمر بن الخطاب شهدت معه الإسلام مبكراً فكانت من المبكرات السابقات في الإسلام كما كان . حيث أسلم سعيد قبل دخول النبي عليه السلام دار الأرقم .

ولقد أرسله الرسول عليه السلام مع طلحة في مهمة يراقبان بها طريق الشام ليعلما شيئاً عن عير قريش القادمة بما تحمله من تجارة عظيمة فلم يزالا مقيمين في مهمتهما حتى مرت بهم العير حين تساحلت - أي أخذت طريق الساحل - فبلغ نبي الله الخبر قبل حضورهما فندب أصحابه وخرج يطلب العير لكنها تساحلت أيضاً وغيرت طريقها بدهاء أبي سفيان قائدها . وحدثت معركة بدر وانتهت قبل مجيء سعيد وطلحة ولكن رسول الله ﷺ ضرب لهما بسهمهما وأجورهما وكان لهما ما لأهل بدر لأنهما في مهمة استطلاع خطرة لا يقدر عليها إلا من كان مجاهداً في الله حق جهاده .

وكان أبوه زيد بن عمرو يتتبع العرب فيخلص منهم المؤودات من أيديهم

ويقول له : «أنا أكفيك مؤونتها ويحفظ عليهن حياتهن» . وكما قلنا كان قلبه عامراً بالإيمان بالله عالماً بنبوة محمد عليه السلام موقناً بها لكنه مات دون أن يدركها ودعا الله دعوته قبل أن يموت : «اللهم إن كنت حرمتني من هذا الخير فلا تحرم منه ابني سعيداً» .

وقد سأل سعيد بن زيد يوماً رسول الله ﷺ فقال : «يا رسول الله إن أبي كان كما قد رأيت وبلغك ولو أدركك لآمن بك واتبعك أفاستغفر له؟ قال : نعم فاستغفر له» . وقال «إنه يبعث أمةً وحده» .

رحم الله سعيداً فقد كان باراً بأبيه بعد موته يدفع عنه نار جهنم بما غرسه فيه من حب الإيمان بالله والملة الحنيفية ويطلب من رسول الله عليه السلام أن يستغفر له ليطمئن قلبه ويرتاح لمصير أبيه فيلبيه الرسول عليه السلام ويبشره بعد أن يستغفر له بأنه سيبعث أمة وحده .

وقد روي عن أسماء بنت أبي بكر قالت : « لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش والله ما فيكم أحد على دين إبراهيم غيري ، وكان يحيى المؤودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : مه . لا تقتلها . أنا أكفيك مؤونتها فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤونتها» .

ويقال عنه إنه «كان يأبى أن يأكل مما ذبح على النصب» . ويروى عنه أنه كان يقول لقريش : «الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله؟» .

أحاديث رواها سعيد عن نبي الله عليه السلام :

ولقد كان سعيد بن زيد من رواة الحديث عن رسول الله المؤثوقين ولكن قليلاً منها . فمما روى :

■ عن سعيد بن زيد عن رسول الله ﷺ أنه قال : «الكمأة من المن الذي

أنزل الله على بني إسرائيل وماؤها شفاء للعين»

(أخرجه البخاري ٤٤٧٨)

■ وعن سعيد بن زيد حتى يصل به إلى النبي عليه السلام قال : «من ظلم من الأرض شبراً طوقه من سبع أرضين ، ومن قتل دون ماله فهو شهيد»

(أخرجه أحمد ١٧٨/١)

■ وعن الطبراني عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه قال : «قال رسول الله ﷺ : تأمروني بسب أصحابي؟! بل صلى الله عليهم وغفر لهم»

(الهيثمي ٢١/١٠)

■ وقد سبق أن روى حديث المبشرين بالجنة .

أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه والطبراني عن سعيد بن زيد وعائشة رضي الله عنهما مرفوعاً «اللهم إني أحب حسناً فأحبه وأحب من يحبه» .

■ وقد روى عنه أنه بكى على موت عمر بن الخطاب : فقال له قائل : «يا أبا الأعور : ما يبكيك؟ فقال : على الإسلام أبكي إن موت عمر رضي الله عنه ثلم الإسلام ثلمة لا تُرتَق إلى يوم القيامة» صدق سعيد بن زيد .

سعيد بن زيد من أهل الشورى :

لقد تميز سعيد بن زيد رضي الله عنه بالحكمة والزهد والتقوى وقول الحق والجرأة فيه وكان من كبار الصحابة الذين يستشيرهم الخليفة أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين وقد ثبت ذلك في كثير من المواطن . ولكن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لم يجعله من أهل الشورى بعد طعنه حين

اختار ستة من الصحابة عثمان وعلياً والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة وجعل معهم ابنه عبد الله بن عمر دون أن يكون له شأن في الخلافة . فحينما لم يجعل أمير المؤمنين سعيداً من هؤلاء فهذا لا يعني أنه يقل عنهم رتبة لأنه من أهل البشارة بالجنة ولكن نزاهة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين دائماً تبعد الشبهات وتتحرى العدالة في كل شيء . فهو لم يرد أن يسجل عليه أنه قدم ختنه وابن عمه لئلا يقال يوماً إن أمير المؤمنين حابى ابن عمه أو خص ولده فتكون بعده وراثية .

تلك هي نزاهة الملهم المؤمن أمير المؤمنين في الحكم ما كان يترك ثغرة ينفذ منها الشيطان حتى يسدها ويعود الشيطان عنها مدحوراً .

سعيد مستجاب الدعاء :

كيف لا يكون الصحابي الجليل المؤمن وهو من المبشرين بالجنة والسابقين إلى الإسلام والذي كان لا يأكل إلا حلالاً طيباً ولا يشرب إلا حلالاً طيباً ولا يلبس إلا حلالاً طيباً . وهو الذي إذا دعا كانت السماء مفتوحة لدعوته لأنه يعلم أن الله يدافع عن الذين آمنوا ومن ذلك هذه الحكاية الواقعية :

في المدينة المنورة ادعت امرأة تدعى أروى بنت أويس أن سعيد بن زيد رضي الله عنه أخذ شيئاً من أرضها حتى خاصمته إلى والي المدينة الأموي مروان بن الحكم . فأنكر سعيد بن زيد هذه الدعوى واستغربها . فكيف يصدر منه مثل هذا الفعل وهو يعلم مدى عقوبته عند الله فقال لمن كلموه في هذا : «أترونني أظلمها وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : من ظلم شبراً من أرض طُوقه يوم القيامة من سبع أرضين . ودعا عليها وقال : اللهم إن كانت كاذبة فلا تمتها حتى يعمى بصرها وتجعل قبرها في بئرها» .

فلم يمض وقت طويل حتى سال المطر فكشف عن الحد الذي كان بينهما وظهرت الحقيقة ولم تلبث المرأة حتى عميت وبينما هي تطوف في أرضها

تلك سقطت في بئرها وماتت فيه . وصارت مثلاً في العرب «أعماك الله كما أعمى أروى» .

وفاتـــــه :

عاش سعيد بن زيد رضي الله عنه في المدينة حتى فاق السبعين عاماً مجاوراً لمسجد رسول الله ﷺ وقد وافته منيته بالعقيق وغسله سعد بن أبي وقاص وكفنه ودفن في المدينة ، ونزل في قبره سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وودعاه إلى موضع رأسه في مثواه الأخيرة . وكان ذلك سنة ٥٢ هـ .

وتكفيه بشرى الرسول عليه السلام يوم كان على جبل حراء ومعه أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد رضي الله عنهم ، فيهتز الجبل تحت أقدامهم فيقول رسول الله الذي تخشع له الأرض والسموات ومن فيهن يقول : «اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» .

هذه بشارة رسول الله عليه الصلاة والسلام لهؤلاء الأبرار من كبار الصحابة المبشرين بالجنة لأنهم شهداء يستبشرون بنعمة من الله ورضوان .
جعلنا الله في ركبهم وتقبل منا عملنا .


الخـــاتمـــــة
التوبة عن الذنب
والعـودة إلـى اللـــــه

أصل التوبة في اللغة :

الرجوع من تاب أو ثاب أو آب . بمعنى رجع .

والمراد : الرجوع عن الذنب الى الله تعالى .

وهي من أجلّ الطاعات وأوجبها على المؤمنين وأعظمها غناء عنهم ، وهم اليها أحوج من كل شيء لأنها من أحب الطاعات الى الله ، والله يفرح بتوبة عبده اذا تاب أعظم فرح . قال تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾

«البقرة ٢٢٢»

حكمها الشرعي :

اتفق العلماء على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة على الفور ، ولا يجوز تأخيرها سواء أكانت المعصية صغيرة او كبيرة .

وتصح التوبة عن ذنب حتى ولو كان صاحبه مصراً على ذنب آخر .

واذا تاب توبة صحيحة بشروطها ثم عاود ذلك الذنب كتب عليه ذلك الذنب ولم تبطل توبته ، وهذا مذهب أهل السنة . لقول رسولنا المبشر ﷺ . قال : قال الله عز وجل : **﴿أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني» والله لَلّهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة﴾** .

ويجب أن تكون التوبة فورية بعد الذنب أو المعصية وبهذا يبقى قلب المؤمن رطباً بذكر الله على صلة وثيقة بالخالق مع حياء وانكسار وندم فتجلب رحمة الله بعبده المقبل عليه فيفرح به حين يستغفره من ذنبه . عن علي ﷺ قال : حدثني أبو بكر وهو صادق قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من رجل يذنب ذنباً ثمّ يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له ثم

قرأ هذه الآية : ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾

(رواه الترمذي وابن ماجه بسند حسن) .

■ والتوبة تثمر للتائب محبة خاصة لا تحصل بدونها لأن الله يحب التوابين ومن محبته لهم فرحه بتوبة أحدهم أعظم فرح فاذا حصلت للتائب هذه المحبة وهي درجة عالية من القرب لله تعالى انضم أثرها الى أثر بقية الطاعات فيزداد قرباً من الله وحباً وهنا تدنو منزلته من المقربين الى الله ويحصل مع المغفرة على ودِّ الله وحبه «وهو الغفور الودود» خلافاً لمن يدعي أن الود من الله لعبده المذنب لا يعود وان عادت له المغفرة والصفح من الله بدليل قوله تعالى :

وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

(ص٤٠)

■ فزاده على المغفرة بعد أن استغفر ربه من خطيئته أمرين : الزلفى وهي درجة القرب من الله . وحسن المآب : وهو حسن المنقلب وطيب المأوى عند الله تعالى .

وقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية مقام التائبين فقال :

الصواب أن من التائبين من يعود الى مثل حاله قبل الخطيئة . ومنهم من يعود إلى أكمل منها ، ومنهم من يعود الى أنقص مما كان عليه .

■ وان كان قبل الخطيئة اكمل في هذه الأمور ولم يعد بعد التوبة إليها عاد الى انقص مما كان عليه .

■ وان كان بعد التوبة مثل ما كان قبل الخطيئة رجع الى مثل منزلته [1]

وقد قال الله تعالى في حق الصادقين بتوبتهم النصوح :

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

(الزمر ٣٥)

أقسام الذنوب :

تنقسم الذنوب الى صغائر والى كبائر . وقد اختلف العلماء فيها وتعددت الاحاديث النبوية الشريفة في عدد الكبائر :

فالكبائر هي : الآثام الكبيرة المنهي عليها شرعاً كالشرك بالله ، وقتل النفس والزنا واللواط وعقوق الوالدين وغيرها . . . .

وقد اختلف العلماء في عددها : فروي عن عمر ﷺ أنه قال هي سبع . عن ابن عباس قال : هي الى سبعين أقرب منها سبع وقال أبو طالب المكي : الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الأخبار :

أربعة في القلب : وهي : الشرك والإصرار على المعصية والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله تعالى .

وأربعة في اللسان : هي : شهادة الزور وقذف المحصنات ، واليمين الغموس والسحر .

وثلاثة في البطن هي : شرب الخمر وأكل مال اليتيم ظلماً وأكل الربا .

وأثنتان في الفرج : هما : الزنا واللواط .

---

(١) ضريق الهجرتين لابن قيم الجوزية ص٤٤١

واثنتان في اليدين : هما : القتل والسرقة .

وواحدة في الرجلين هي : الفرار من الزحف .

وواحدة في جميع البدن : وهي عقوق الوالدين .

وعن الإمام احمد بن محمد المقدسي : أن الاحاديث الصحاح في ذكرها خمسة[٢] :

الاول : حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله وما هن؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات» .

الثاني : حديث ابن سعود ﷺ : أن النبي ﷺ سئل : أي الذنب اكبر؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، قال : ثم اي؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ، قال : ثم أي؟ قال : أن تزاني حليلة جارك»

الثالث : حديث عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال : الكبائر : الإشراك بالله وعقوق الوالدين»

الرابع : قال ﷺ : ألا انبئكم بأكبر الكبائر؟ قول الزور أو قال شهادة الزور»

الخامس : حديث أبي بكرة أن النبي ﷺ ذكرت عنده الكبائر قال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور . فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت .

وكل من أحكم أصل الايمان وبنى عقيدته على أساس من الايمان الصحيح بقناعة وتسليم لله رب العالمين واجتنب الكبائر وأحسن أداء

(٢) مختصر منهاج القاصرين لابن قدامة المقدسي ص ٢٧٨

الفرائض وكانت الصغائر منه متفرقة لا إصرار عليها فان ذلك مكفر للصغائر كما وعد بذلك القرآن الكريم بقوله :

﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

(النساء ٣١)

وقوله تعالى في سورة النجم :

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾

(النجم ٣٢)

■ وهؤلاء أن شاء الله اما أن يلتحقوا بالمقربين أو بأصحاب اليمين . ومن ارتكب كبيرة أو أهمل أركان الاسلام ثم تاب فإنه أن تاب توبة نصوحةً قبل قرب الأجل التحق بمن لم يرتكب معصية لأن التائب عن الذنب كمن لا ذنب له .

وقال عليه الصلاة والسلام : «لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار»

(رواه بن عباس)

صغائر الذنوب وبماذا تكبر :

الصغائر هي : الذنوب الصغيرة المزدراة .

وتسقط هذه الصغائر مالم يصحبها إصرار .

وتصبح كبائر أو في حكم الكبائر اذا توفرت معها أسباب منها :

١ـ الإصرار والمواظبة عليها لقوله عليه الصلاة والسلام في رواية ابن عباس ﷺ : «لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار» والحديث ضعيف ولكنه لا يتعارض مع النص ولا يحلل حراماً ويحرم حلالاً لذلك جاز الاستشهاد به .

٢ـ استصغار الذنوب يؤدي الى التحريض على ارتكابها والوقوع من خلالها في حبائل الشيطان . اما استكبار الصغائر واستعظامها ، فهو رادع للقلب يجعله ينفر منها فينجو المؤمن ويصلح عمله وتكون عظمة الله ماثلة في قلبه عندها يستعظم الصغائر لانها لاتليق بمقام عظمة الله . قال بلال بن سعد ﷺ : لا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى عظمة من عصيت .

٣ـ المجاهرة بالذنوب الصغائر كما روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : أمتي معافى الا المجاهرين وان من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول : يا فلان علمت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره الله عليه ويصبح يكشف ستر الله عنه» .

٤ـ أن يفرح بالصغيرة ويتمدح بها ليغري غيره بفعلها . وهذا خروج عن الحياء الذي هو شعبة من شعب الايمان .

٥ـ الا تقع ممن يقتدى به في المجتمع كأب أمام أولاده أو عالم أمام تابعيه او معلم أمام تلاميذه الخ . . لأن ذلك يحرضً غيره على ارتكاب الصغائر ونشرها لتصبح كبائر من باب قول رسولنا المبشر عليه السلام : «ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة» .

وعلى العلماء خاصة إذا دخلوا على الأمراء والملوك والروساء أن يوضحوا لهم معنى الصغائر والاصرار عليها ومعنى الكبائر وضرورة تجنبها وان يخلصوا لهم في النصيحة والعظة بما يليق ومقامهم دون أن يَخْشَوا في الله لومة لائم . لانهم إن احسنوا التعبير واختيار الوقت المناسب فسيجدون آذاناً منهم صاغية وعقولاً مفتوحة وقلوباً ترتوي بالموعظة . وان يجنبوهم ما يسبب وقوعهم في

الظلم ويحضوهم على البعد عن الظلم واتباع الهوى من باب لو دامت لغيرك ما وصلتك . فيكونون بذلك بطانة الخير في مجالسهم ، لأن الحكام إذا رقت قلوبهم بالموعظة الحسنة عدلوا وصلحت أعمالهم واقتدى بهم أعوانهم فقادوا الأمة الى الخير .

شروط التوبة ووقتها :

التوبة إن كانت في حق من حقوق الله يعني بين العبد وربه فلها ثلاثة شروط :

١ـ الإقلاع عن الذنب .
٢ـ الندم على فعله .
٣ـ العزم على الا يعود اليها .

وان كانت في حق آدمي فهناك شرط رابع هو : التحلل من صاحب ذلك الحق بارجاع حقه له . فان كانت مالاً او نحوه رده إليه وان كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه . وان كانت غيبة استحله منها . وان كانت زنا أو نحوه فانه لا يحتاج الى مكاشفة ومسامحة لأن ذلك يجلب المفاسد ويوقد نار الانتقام ويكفي أن يتوب إلى الله ويستر على نفسه .

ووقتها : أن تكون قبل الغرغرة التي تسبق الموت فهي مقبولة في كل وقت الا وقتين : اذا جاءت الغرغرة وهي علامة من علامات الموت الكبرى . واذا طلعت الشمس من مغربها . لقوله تعالى :

وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾

(النساء ١٨)

وبالتوبة يغفر كل شيء متعلق بالله إلا الشرك به لقوله تعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾

(النساء ٤٨)

وقال تعالى :

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

(الشورى ٢٥)

■ وقد يظن بعض الناس أن الله الرحمن الرحيم لـن يغفر لفلان الذي بلغت ذنوبه عنان السماء متألياً على الله متجرئاً فيرد الله عليهم : كذبتم . . بل واحبطت أعمالكم فاني قد غفرت لفلان . كما في الحديث الشريف : عن جندب عن النبي ﷺ قال : إنَّ رجلاً قال : والله لا يغفر الله لفلان وانَّ الله تعالى قال : «من الذي يتألىَّ عليَّ ألا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك»

(رواه مسلم)

وكان الرسول يقول : «هلاَّ شققت عن صدره» .

وهذا حديث رسولنا المبشّر في هذا المجال : عن أبي ذر الغفاري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : الله عز وجل : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته

هرولةً ، ومن لقيني بقراب الأرض خطايا لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة .

(رواه مسلم والترمذي)

وقال الله تعالى في الحديث القدسي «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي ، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لاتيتك بقرابتها مغفرة» .

فيا أخي المؤمن العاصي عد الى الله تجد الله غفوراً رحيماً ، وتأمل معنى هذا الحديث الشريف واستبشر ببشارة الرسول عليه الصلاة والسلام لك ولكل المؤمنين الخطائين التوابين فلا أظنك قد وصلت الى ماوصل إليه هذا الجاني الظالم لنفسه الذي يخبرنا الرسول المبشر عنه في هذا الحديث : عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله : إذا مت فحرقوه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين ، فلما مات الرجل فعلوا به ما أمرهم ، فأمر الله البر فجمع ما فيه وامر البحر فجمع ما فيه ثم قال له : لم فعلت هذا؟ قال : من خشيتك يا رب وأنت أعلم فغفر له»[٣]

فهل وصل بك الحال من القنوط بالله واليأس من رحمة الله مثل ما وصل بهذا اليأس الذي لم يفعل حسنةً قط؟ . ولكن خشيته من الله وخوفه من لقائه غفرت له ذنوبه فكان من أهل الجنة .

عد إلى الله أخي المؤمن واستبشر بقول الرسول عليه الصلاة والسلام وتوجيهاته تجد الله يشملك برحمته ويغمرك بمغفرته ورضوانه ولو بلغت ذنوبك عناء السماء . وكن واثق الايمان بالله أنه أرحم الراحمين وأنه يحب التوابين ويحب المتطهرين .

---

(٣) ارشاد الساري ص١٨٣ حـ١٠

فضل التوبة وسقوط الذنوب بها :

جعل الله التوبة باباً للأمل مفتوحاً أمام المؤمن الذي يجري الشيطان في عروقه كما يجري الدم فهو في صراع دائم بين نوازغ الشيطان الوسواس الخناس وبين دوافع الايمان وسلاحه الذي لا يلبث الشيطان أن يخنس معها أو يهزم مذموماً مدحوراً . وجعل الله سبحانه وتعالى لهذا المؤمن مبشرات دائمة في حياته ، فالصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما والجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهما ورمضان الى رمضان كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر .

والانسان انسان ما سمي إنساناً إلا لنسيه ، فقد ينسى في خضم الحياة ذكر الله حين ينشغل بأمور الدنيا فيدخل اليه الوسواس الخناس من هذا الباب فينتصر عليه . أو قد يستضعفه في نقطة من طبائعه وفطرته كحب الجمال والاكثار من المال والتطلع الى المنصب العالي التي فيها مظاهر السعادة في الدنيا كما تبدو له فيدخل اليه منها . وهنا حصّن الله عباده بالعبادات المتواصلة وجعل بينهما ذكر الله لما لها من أثر فعال في سد مداخل الشيطان الى نفس المؤمن الذي هدفه اتعاسه وشقاؤه بالوقوع في الخطايا فمنحه الله اضافة الى ذلك باباً لاسترجاع علاقته بالله قوية متينة ذلك هو «التوبة» التي تجدد الايمان وتشد من عزيمة المؤمن لمصارعة الشيطان وتشعره بلذة الانتصار على عدوه المبين حيث يحتسب الله تعالى له جهاده لنفسه مع الشيطان في ميزان عمله فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشراً أو تتضاعف ومن هم بسيئة فإن لم يعملها كتبت له حسنة وإن عملها كتبت له سيئة واحدة . وهذا من فضل الله على المؤمنين .

ورسولنا المبشّر ﷺ لم يستغرب أن يخطئ المؤمن لذلك فتح لنا باب الأمل في التجاوز عن خطايانا اذا تبنا ورجعنا الى الله واستغفرنا الله غافر الذنوب . قال رسول الله ﷺ : «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابين» .

(رواه الترمذي وأحمد والحاكم بسند صحيح)

واعتبر الخطأ ما دام صغيراً أو كبيراً عن قصد يغفر بالتوبة مع الاستغفار كما بشرنا بهذا الحديث الشريف : عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم» .

وقد شكى يوماً الصحابي الجليل حنظلة الأسدي الذي كان من كتاب الرسول عليه السلام قال : لقيني أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة؟ قال : قلت : نافق حنظلة ، قال : سبحان الله ماتقول؟ قال : قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكّرنا بالنار والجنة حتى كأنّا رأي عين فاذا خرجنا من عند رسول الله عافسنا الأزواج والاولاد والضيعات فنسينا كثيراً[٤] . قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله فقلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ : وماذاك؟ قلت يا رسول الله نكون عندك تذكّرنا بالجنة والنار حتى كأنّا رأي عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والاولاد والضيعات فنسينا كثيراً : فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لو تدومون على ماتكونون عليه عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات .

فإذا كان يا أخي المؤمن أصدق الصحابة إيماناً واثقلهم وزناً في الايمان مثل ابي بكر الصديق ﷺ المبشر بالجنة تلهيهم الدنيا وتشغلهم فينسون ذكر الله اثناء النهار فما بالك بنا نحن .

وللتوبة أثر كبير في سلوك المؤمن وتحريضه للانتصار على الشيطان وعودته الى ربه مستسلماً مذعناً مقراً له بالذنب مستغفراً فيفرح الله بهذا المؤمن الحبيب فرحاً شديداً كما ورد في الحديث الشريف في الصحيحين عن ابن

---

(٤) عافس الأمور ـ مارس الأمور وزاولها

مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : لَلّهُ أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دويَّة [٥] مهلكة معه راحلته وعليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال : أرجعُ الى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت ، فوضع ، رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه ، فالله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته »[٦]

وفي رواية لمسلم : لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها فيما هو كذلك اذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : «اللهم انت عبدي وأنا ربك» أخطأ من شدة الفرح .

(البخاري حـ١١/٩١ ومسلم ٥٧٤٧)

والاستغفار مفتاح التوبة والمغفرة بعد المعصية قال تعالى :

فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

(نوح ١٠)

وقال تعالى :

وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

(طه ٨٢)

طبقات الناس في التوبة :

في كتاب (منهاج القاصدين) قسم العالم الامام أحمد بن محمد المقدسي الناس في التوبة الى أربع طبقات :

---

(٥) الأرض الغلاة المترامية الأطراف

(٦) ارشاد الساري لشرح البخاري مجلد ١٠ ص١٧٨

الأولى : تائب يستقيم على التوبة الى آخر عمره ويتدارك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعودة الى ذنوبه عدا الزلات التي لا ينفك عنها البشر في العادات . فهده هي الاستقامة في التوبة وصاحبها هو السابق بالخيرات .

وتوبته هي التوبة النصوح وتسمى نفس هذا التائب (النفس المطمئنة) .

الثانية : تائب قد سلك طريق الاستقامة في الطاعات وكبائر الفواحش إلا انه لا ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد ولكنه يبتلى بها في مجاري أحواله من غير عزم على الإقدام عليها وكلما أتى شيئاً منها لام نفسه وندم وعزم على الاحتراز عن أسبابها فهذه هي (النفس اللوامة) لأنها تلوم صاحبها على ما يستهدف له من الأحوال الذميمة . وهذه رتبة عالية أيضاً . وهي أغلب أحوال التائبين لأن الشر معجون بطينة الآدمي فقلما ينفك عنه وانما غاية سعيه أن يغلب خيره شره . حتى يثقل ميزانه فترجح حسناته . وهؤلاء لهم حسن الموعد من الله سبحانه وتعالى اذ قال تعالى :

ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾

(النجم ٣٢)

الثالثة : أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب فيقدم عليها لعجزه عن قهر الشهوة إلا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وترك جملة من الذنوب مع القدرة عليها والشهوة لها ، وانما قهرته شهوة واحدة أو شهواتان وهو يود لو أقدره الله على قمعها وكفاه شرها . فاذا انتهت ندم لكنه يعد نفسه للتوبة عن ذلك الذنب ، فهذه النفس تسمى (النفس المسؤولة) وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم :

وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا

(التوبة ١٠٢)

■ فأمر صاحب هذه النفس من حيث مواظبته على الطاعات وكراهيته لما يتعاطاه مرجو لقوله تعالى :

عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

(التوبة ١٠٢)

■ وهذا ينبغي له أن يعجِّل بالتوبة ولا يُسوِّفُها والا فهو في خطر .

الرابعة : أن يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود الى الذنب منهمكاً من غير أن يحث نفسه على التوبة ومن غير أن يتأسف على فعله فهذا من الذين أصروا على المعصية وهذه النفس هي (الأمارة بالسوء) .

فاحذر يا أخي المؤمن أن تكون من الطبقة الرابعة الذين يستسلمون لنفوسهم الامارة بالسوء حتى لا تكون ممن ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون كما ورد في الحديث الشريف : عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إن المؤمن إذا اذنب كانت نقطة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فان زاد زادت حتى تعلو قلبه ، ذلك الران ، الذي ذكر الله عز وجل في كتابه :

كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾

(المطففين١٤)

قال الترمذي في حديث صحيح ، وقال الحسن رحمه الله : الحسنة نور في القلب وقوة في البدن ، والسيئة ظلمة في القلب ووهن في البدن .

.وقد تؤدي كثرة السيئات والمعاصي دون الرجوع عنها بالتوبة حين تظلم القلوب الى التعجيل بالعقاب في الدنيا كقطع الرزق والفضيحة والحياة الضنك . قال عليه الصلاة والسلام : «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه» .

ويقول الله تعالى :

وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ

(الشورى٣٠)

■ فكن يأ أخي المؤمن بعد عصيانك تائباً لله عائداً إليه بقلبك مستغفراً ربك من ذنبك ولا تستسلم للقنوط واليأس من رحمة الله والا كنت ممن خسروا الدنيا والآخرة ، يعجل الله عليك العقاب لمعاصيك وتزداد حياتك شقاءاً وتعاسة . كما قال تعالى :

فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾

طه (١٢٣-١٢٤)

■ تحرم الرزق بمعاصيك وتضيق الدنيا في وجهك بخطاياك . فعجل بالتوبة والاستغفار وكن من المتقين تكن مطمئن القلب واسع الصدر رضي العيش في سعة من الرزق كما قال الله تعالى :

وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ

(الطلاق ٢)

■ وبذكر الله تطمئن القلوب وتبسم الحياة وتعمر السعادة البيوت ﴿الا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ *(الرعد ٢٨)* ، وفي طمأنينة القلب سعادة في الدنيا وفي الآخرة .

وكن واسع الأمل والرجاء بالله تعالى مؤمناً بأنه معك في الليل وفي النهار يشملك برحمته ويرعاك بعنايته ورضوانه ويمحو عنك الخطايا ويبدلها حسنات بالاستغفار والتوبة النصوح . عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : أن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها .

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «سيِّد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليَّ ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، من قالها في النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»

(رواه البخاري)

من آيات التوبة
في القرآن الكريم دون تكرار

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

(البقرة ١٦٠)

■ في هذه الآية دلالة على أن الداعية الى كفر أو بدعة إذا تاب الى الله تاب الله عليه ومثله أصحاب الأقلام المضللة والانتاج الأدبي الفاضح الداعي الى الرذيلة تنطبق عليهم التوبة من الله اذا تابوا وأقلعوا وأ صلحوا وبينوا ما كان منهم والله يقول : وأنا التواب الرحيم .

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾

(البقرة ٢٢٢)

■ وهي واضحة الدلالة على حب الله تعالى للتوابين عن الذنوب وان تكررت . فالاستغفار والتوبة بعد الذنب باب لحب الله وقبول توبة العبد الى ربه كما قال رسول الله ﷺ : لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون فيسغفرون فيغفر لهم» . ويحب المتطهرين : أي المتنزهين عن الأقذار الحسية والمعنوية فطهارة القلب كطهارة البدن .

فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾

(البقرة ٢٧٩)

وفي سياق تحريم الربا قال الله تعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٢٧٨﴾

(البقرة ٢٧٨)

■ فالله يأمر عباده المؤمنين بتقواه ناهياً إياهم عما يقربهم الى سخطه ويبعدهم عن رضاه . ويطلب منهم أن يتركوا مالهم على الناس من الزيادة الربوية التي كسروا بها ظهور المحتاجين . ثم قال بعد ذلك : «فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله» . قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما : فمن كان مقيماً على الربا مازال يمارسه لا يتراجع عنه كان حقاً على إمام المسلمين أن يفرض عليه التوبة أولاً فإن لم يتراجع ضرب عنقه . ثم اتّبع هذه الآية بقوله تعالى : «وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون» . فمن تاب وتراجع عن جريمة الربا فليأخذ رأس ماله فلا يظلم المستدين بأخذ الزيادة ولا يظلم نفسه بضياع رأس ماله ، بل من حقه أن يستوفيه وله في ذلك الجزاء الأوفى ، يبارك له ربه بماله ويعوضه الصحة والعافية والربح الحلال من وجوه أخرى ويبارك له في اولاده وفي بيته . وهذا رأس مال في الدنيا وفي الآخرة .

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول فيمن يتنازل عن الربا وينظر المعسر العاجز عن السداد فيقول : «من أَنْظَرَ معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله» وفي رواية ابن عباس عن رسول الله ﷺ : «من أَنْظَر معسراً عنه ووضع عنه وقاه الله من فيح جهنم» .

وعن أبي أمامة اسعد بن زرارة قال : قال رسول الله ﷺ «من سره أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله فلييسر على معسر أو يضع عنه» .

وعن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ :«أتى الله بعبد من عبيده يوم القيامة قال : ماذا فعلت لي في الدينا؟ فقال العبد : ما عملت لك

يارب مثقال ذرة في الدنيا أرجوك بها ـ قالها ثلاث مرات ـ ولكنه قال : يارب إنك كنت قد أعطيتني فضل مال وكنت رجلاً أبايع الناس وكان من خلقي أن اتجاوز فكنت أيسر على الموسر وأنظر المعسر ، قال : فيقول الله عز وجل : أنا أحق من ييسر . أدخل الجنة» .

أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه

فكن يا أخي التاجر أو الغني ميسّراً على الناس تجد الله غفوراً رحيماً لأن ذلك من الصدقات والصدقة تطفىء غضب الرب . واعمل لبنك الآخرة كما تعمل لبنك الدنيا .

واستبشر بقول رسولنا المبشر عليه السلام «من نفس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة» .

رواه احمد والإمام مسلم

ولا تكن من الخاسرين الذين يجمعون ثرواتهم بالحرام والربا ليجنيها بعدهم ورثتهم حيث وصفهم الرسول عليه السلام فقال عنهم : «الخاسر من باع آخرته بدنيا غيره» أو كما قال الله تعالى :

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾

(آل عمران ٨٩)

■ وفي هذه الآية بشارة للتائبين الى الله مع الاصلاح في القلب وفي العمل فإن الله غفور رحيم .

وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾

(النساء ١٦)

■ قال مجاهد في تفسيرها : نزلت في الرجلين اذا فعلا اللواط . وقد روي أهل السنة عن ابن عباس مرفوعاً قال : قال رسول الله ﷺ :«من رأيتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» . وقوله :«فإن تابا وأصلحا» من قبل أن تتمكنوا منهما وأقلعا ونزعا عما كانت عليه وصلحت أعمالهما وحسنت «فأعرضوا عنهما» أي لاتعنفوهما بكلام قبيح بعد ذلك لأن التائب من الذنب كمن لاذنب له لأن الله كان ومازال تواباً رحيماً .

إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾

(النساء ١٧)

■ قال مجاهد : كل من عصى الله خطأً أو عمداً فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب . وقال قتادة : كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون :« كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة» وفي هذه الآية تحديد لوقت التوبة وهي أن تكون قبل ساعة الموت عند الغرغرة» وقال ابن مردويه عن عبد الله بن عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول :«مامن عبد مؤمن يتوب قبل الموت بشهر إلا قبل الله منه أدنى من ذلك ، وقبل موته بيوم وساعة يعلم الله منه التوبة والإخلاص إليه إلا قبل منه»

يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾

(النساء ٢٦ ـ ٢٧ـ ٢٨)

▣ في هذه الآيات ربط بين الماضي والحاضر حيث وضح لنا ربنا ما كان عليه الأقوام الذين سبقونا من اليهود والنصارى لنعلم أن ديننا الإسلامي الحنيف دين اليسر والتوبة .

ويحذرنا من اتباع هؤلاء الشياطين من اليهود والنصارى الذين يريدون بنا الشرور دائماً يصنعون لنا الحفر لنقع فيها وتتعثر حياتنا ولعل أخطر هذه الحفر دعاوى الشهوات التي تهبط علينا ليلاً ونهاراً من وسائل اعلامهم لتخريب الأسرة والمدرسة وبالتالي المجتمع المسلم فاحذر يا أخي المؤمن وكن على يقظة وبصيرة من أمرك ، لقد حدد الله تعالى سبل الرحمة الالهية بهذه الأمة الاسلامية حين علم أننا ضعفاء أمام هجمات هؤلاء الشياطين فخفف الله عنا بفتح مجال التوبة والاستغفار التي يمحي بها الذنوب في خضم صراع الحياة .

﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾

(النساء ١٤٥ - ١٤٦)

▣ في هاتين الآيتين إخبار عن مصير المنافقين الذين يظهرون خلاف مايبطنون ويعيشون بين الناس مفسدين مع كل بوجه ولسان يعيشون فساداً وإفساداً لايعرفون لله ولا لعباده عهداً ولا ذمة .

وجزاؤهم أن يكونوا يوم القيامة في الدرك الأسفل من النار جزاء فعلهم الشنيع وسلوكهم الممقوت وعن ابن عباس : أي في أسفل النار . وروى ابن حاتم عن ابن مسعود أنه سئل عن المنافقين فقال : يجعلون في توابيت من نار تطبق عليهم في أسفل درك من النار . «ولن تجد لهم نصيراً» أي منقذاً ينقذهم من أليم العذاب .

وفي الآية الثانية : استثناء من هؤلاء المعذبين بنفاقهم لمن تابوا منهم

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

(النساء ١٤٦)

■ فيفتح الله رحمته لعباده باباً للنجاة من عذاب جهنم ـ وما أدراك ما عذاب جهنم ـ حيث جعل ذلك الباب هو «التوبة لعباده المؤمنين العصاة حتى ولو كانوا منافقين . فقد جعل سبيل النجاة لهم التوبة النصوح واصلاح عقائدهم ونفوسهم وألسنتهم بعد فسادها بالاعتصام بالله وليس بالسلطان كما كانوا أيام نفاقهم كما قال علماؤنا الحكماء : «خوف المؤمن بالله وخوف المنافق بالسلطان وخوف المرائي بالناس» فمن يعتصم بالله ويتوكل عليه لايدخل الرياء والنفاق الى قلبه لأنه عامر بالايمان ، ومن كان كذلك فقد أخلص لله دينه كما قال رسولنا المبشر ﷺ : عن أبي حاتم عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال :«أخلص دينك يكفك القليل من العمل» .

وبهذا يصبح المنافقون بالتوبة الخالصة والاصلاح بعد الفساد والاعتصام بالله تعالى بعد الاعتصام بعبيده وإخلاص الدين لله مع المؤمنين في الجنة إن شاء الله تعالى . ثم أكد الله الوعد بإكرامهم في قوله تعالى «وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيما» .

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

«المائدة ٣٣ـ ٣٤»

■ المحاربة هي المضادة والمخالفة «وهي صادقة على الكفر واجبار المؤمنين على الكفر أو تغيير دينهم وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل . وما الى ذلك من أنواع الاضرار بالمجتمعات كالمخدرات والمتاجرة بها لإفساد الأجيال . فقد حددت أنواع العقوبة الصارمة لأمثال هؤلاء الذين يتعرضون لأمن المجتمع او عقائده أو ارهاب الناس بقطع الطريق فذكرت العقوبة المناسبة لعظّم جرائمهم بالقتل او التمثيل بهم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو النفي من دار الاسلام أو السجن بدلاً من النفي . وقال ابن عباس : من شهر السلاح في فئة الاسلام وأخاف السبل ثم ظفّر به وقدر عليه فإمام المسلمين فيه بالخيار أن شاء قتله وان شاء صلبه وان شاء قطع يده ورجله وكذا قال سعيد ابن المسيب ومجاهد والضحاك . وقال الشافعي عن ابن عباس في قطاع الطريق . اذا قتلوا واخذوا المال ، قتلوا وصلبوا . واذا قتلوا ولم يأخذوا المال ، قتلوا ولم يصلبوا . واذا اخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وارجلهم من خلاف . واذا اخافوا السبيل ولم يأخذوا المال نفوا «سجنوا» .

ثم يأتي في الآية التالية دور التوبة في هذا المجال «الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم» . فان كان هؤلاء من المسلمين وتابوا قبل أن يلقى عليهم القبض فتسقط عنهم كل تلك العقوبات كما كان عليه الصحابة . فالتوبة مع الصدق تدفع عقوبة الدنيا وعذاب الآخرة .

وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٥٣﴾

(الأعراف ١٥٣)

■ وهذه الآية تبشر الذين أساءوا واذنبوا ثم تابوا وآمنوا بأن لهم رباً يغفر الذنوب إذا أقبلوا عليه تائبين بقلوب سليمة فسيجدون الله غفوراً رحيماً كما سبق في مثلها من الآيات . وعن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن ذلك يعني : الرجل يزني بالمرأة ثم يتزوجها هل لهما من توبة؟ . فتلا لمن سألوه هذه الآية عشر مرات .

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٠٢﴾

(التوبة ١٠٢)

■ وهذه الآية تبين حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسلاً مع رسول الله ﷺ مع ايمانهم وتصديقهم بالحق وتنطبق اليوم على عامة المذنبين الخطائين . والذين أقروا بذنوبهم واعترفوا بها فيما بينهم وبين ربهم ولهم أعمال أخرى صالحة خلطوا هذه بتلك . فهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه كما روى البخاري عن سمرة بن جندي قال : قال رسول الله ﷺ لنا : «أتاني الليلة آيتان فابتعثاني فانتهيا بي الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة ، فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما انت راء ، وشطر كأقبح ما انت راء . قالا لهم : اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثمّ رجعوا إلينا قد ذهب ذلكَ السوء عنهم ، فصاروا في أحسن صورة . قالا لي : هذه جنة عدن وهذا منزلك . قالا : أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهمّ خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم .

﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤﴾

(التوبة ١٠٣-١٠٤)

■ الانفاق في سبيل الله والصدقات تطفىء غضب الرب فمن تصدق الى الله بصدقة من كسبٍ حلال ، كانت له طهارة وتزكية يستحق بها الصلاة عليه من رسول الله ﷺ بمعنى الدعاء له والاستغفار لهم . وفي هذا رحمة لهم وسكن لهم ووقار . كما روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كان النبي ﷺ اذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم فأتاه أبي بصدقة فقال : اللهم صلي على آل أبي أوفى» .

حينما قدَّم له عثمان بن عفان المال في حجره ﷺ وروى أن رسول الله وهو في المسجد متصدقاً به أخذ رسول الله يقلبه ويقول : «ماضر عثمان ما فعل بعد اليوم» . وجاءت امرأة الى الرسول بصدقة فقالت : يا رسول الله صلي عليّ وعلى زوجي . فقال : «صلى الله عليك وعلى زوجك» .

واما قوله تعالى :

أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ

(التوبة ١٠٤)

■ فهي تشجيع على التوبة والصدقة اللتين كل منهما يحط الذنوب ويمحقها فمن تاب الى الله تاب الله عنه ومن تصدق بصدقة من كسب حلال فان الله يتقبلها بيمنيه فيربيها لصاحبها حتى تصير الثمرة مثل أُحد ، كما في الحديث الصحيح : «ان الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره حتى أن اللقمة لتكون مثل أحد» .

وتصديق ذلك قوله تعالى :

﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم﴾

(التوبة ١٠٤)

وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾

(هود ٣)

■ وفي هذه الآية دعوة الى الاستغفار الذي هو مفتاح التوبة والرزق والحياة الهادئة مع التوبة المستمرة من كل ذنب . كما قال تعالى :

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾

(نــوح ١٠-١١)

■ فبالاستغفار يبارك الله في الرزق وهو من الاعمال البارة الصالحـة التـي تجلب للمؤمن المستغفر راحة البال ورغد العيش وهناء الحال وحسن المآل .

قال الله تعالى :

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾

(النحل٩٧)

■ «ويؤت كل ذي فضل فضله» عن ابن مسعود قال : «مـن عمـل سـيئة كتبت عليه سيئة ومن عمـل حسـنة كتبـت لـه عشـر حسـنات فـان عوقـب بالسيئة التي كان عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بهـا في الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقـول : هلك من غلب آحاده على أعشاره» .

وفي آخر الآية ﴿**وان تولوا فاني أخاف عليكم**﴾ تهديد شديد لمن تولـى عن أوامر الله ولم يرطب قلبه بالتوبة المسـتمرة والاسـتغفار حتـى لا يقـع فـي العذاب الشـديد . الضنـك وعسـر المعـاش والضيـق فـي الحيـاة الدنيـا ، وفـي الآخرة «جهنم وبئس المهاد» .

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

(هــود ٥٢)

■ وهذه الآية تبين ثمرة الاستغفار وأثرها على المستغفرين التائبين في الدنيـا فهـو يجلب الرزق ويزيد المؤمن قـوة نفسـية ومعهـا القـوة الجسـدية فـلا يتعـرض لأمـراض

العصر الناتجة عن ضغوط الحياة وصخبها من ضغط الدم والجلطات والسكر . .الخ .
وفي الحديث «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب» ويحذرنا من التولي عن أوامر الله وإلا كنا مجرمين في حق أنفسنا .

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾

(هود ٦١)

■ وهذا هو النبي صالح عليه السلام يأمر قومه حتى تدوم عزتهم على الأرض التي استعمرهم الله إياها فمعروها حتى اغتروا فذكرهم بعبادة الله تعالى والاستغفار والتوبة لأن الله قريب مجيب الدعاء وحتى لا ينسوا نعمة الله عليهم حين تشغلهم الدنيا ويجرون في فلكها كما هو حالنا اليوم يا أخي المؤمن فلا يستيقظون إلا على النعمة والعزة ، وهكذا انتهى بهم الأمر فأهلكهم الله بذنوبهم .

﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾

(هود ٨٩ ـ ٩٠)

■ وهنا يأتي النبي شعيب عليه السلام لينذر قومه ويحذرهم من سوء العاقبة التي أصابت الأقوام قبلهم بكفرهم وصدودهم عن الله وانشغالهم واغترارهم بالدنيا مثل قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط الذين آثروا الحياة الدنيا مع الضلالة والعصيان فأهلكوا جميعاً بالغرق أو الريح السموم أو الزلازل وفي تذكيرهم بهؤلاء الهلكى أبلغ العبرة . ثم أمرهم بمفتاح الحياة الراضية والسعادة في الدنيا والآخرة وهو الإستغفار والتوبة يكن الله لهم رحيماً ومعهم ودوداً . ولما أحاط المجرمون اصحاب

الفتنة الخارجين على الله ورسوله بدار عثمان بن عفان خليفة المسلمين في المدينة المنورة يريدون قتله أشرف عليهم من داره وتلا عليهم هذه الآية . ولكنهم لم يسمعوا ولم يتعظوا فأقبلوا على عثمان ونفذوا جريمتهم التاريخية في الخليفة عثمان ﷺ المبشر بالجنة . وأصابوا الأمة الإسلامية بسهام الفرقة والقتل الى يوم الين ـ وكانوا هم وقود هذه الفتنة حيث قتلوا في المعارك بعد ذلك وانكوت الأمة الإسلامية بنار الفتن والحروب الداخلية الى يومنا هذا . قاتلهم الله أنى يؤفكون وقاتل من يؤيدهم ويفعل فعلهم في أمتنا الإسلامية والعربية هذه الأيام .

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ۝٦٠﴾

(مريم ٥٩-٦٠)

■ لما ذكر الله تعالى قبل هذه الآية حزب السعداء الذين أنعم الله عليهم في الدنيا وفي الآخرة من الأنبياء ومن اتبعهم بفضل هدايتهم وإيمانهم وحسن علاقاتهم وصلتهم بالله العظيم . القائمين على حدود الله وأوامره المؤدين فرائض الله التاركين لزواجره ذكر أنه خلق من بعدهم خلق أغرتهم الدنيا فأقبلوا على شهواتها وملاذها ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها متشاغلين بها عن الصلاة التي هي راحة للقلوب من عناء اليوم وضغوط العمل اليومي فبين أن عاقبة أمرهم في حياتهم أنهم سيلقون غياً يعني خسارة في الدنيا وفي الآخرة بضياع الصلاة .

قال **الأوزاعي** : قرأ عمر بن عبد العزيز هذه الآية ثم قال : لم تكن إضاعة الصلاة تركها ولكن أضاعوا وقتها . فما بالك لو تركوها كلية ونسوها؟

وقال **الحسن البصري** : عطلوا المساجد ولزموا الضيعات .

وأخطر الأمر أخي المؤمن أن ينشغل المؤمن بالشهوات عن الصلاة كما هو الحال عند بعض الشباب الذين ضاعوا في شهواتهم وملذات الدنيا حتى استيقظوا على الأيدز يأكل حياتهم والمخدر يضرب على أعصابهم صرعى مجانين يركب بعضهم بعضاً كالبهائم في الطرقات لا يخافون الله في السماء ولا يستحون من الناس في

الأرض . . الخ . فؤلاء سوف يلقون «غياً» . خسراناً في حياتهم الدنيا وشراً وبيلاً يصيحون ويمسون فيه لا يستطيعون الفكاك منه والعياذ بالله ـ كما نرى في الحياة حولنا وفي الآخرة يلقون غياً . . يعني وادياً في جنهم من قيح ودم .

فاحذر يا أخي الشباب من ترك الصلاة والإنهماك في الشهوات الفاضحة واحذر يا أخي ولي الأمر على أولادك من ضياع الصلاة التي هي صمام الأمان من شر الحياة التي تحيط بنا كالسوار والجأ الى الله بالاستغفار والتوبة والصلاة تصبح الكبائر حولك صغائر وتنجح في الدنيا والآخرة فالآية ختمت بالاستثناء المنجي : ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً﴾ والجنة في الدنيا طمأنينة القلب ورضوان الحياة تنام سعيداً وتصحوا مستبشراً وتمضي يومك بين عمل موفق وعبادة مريحة من صخب الحياة . وهذا معنى قوله تعالى :

فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا

(طه ١٢٢ ـ ١٢٣)

■ والتائب يا أخي المؤمن كما في الحديث الشريف كمن لا ذنب له . «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» .

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

(طه ٨٢) .

■ وفي هذه الآية عهد مؤكد من الله لعبادة الخطائين التوابين إذا آمنوا بأن لهم رباً كريماً يغفر الذنوب واتبعوا ايمانهم بالأعمال الصالحة والهداية مع المهتدين باتباع الصلاة في أوقاتها والصدقات وحب الخير فإن الله لغفار لهم .

وبهذا المعنى آيات في سورة القرآن الكريم .

إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾

(الفرقان ٧٠)

وقوله تعالى :

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾

(القصص ٦٧)

■ فتدبر يا أخي المؤمن أمرك واقرأ القرآن الكريم بفهم وإدراك تسعد في الدنيا وفي الآخرة .

فقد ورد عن رسولنا المبشر أنه قال : «من أراد الدنيا فعليه بالقرآن ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن . ومن أرادهما فعليه بالقرآن» .

أو كما قال عليه الصلاة والسلام : «يا بني لا تغفل عن قراءة القرآن إذا أصبحت ، وإذا أمسيت ، فإن القرآن يحي القلب الميت ، وينهى عن الفحشاء والمنكر» .

بحمد الله تم

يوم : الجمعة ٢٩/شوال/١٤١٧ الموافق لـ ١٩٩٧/٣/٧

المراجع

- القــرآن الكريــم
- كتب الحديــث الـشــريف
- صفوة التفاسير
- مختصر تفسير ابن كثير
- تفسير أبي السعود
- حياة الصحابة ـ محمد يوسف الكاندهلوي ـ طبعة ثانية
- جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ـ محمد السيد الوكيل ـ طبعة أولى
- سير أعلام النبلاء : تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .
- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ـ الدولة الأموية ، تأليف الشيخ محمد الخضري .
- الفتوحات الإسلامية ـ أحمد بن زيني دحلان .
- الاصطفا في سيرة المصطفى ـ محمد نبهان الخباز ط١
- صور من حياة الصحابة ـ د . عبد الرحمن رأفت الباشا .
- العشرة المبشرون بالجنة ـ عمر يوسف
- العواصم من القواصم ـ القاضي أبي بكر العربي
- السيرة النبوية الصحيحة ـ د . أكرم ضياء العمري
- السيرة النبوية ـ لأبي الحسن الندوي

المحتويات



بحمد الله تم

رقم الايداع بدار الكتب القطرية

٣١٠ / ١٩٩٧

الرقم الدولي «ردمك»

٥ ـ ٩٩ ـ ٦٥ ـ ٩٩٢١

المؤلف في سطور

- الباحث الشيخ يوسف ابوشنب ولد في قرية (الجية) في وسط فلسطين
- درس الاعدادية والثانوية والجامعة في الازهر الشريف
- تخرج من كلية اللغة العربية في جامعة الازهر عام ١٩٦٧
- عمل مدرساً للغة العربية في المدارس الثانوية على امتداد الوطن العربي
- هو على نهج الرسول عليه الصلاة والسلام في حب العرب حيث قال (احب العرب لثلاث لانني عربي والقرآن عربي ولسان اهل الجنة عربي)

كتب للمؤلف

١- قطر في موسوعة البلدان الاسلامية
٢- المملكة العربية السعودية في موسوعة البلدان العربية
٣- البلدان الاسلامية في افريقيا
٤- القواعد الميسرة
٥- البلاغة الميسرة
٦- اللغة العربية للمسلمين في العالم
٧- اللغة العربية للكبار
٨- اللغة العربية للاجانب
٩- الابل في دنيا العرب
١٠- المبشرون بالجنة في الماضي والحاضر
١١- تحت الانجاز المسيح المنتظر